

الطبعة 5

التصوف السعودي



الخليج

المسبار



التصوف في السعودية والخليج

في كتابنا هذا نحاول رسم ملامح الصوفية في الخليج ، في السعودية والإمارات ، وفي البحرين والكويت ، وجذور هذا التصوف ومناخه في وسط آسيا ، إيران وتركيا ، مع جولة على التصوف الجديد والتحولات العميقة التي تمر بها الطرق في مصر ومدى التأثير السلفي الخليجي فيها . نرجو أن تكون هذه المبادرة من مركز المسبار تشجيعا للباحثين ومن تتوافر بين أيدهم الوثائق التي لم تظهر للعلن أن يوثقوا هذا التاريخ الذي بقي شبه خجول وغامض في جوانب كبيرة منه.

ISBN 978-9948-443-62-9



9

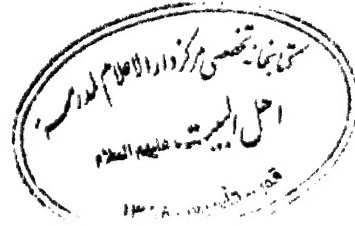
789948

443629

المسبار



www.almesbar.net



مكتبة الأبحاث والدراسات	
تاريخ	١٤٣٥ هـ
رقم	٢٠

التصوف في السعودية والخليج

المسبار



الكتاب: التصوف في السعودية والخليج
المؤلف: مجموعة باحثين
الناشر: مركز المسبار للدراسات والبحوث.
التصنيف: دين وسياسة / جماعات وفرق / تاريخ معاصر
الطبعة الخامسة، فبراير (شباط) 2013
الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9948-443-62-9



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

www.almesbar.net

ص.ب. 333577

دبي الإمارات العربية المتحدة

هاتف: +971 4 380 4774

فاكس: +971 4 380 5977

info@almesbar.net

مركز المسبار للدراسات والبحوث هو مركز مستقل متخصص في دراسة الحركات الإسلامية والظاهرة الثقافية عموماً، ببعديها الفكري والاجتماعي السياسي، يولي المركز اهتماماً خاصاً بالحركات الإسلامية المعاصرة، فكراً وممارسة، رموزاً وأفكاراً، كما يهتم بدراسة الحركات ذات الطابع التاريخي متى ظل تأثيرها حاضراً في الواقع المعيش.

يضم مركز المسبار مجموعة مختارة من الباحثين المتخصصين في الحركات الإسلامية المعاصرة والتاريخية والظواهر الثقافية والاستراتيجية، ويتعاون المركز في هذا الاتجاه مع الباحثين والمراكز والمؤسسات المختلفة التي تتقاطع اهتماماتها مع اهتمامه، وهو ما يضمن تبادل الخبرات وتطوير المهارات الذي يتم عبر تنشيط الحوار بين المتخصصين وتدوير الأفكار بين مختلف الآراء والاتجاهات.

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لمركز المسبار للدراسات والبحوث. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من مركز المسبار للدراسات والبحوث.
الدراسات والبحوث التي يحويها الكتاب تعبر عن آراء كتابها لا عن رأي المركز بالضرورة.



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

- 5 تقديم
- 7 الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد
راشد أحمد الحميري
- 47 التصوف في البحرين والكويت
عمر البشير الترابي
- 71 وهابيون متصوفون
منصور النقيدان
- 111 التصوف في عسير والمخلاف الشليماني
إبراهيم طالع الألمعي
- 149 الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث
محمود عبدالغني صباغ
- 255 الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل
ياسر بن محمد باعامر
- 291 التصوف وتحولاته في مشهده المعاصر
محمد حلمي عبد الوهاب
- 333 المشاركون في الكتاب

تقديم

في كتابنا هذا نحاول رسم ملامح الصوفية في الخليج، في السعودية والإمارات وساحل عمان، وفي البحرين والكويت، وجذور هذا التصوف ومنابعه في وسط آسيا وإيران وتركيا، مع جولة على التصوف الجديد والتحولات العميقة التي تمر بها الطرق في مصر ومدى التأثير السلفي الخليجي فيها.

نرجو أن تكون هذه المبادرة من مركز المسبار تشجيعا للباحثين ومن تتوافر بين أيديهم الوثائق التي لم تظهر للعلن أن يوثقوا هذا التاريخ الذي بقي شبه خجول وغامض في جوانب كبيرة منه.

رئيس المركز



الصوفية في دبي

من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

راشد أحمد الجميري(*)

بادئ ذي بدء نلفت نظر القارئ الكريم إلى ملاحظتين مهمتين قبلولوج في قراءة البحث. الأولى، البحث عبارة عن دراسة أولية تستعرض تاريخ ثلاث شخصيات جسدت التجربة الصوفية في دبي⁽¹⁾. الثانية، البحث قد يعتريه شيء من الخطأ النسبي، إذا صح التعبير، وذلك لندرة وضبابية المصادر التاريخية التي وثقت التصوف في ساحل عمان (الإمارات العربية المتحدة حالياً) بشكل عام وفي دبي بشكل خاص. لذلك تم الاعتماد بشكل كبير على الروايات التي سردها آخر رمز صوفي عاش في دبي، الشيخ عبدالرحيم المريد (1910 - 2007) عن والده عبدالله المريد التي تخص أخبار السيد محمد عمر الأفغاني، الذي يرجع إليه الفضل في تأسيس الطريقة الصوفية. يضاف إلى ذلك صعوبة التعريف بالصوفية، فالمصطلح لم يكن شائعاً في المجتمع، فهو يندرج ضمن معاني الفضائل مثل الزهد والورع⁽²⁾. لذا فالدراسة مفتوحة للنقد والتمحيص للمختصين حتى تصل إلى مرحلة من الاكتمال والنضج.

(*) باحث من الإمارات العربية المتحدة.

(1) نعتني في هذا البحث: السيد محمد عمر الأفغاني - الشيخ عبدالله المريد وابنه الشيخ عبدالرحيم المريد، سنتوسع في شرح سيرهم في الصفحات القادمة، نقصد بالتصوف في هذه الورقة، تصوف الطريقة.

(2) الدكتور الشيخ عيسى المانع، مقابلة في 27 / 10 / 2010.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

تعود الجذور التاريخية للتصوف على ساحل عمان (الإمارات العربية المتحدة حالياً) إلى مايقرب الثلاثمئة سنة، فمن خلال الوثائق التاريخية وجدت إشارات إلى أنه كانت هنالك طقوس صوفية تمارس في منطقة الصير (رأس الخيمة حالياً) في القرن السابع عشر الميلادي، على يد المتصوفة الحضارمة الذين جاءوا من تريم⁽³⁾ يحملون الطريقة العلوية الحدادية⁽⁴⁾. وفي أواخر القرن التاسع عشر ظهرت الطريقة القادرية⁽⁵⁾ في دبي على يد الصوفي المسمى السيد محمد عمر الأفغاني. لم يكتب للتجربة العلوية الحدادية أن تستمر طويلاً، فقد خسر التصوف أرضيته منذ وصول مد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر بقيادة مطلق المطيري؛ وإعلان القواسم اعتناقهم المذهب الوهابي. أما التصوف في إمارة دبي فكتب له أن يعيش إلى يومنا هذا. وقد ساعدته عدة عوامل على التماسك والرسوخ، الأول العامل المذهبي، إذ لم تتأثر القبائل والأسر القاطنة في إمارة دبي بالدعوة الوهابية كما هي في إمارتي الشارقة ورأس الخيمة، وإنما بقيت متمسكة بالمذهب المالكي والشافعي، اللذين ليس لهما أية تحفظات على التصوف. أما العامل الثاني فقد تم تبنيه من قبل الأسرة الحاكمة (آل مكتوم)، ويعتبر الشيخ سعيد بن مكتوم آل مكتوم حاكم دبي (1912م - 1958م) أحد المريدين عند السيد الأفغاني.

(3) مدينة في حضرموت مشهورة بالعلم والحياة الروحية تعتبر مصدر التراث الصوفي اليمني.

(4) نسبة إلى السادة العلويين في حضرموت باليمن.

(5) الطريقة القادرية، نسبة إلى مؤسسها الإمام محيي الدين أبو محمد عبدالقادر الجيلاني (1048م - 1139م).

(م)، راجع: الدكتور السيد محمد عقيل بن علي المهدي، دراسة الطرق الصوفية، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1993م، ص161.

راشد أحمد الجميري

يُجمع من عاصر الشيخ عبدالرحيم المريد على أن السيد محمد عمر الأفغاني هو الأب الروحي والمؤسس الأول للطريقة الصوفية في دبي. وهو الذي استحدث احتفال "المولد النبوي" المعمول به حالياً في الإمارات العربية المتحدة. وامتاز نموذج تصوف دبي بعلاقة الشيخ بمريديه الاجتماعية، ولم ينكفئ على نفسه كحياة زهد وورع وتقوى وحلقات ذكر الله فقط، وإنما أوجد له حضوراً اجتماعياً واسعاً في المناسبات الاجتماعية والدينية، تمثلت في ممارسة طقوسه الفريدة، ومن أشهرها إحياء الموالد النبوية وجلسات ضرب الدبوس وحلقات ذكر الله.

أما في وقتنا الحاضر فيشهد التصوف تحدياً على الساحة الدينية في أداء دوره التقليدي الروحي في دبي، إذ يخيم على المشهد تراجع وحالة من الركود بعد موت أحد أبرز آيائه الشيخ عبدالرحيم المريد في عام 2007، إذ بفقده فقد التصوف زخمه الروحي الكبير، الذي كان ملهم الأتباع والمريدين في منطقة الراشدية بدبي. إلا انه بقيت بعض البيوت في دبي تحيي أبرز فنونه، المولد النبوي في المناسبات الدينية، كلية النصف من شعبان ويوم ال12 من ربيع الأول، احتفالاً بمولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبعض الأحيان في أواخر أيام الأسبوع، أما طقس الضرب بالحديد، فلم يمارس قط.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

يهدف الباحث من هذا الدراسة إلى تحقيق هدفين:

أولاً: إضافة دراسة أولية و جمع أخبار التصوف والمتصوفة، فحتى وقتنا الحالي هناك ندرة في الدراسات التي تغطي الظواهر والحركات الدينية التي نشأت على ساحل عمان. لذا سنحاول من خلال هذا البحث، تقديم عرض شامل لتاريخ التصوف في منطقة ساحل عمان، ثم سنخرج على متصوفة دبي بشكل خاص.

ثانياً: تعريف من هم صوفية دبي، ومحاولة توضيح من هم هؤلاء الذين يسمون بالصوفية، فكلمة التصوف أو صوفي فضفاضة في معانيها، إذ يصعب وصف وتصنيف سالك ما بأنه "صوفي" أو جماعة ناسكة وذات أوراد بأنها "صوفية". فمفردة التصوف أو هذا الشخص "صوفي" لم تكن دارجة ضمن المصطلحات المستخدمة على ألسنة الناس. يشرحها الباحث خالد البدور⁽⁶⁾ قائلاً: "وعند التطرق لموضوع التصوف في المنطقة وبالأخص إمارة دبي فإننا نتحدث عن شخصيات أثرت الزهد والعبادة وتفرغت لها، وكان يطلق على الزهاد والنساک صفة "أهل الله" أو "أهل الذكر" أو المشايخ والعلماء أو من سلك "طريق القوم"، ولم نجد في أية أدبيات أو ما قاله الرواة أي ذكر لصفة "الصوفية"⁽⁷⁾. ولكن الطقوس والطرق المتعارف عليها في أدبيات التصوف الاسلامي كانت تمارس من قبل الأفغاني ومريديه، كالعلاقة بين الشيخ ومريديه واحتفالات المولد

(6) خالد البدور شاعر وسينمائي من الإمارات: أنتج فيلماً وثائقياً عن حياة الشيخ عبدالرحيم المريد.

(7) خالد البدور، مقالة غير منشورة، سيرة الشيخ عبدالرحيم المريد، 2009.

راشد أحمد الجميري

النبوي واستعراض قوة الشيخ الروحية كالضرب بالحديد وطعن الجسد بالسيف.

قسمنا الدراسة إلى ثلاثة مباحث: الأول المدخل التاريخي لمتصوفة الصير، المبحث الثاني : صوفية دبي، التأسيس - الصعود - الانحسار، والمبحث الثالث :لمحة عن وضعه الراهن ومن هي الأسر التي ما زالت محافظة على التقاليد الصوفية في دبي.

المبحث الأول المدخل التاريخي لمتصوفة الصير

التصوف العلوي الحدادي،

تاريخ التصوف على ساحل عمان يشويه الكثير من الغموض وتكثر فيه الحلقات المفقودة. إذ يصعب ذكر أخبار الطرق الصوفية أو لفظ الصوفي أو صوفية في المخطوطات المحلية أو حتى في الوثائق الأجنبية سواء البرتغالية أو الهولندية أو الإنجليزية، لأنها أهم المصادر التاريخية لساحل عمان. حتى في كتاب (دليل الخليج) لمؤلفه لوريمر، عندما مسح الحركات والظواهر الدينية في الخليج، قال: "يقال إنه لا يوجد صوفيون في الخليج"⁽⁸⁾. ولكن مخطوطة الرحالة اليمني علوي بن أحمد بن حسن

(8) راجع : ج.ج. لوريمر، دليل الخليج - القسم التاريخي - الجزء السادس، ص3412، طبعة أعدها قسم الترجمة التابع لمكتب سمو أمير دولة قطر خليفة بن حمد آل ثاني.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

الحداد المسماة "المواهب والمنن في مناقب الحسن"⁽⁹⁾ المدونة في سنة 1803م، هي واحدة من المخطوطات المهمة التي توثق لحقبة التصوف في الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر للميلاد.

تضمنت في بعض صفحاتها إشارات عن الفرقة العلوية الحدادية في منطقة الصير، وهي جزء من التقليد الذي كان معمولاً به في الظاهرة الصوفية اليمينية التي وسعت سياحتها لتشمل مناطق قصية من آسيا وأفريقيا. المخطوطة هي شرح مناقب جد المؤلف القطب الحسن بن عبدالله العلوي (1688-1776م). وضمّن "هذا الرحالة الصوفي" من خلال مخطوطته ما يقرب من ثلاثين صفحة دون فيها مذكراته لرحلاته في الجزء الجنوبي الشرقي من الخليج العربي، الصير وجوعمان⁽¹⁰⁾، ويبين لنا بأن المد الحضرمي الصوفي وجد له موطن قدم وحضوراً قوياً لدى شيوخ القواسم وقبيلة الزعاب، بالإضافة إلى أن زيارات أضرحة الأولياء كانت حاضرة بشكل قوي.

كان هدف هذا الرحالة زيارة ضريح عمه، زين العابدين بن عبدالله العلوي (1693 - 1744م) الذي عاش عشرين سنة في الصير. زار علوي بن الحداد الصير ثلاث مرات، امتدت ما بين 1782م إلى 1803م.

(9) اكتشف هذه المخطوطة الكاتب الإماراتي أحمد راشد ثاني وهو في زيارة إلى اليمن في 1995، للمزيد راجع

كتابه: رحلة إلى الصير، أبوظبي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث 2007.

(10) جو عمان: من التسميات القديمة لمدينة العين الحالية التابعة للمنطقة الشرقية لإمارة أبوظبي.

ويشرح الكاتب أحمد راشد ثاني قصة المد الحضرمي إلى المنطقة: "وعلى ما يبدو فإن أول من وصل من (السادة العلويين) الحضارمة إلى المنطقة هو هارون بن الشيخ العطاس، حيث أمره قطب الإرشاد عبدالله الحداد (1634-1719م) بسكن جو عمان لنشر السنة. ولعل وجود هارون في الجو، وغيره من أتباع هذه السنة في الصير، هو الذي أوعز لعم علوي بن الحداد، زين العابدين الحداد بالاستقرار فيها بعد ذلك إلى أن توفي". وأصبح قبره ضريحاً في الجزيرة الحمراء يزوره أتباعه.

كانت هذه الزيارات تهدف إلى توثيق العلاقة بين أتباع جده الحداد الكبير وأحفاده، من ماتوا ودفنوا في الصير أو ما يزالون أحياء. أنتج هذا التواصل الحضرمي تأثير بعض القبائل، كما تحمس الزعاب للنزعة الصوفية العلوية حتى وصل الأمر ببعض العلويين إلى مصاهرتهم⁽¹¹⁾.

تدلنا هذه الإشارات إلى أنه كانت هناك حركة صوفية نشطة منذ مطلع القرن الثامن عشر؛ ولها امتدادات من حضرموت إلى عمان إلى رأس الخيمة إلى الإحساء⁽¹²⁾، ومن مختلف العالم الإسلامي، يشدون الرحال إلى منطقة الصير. إذ يذكر العلوي في مخطوطته عن العلماء المتصوفة الذين كانوا يقطنون في الصير ومن أين جاءوا. ف"السيد المكاشف الولي

(11) المصدر السابق، أحمد راشد ثاني، الصير، ص 109.

(12) مصدر سابق، ص 112، بتصرف.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

البهلوي الملاماتي نور" كان من رجال الخطوة⁽¹³⁾، ومن ذرية السيد عبدالقادر الجيلاني وله كشوفات عظيمة وله كرامات كثيرة وخوارق عادات. أيضا كان من زوار ضريح زين العابدين، ويمارس "ملامياته"⁽¹⁴⁾ في بعض البلدات التابعة للقواسم، توفي في 1780م ببلدة ضنك⁽¹⁵⁾ وبني على قبره قبة.

كما يذكر عن الشيخ العلامة محمد بن روعي الحجازي، الذي ولد في الحجاز وارتحل إلى الأحساء وسكن بباطنة عمان، أنه يجيز الطريقتين القادرية والحدادية العلوية⁽¹⁶⁾. والعلامة الشيخ عماد الدين بن أحمد أتى من فارس هو وتلاميذه. كما استوطن الصير رجل من المغرب اسمه محمد بن أبي القاسم المعروف بأبي الطيب المغربي، ولد في المدينة من أبوين مغربيين. ذهب إلى المغرب ومن ثم إلى حضرموت والتقى بعبدالله العلوي "الجد الأكبر" للعلوي بن الحداد صاحب المذكرات، ثم ارتحل إلى الأحساء ثم استقر في الصير، وكان مالكي المذهب. استمر متصوفة الصير في ممارسة طقوسهم حتى أواخر القرن الثامن عشر، عندما أعلنت رأس الخيمة انضمامها لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(13) رجال الخطوة هي صفة في أدبيات التصوف تطلق على كل من يمتلك تلك القدرة الخارقة على قطع مسافة طويلة جداً في خطوة واحدة أو في لمح البصر، فلا يعوقهم بحر ولا جبل. أو أنها تلك القدرة على التواجد في أكثر من مكان في نفس اللحظة. يعتقد بأن تلك القدرة يختص الله بها بعض عباده الصالحين أو الأولياء ذوي "الكرامات" بحسب ما يصفونهم. المصدر: <http://ar.wikipedia.org> تاريخ الزيارة : 1 يونيو ، 2011 ، الساعة 10 صباحا.

(14) الملاماتية طريقة من طرق الصوفية، نسبة إلى نوم النفس لأن أتباعها يكثر من نوم أنفسهم، وقيل إنها ترجع إلى اسم ناشر مبادئ هذه الطريقة وهو أبو حفص الحداد الملاماتي، المتوفى سنة 264 هجرية، راجع : ممدوح الزويبي، الطرق الصوفية : ظروف النشأة وطبيعة الدور، سوريا دمشق 2004، الطبعة الأولى، الأهالي للطباعة والنشر، ص97.

(15) ضنك اليوم هي إحدى ولايات منطقة الظاهرة في سلطنة عمان

(16) مصدر سابق، أحمد راشد ثاني، رحلة إلى الصير، ص 109.

راشد أحمد الجميري

ففي عام 1799م حاصرت القوات النجدية بقيادة مطلق المطيري⁽¹⁷⁾ رأس الخيمة، واستمر الحصار سبعة عشر يوماً، واجهت فيه قوات القواسم العطش، فقرر الشيخ صقر بن راشد القاسمي (1777 - 1803م) أن يفاوض المطيري، وكان من أهم شروط النجديين أن يقوم القواسم بإزالة قبور الأولياء.

ويذكر هذه القصة د . فالح حنظل في كتابه "المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة": ويبدو أن القائد السعودي المطيري كان صعباً جداً في مفاوضاته؛ وفي شروط الصلح وكان من أهم شروطه هو أن يقوم القواسم بهدم قبة السيد حسن، وهو مقام معروف في الصير في رأس الخيمة يعظمه ويجله القواسم، فالسيد حسن كان المرشد الديني للشيخ راشد بن مطر وكان المطيري يقول: لا أقبل إيمان القواسم إلا بتهديم قبة السيد حسن بأيديهم، لأكون شاهداً على فعلهم عند إمام المسلمين عبدالعزيز. أظهر القواسم رفضهم في بادئ الأمر، إلا أن إصرار المطيري على ذلك دفع بالشيخ صقر بن راشد إلى أن يقوم بنفسه وجعله من الأعيان بإزالة القبر⁽¹⁸⁾.

ويكشف لنا العلوي من خلال مخطوطته استيائهم من تعاليم ابن عبد الوهاب واعتبارها من "البدع العظيمة من النجدي صاحب

(17) قائد عسكري سعودي، أرسل من قبل الأمير عبدالعزيز بن محمد أمير الدرعية في نجد لإقليم عمان، توفي سنة 1807م.

(18) فالح حنظل، المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة، لجنة التراث والتاريخ، دولة الإمارات العربية المتحدة، الجزء الأول، ص 275.

الدرعية"، ورد عليهم في كتاب أسماه "السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر". وفي زيارة العلوي الثانية إلى عمان يصف حالة الناس بعد أن اقتحمت جيوش الدرعية معاقلهم وقل أتباعها "رأى وسمع بأمور عظيمة من البدعي النجدي، حدثت في بلدان عمان وذلك لموت العلماء بها وبقي من لا يستمعون لكلامه إلا القليل". ورأى خلقا بعمان وغيرها من الجهات دخل في قلوبهم مما أتى به ابن عبد الوهاب. وبذلك تنتهي أخبار الصوفية العلوية الحدادية على ساحل عمان ولم يتبق من هذه الطريقة إلا بضعة أحفاد مازالوا يعيشون في الإمارات العربية المتحدة، وبعضهم في البحرين⁽¹⁹⁾.

المبحث الثاني

التأسيس: محمد عمر الأفغاني (1886 – 1918 م)

يصعب تحديد متى بدأت الطريقة الصوفية في دبي، كما أشرت في البداية، فهو قد يكون موجوداً منذ عصور قديمة، لكن لم توجد حتى الآن أية دلائل تاريخية توثق ذلك. ولكن الخيط الوحيد الذي قد يقودنا إلى تاريخ الصوفية في دبي، هو فن "المالد"⁽²⁰⁾. والمالد (المولد النبوي) هو فن شعبي ذو صبغة دينية، وهو في الوقت نفسه طقس من طقوس الصوفية، لأنه يعتمد على ذكر الله والمدائح النبوية في إحياء ذكرى المولد النبوي

(19) المصدر السابق، أحمد راشد ثاني، الصير، ص 118.

(20) يلفظ أهل دبي احتفال المولد النبوي بـ "المالد".

الشريف⁽²¹⁾. ومما لا خلاف عليه أن أشهر الفرق والمذاهب التي تحيي هذا الفن هم الصوفية.

فمن أسس المالد في دبي ومن هم رواده؟

كل ما توفر لنا هو أنه في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وفد إلى منطقة ساحل عمان رجل يدعى السيد محمد عمر الأفغاني؛ وكان قد سُهر بتنظيم حلقات المالد⁽²²⁾. ويتفق كل من الدكتور الشيخ عيسى بن مانع الحميري، وإبراهيم بن حميدان، و الشيخ حمدان المعمرى⁽²³⁾، على أن هذا الرجل هو الأب المؤسس الذي يعود له الفضل في تأسيس الطريقة القادرية الصوفية في إمارة دبي.

ونظراً لعدم وجود أية مصادر مكتوبة عن الأفغاني، فقد اعتمدت بشكل أساسي على روايات الشيخ عبدالرحيم المريد التي يرويها عن أبيه عبدالله المريد الذي كان مريداً عند شيخه السيد الأفغاني. ثم مقارنتها مع الأحداث التاريخية التي برزت في القرن التاسع عشر ميلادي على سواحل

(21) المولد النبوي الشريف 1430 هـ - 2009 م - تكريم رواد المالد، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، ص 5.

(22) مصدر سابق، ص 5.

(23) عيسى المانع : مدير عام دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدبي 1993 - 2002 ومؤسس كلية الامام مالك في مقابلة 30 / 10 / 2010، إبراهيم بن حميدان : أحد المقربين من الشيخ عبدالرحيم المريد وهو من يتولى إقامه المالد اليوم، في مقابلة 23 / 11 / 2010، حمدان المعمرى : خليفة الشيخ عبدالرحيم المريد في عمان ومؤسس فرقة المريد التراثية للمولد النبوي، في مقابلة 26/11/2010م - سلطنة عمان.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

الخليج العربي وساحل مكران، ثم إسقاطها على حياة الأفغاني فهي كفيلا بأن تقرب لنا الصورة وتجعلنا نتعرف أكثر على السيد الأفغاني.

جاء السيد الأفغاني إلى دبي في عهد الشيخ حشر بن مكتوم بن بطي، أي حوالي (1859 - 1886م)⁽²⁴⁾، أما من أين جاء، فتوافر لدينا روايتان. تشير الرواية الأولى التي تنقسم إلى روايتين إلى : أنه وفد من الحجاز مع قوم من أهالي دبي، كانوا يحجون بيت الله الحرام فرأوا هذا الشيخ في الحرم المكي عابداً ومعلماً، فدعوه إلى بلدهم وأتوا به⁽²⁵⁾. والقول الثاني انه جاء من البحرين مع عرب من بني ياس⁽²⁶⁾. بينما الرواية الثانية⁽²⁷⁾ تقول: "أنه جاء من مصر، بعد رحلة علمية طويلة قطعها من أفغانستان قاصداً زيارة قبر السيد عبدالقادر الجيلاني في بغداد ثم إلى مصر قاصداً جامع الأزهر"⁽²⁸⁾، ودرس فيه حتى تخرج، ثم رحل إلى أبوظبي ثم إلى دبي". ويصف الأستاذ عبدالغفار حسين الأفغاني بأنه "رجل شغلته العبادة عن السياسة، وكاد الإنجليز وممثلوهم في دبي والشارقة يعترضون على وجوده، إذ ظنوه في البداية مشاكساً لهم كما كان عليه الأفغاني

(24) عبدالغفار حسين، رحيل الصوفي الكبير وزعيم المائد الشيخ عبدالرحيم المريد ، مقال، جريدة الخليج ، أكتوبر 2007.

(25) عبدالغفار حسين، مصدر سابق

(26) في مقابلة 06 / 11 / 2010 مع حسين عبدالغفار (ابن أخت الشيخ عبدالرحيم المريد) ، دبي.

(27) إبراهيم بن حميدان، مصدر سابق.

(28) الشيخ عبدالرحيم المريد يؤكد بأن الأفغاني درس في الأزهر، في مقابلة مسجلة - 23 مارس - 2005 قرية غضفان، ولاية لوى، سلطنة عمان .

المشهور جمال الدين الأفغاني، ولكنهم اكتشفوا بأنه من الصوفية الذين طلقوا الدنيا ولاذوا بالزهد"⁽²⁹⁾.

أما لماذا جاء. فلا يوجد تفسير محدد إلا من خلال تحليل حادثة إرسال السلاح من دبي إلى أفغانستان في عام 1915م، والتي تجعلنا نتساءل ما دخل شيخ صوفي يقيم احتفالات نبوية وحلقات الذكر في شراء أسلحة وإرسالها إلى أفغانستان؟ ولكن قبل الإجابة على هذا السؤال حري بنا استعراض الأحداث السياسية التي كانت في فترة حياة الأفغاني.

ففي العام 1902م بدأ تحالف حكام ساحل مكران مع الثوار الأفغان الثائرين في وجه بريطانيا، وفتح باب توصيل السلاح لهم من ساحل الخليج إلى أفغانستان. وفي 1906م حصل ممثلو الحركات الأفغانية على الدعم من الأمير بركات في ساحل مكران، ودعم العديد من المشايخ في ساحل الامارات، وعمان في ثورتهم المعادية ضد الاحتلال البريطاني في أفغانستان⁽³⁰⁾.

إذا ربطنا حادثة التهريب هذه بالأحداث التي كانت دائرة في إقليم مكران نفترض الآتي: فبالرغم من تصوف الأفغاني وهذا مما لا شك فيه، إلا أنه قد يكون من ضمن الأفغان الذين كانوا يتوافدون على سواحل

(29) عبدالغفار حسين، رحيل الصوفي الكبير وزعيم المالد الشيخ عبدالرحيم المريد، مقال، جريدة الخليج، أكتوبر 2007.

(30) بن دغار، رحلة الكابتن هلويز 1876 عبر الساحل في نهاية عهد الحكم العماني مع ملحق الأحداث التاريخية، الفرات للنشر والتوزيع، سبتمبر 2008، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ص 245 - 246، 250.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

الخليج العربي لشراء السلاح وإرساله إلى أفغانستان ضد الاستعمار البريطاني⁽³¹⁾. وتدعم هذه الفرضية بأن مجيء الأفغاني إلى دبي في فترة حكم الشيخ حشر بن مكتوم والتي هي تقريبا ما بين 1859-1886م، وهي فترة انتعاش تجارة السلاح في الخليج العربي ودبي. لذا فتجارة السلاح قد تجيب على جزء كبير من السؤال الذي طُرح: لماذا جاء ؟

محطة أبوظبي

في بداية قدومه مكث محمد عمر الأفغاني ومعه ثلاثة من الأفغان في أبوظبي⁽³²⁾، وعمل إماماً للمصلين في مسجد "مطر بن مطر"، وكان من بين المصلين بعض شيوخ أبوظبي من آل بوفلاح⁽³³⁾. وبقي الرجل في كنفهم، باعتباره رجلاً صالحاً، لا يرون فيه ما يثير الريبة، إلى أن بدأ يظهر لهم الكرامات⁽³⁴⁾. يقال إن حادثة الخنجر كانت الحادثة الأولى التي بها كسب الأفغاني قلوب الناس وبداية ذبوع صيته في أرجاء المعمورة.

يذكر الشيخ عبدالرحيم: "رأى الأفغاني أحد أبناء شيوخ أبوظبي يحمل خنجراً، فأمسك بيده وقال له ما هذا؟ فرد عليه: خنجر نقاتل به

(31) أثناء قيام الحرب الأفغانية الثالثة 1879م تدفق عدد كبير من الأفغان إلى مياه الخليج للتزود بالأسلحة عبر ميناء جواهر العماني على ساحل مكران، راجع: فاطمة بنت محمد بن سليمان الفريحي، تجارة السلاح في الخليج العربي 1297 - 1333 هـ / 1879 - 1914 م. دار الملك عبدالعزيز، سلسلة الرسائل الجامعية، 1425هـ / 2004 م. ص 117.

(32) لم يوجد أية أخبار عن الأفغان الباقين.

(33) خالد البدور. صفحات من تاريخ الصوفية بدولة الامارات العربية المتحدة، سيرة الشيخ عبدالرحيم المريد، 2009.

(34) نورد قصص الكرامات كجزء من أدبيات التصوف.

العدو، فرد الأفغاني بأنه مستحيل هذا خنجر، فأمسك برأس الخنجر بأصبعيه ولفه كما يلف الخبزة ، فأنكروا عليه، وقالوا ماذا فعلت بها يا سيد؟، فمسح عليها مرة أخرى بأصبعيه فردها كما كانت⁽³⁵⁾، وبهذه الحادثة يكسب الأفغاني قيمته الدينية والروحية، ويصعب على أحد ان يتهمه بالسحر أو الشعوذة لما رأوا منه من صلاح وتقوى وعبادة ومكوث دائم في المسجد، ولأنه من أولياء الله الصالحين. استمر السيد الأفغاني سبع سنين في أبوظبي، ولم يذكر الكثير عن أخباره، وبعدها ارتحل إلى دبي.

الانبعاث الجديد

يعد قدوم الأفغاني من بين أهم العوامل التي بعثت أخبار وسيرة التصوف في المنطقة، بعد أن انقطعت أخباره من رأس الخيمة⁽³⁶⁾. كانت الساحة الدينية مهياً لمجيء شيخ صوفي يستعرض قدراته الروحية، فالممارسات الدينية مثل زيارة قبور الأولياء وتعظيمهم كانت حاضرة⁽³⁷⁾، لذا لم يواجه معارضة دينية من قبل أهالي دبي بحكم أنهم مالكية⁽³⁸⁾،

(35) مصدر سابق، مقابلة مسجلة مع الشيخ عبد الرحيم المريد، ويسند هذه الحادثة الشيخ حمدان المميري على أن في التصوف: "كل ولي على قدم نبي"، وهذا قدم النبي داود عليه السلام، إلانة الحديد.

(36) لم يجد الباحث أية أخبار عن اتباع الطريقة العلوية الحدادية بعد دخول الوهابية في رأس الخيمة. قد نستدركه في بحث آخر.

(37) أهمها كان قبراً يسمى قبر "الولي".

(38) المذهب المالكي هو أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة الكبرى في العالم الإسلامي، وسمي بالمالكي نسبة إلى الإمام مالك بن أنس، راجع: د. مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الطبعة الخامسة، المجلد الأول، الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م، ص 116.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

بمعنى بـم تكن لهم حزازات تجاه التصوف وطقوسه. تشير بدايات الأفغاني في دبي أنه سكن في مسجد " الشيخ مبارك " في منطقة الشندغة⁽³⁹⁾، واعتكف في المسجد. ولاحظ الناس أن هذا الرجل منقطع للعبادة ولا يغادر المسجد، حتى وثقوا به وطلبوا منه أن يقوم بتدريس أطفالهم القرآن وعلوم الدين.

ثم انتقل للإقامة في منطقة الرفاعة في بر دبي، وقد أصبح معروفا إلى درجة أن الموضع الذي سكنه كانت به بعض أشجار السدر وقد سميت بعد ذلك بـ (سدر السيد)⁽⁴⁰⁾، ومن هناك بدأت سمعة الأفغاني تنتشر في القرى والبلدات المجاورة. في تلك الفترة الزمنية، كانت عمان سباقة في إقامة الموالد النبوية وحلقات الذكر التي يقيمها المتصوفة قبل الامارات⁽⁴¹⁾، وبالأخص في مناطق الباطنة. كان الشيخ السيد أحمد الهاشمي من علماء ولاية المصنعه يجمع أتباعه في منزله حيث تقام حلقات الذكر والموالد النبوية⁽⁴²⁾. ومن بين هؤلاء الحضور رجل يدعى أحمد الكوخردى⁽⁴³⁾، وابنه عبدالله بن أحمد الكوخردى. تنامى إلى سمعهم وجود السيد محمد عمر الأفغاني في دبي، فشدوا إليه الرحال في عام 1880م. ونزلوا عند مقره في بر دبي والقريب من حصن الفهيدى⁽⁴⁴⁾، فرحب بهم وأصبح الأب

(39) من أقدم الأحياء في دبي، وذاثر المنطقة اليوم، سبرى اهم معالمها القرية التراثية وبيت الشيخ سميذ بن مكتوم.

(40) خالد البدور، مصدر سابق، يتصرف.

(41) مقابلة المعمري، مصدر سابق.

(42) خالد البدور، مقالة غير منشورة، حول حياة الشيخ عبدالرحيم المريد.

(43) وفي بعض الروايات: "الفارسي"، المعمري.

(44) حصن الفهيدى حاليا، هو متحف دبي .

راشد أحمد الجميري

والابن مريدين للسيد محمد عمر الأفغاني. بعد فترة قصيرة توفي الأب الشيخ أحمد الكوخردى وبقي الشيخ عبدالله بن أحمد خادماً للسيد، وفي معيته وفرقته الصوفية وأحد كبار أتباعه بعد ذلك حتى أطلق عليه لقب بـ "المريد" (45).

التصوف والمدرسة الحنبلية

كانت المدرسة الحنبلية على خلاف مع التصوف بخلاف المدرسة المالكية، وقد بدأ صيت الأفغاني وممارساته بالذيع عند الأهالي؛ وكانت توجد جماعة من الحنابلة في الشارقة ودبي تنكر الموالد عليهم وتراها بدعة ضلالة. ولكن علماء دبي لم يعترضوا على إقامة المولد وإنما ينكرون طقس "ضرب الدبوس أو أكل الزجاج" (46). ويروي عبدالرحيم المريد هذه القصة الآتية (47): "جاء قاضي حنبلي من الشارقة وابنه قاصدين الأفغاني، وكان السيد محمد عمر لا يقوم إلا لمشايخ الدين، فقام له وسلم عليه. فبدأ القاضي حديثه مبيناً أن هذه الأعمال التي يقومون بها مخالفة للدين، وخاصة ضرب السيف والذكر الجوفي (48). فأمر الأفغاني خادمه قمبر لكي يأتي بالكتب الدينية، وبدأ الأفغاني حواراً مع القاضي، مستنداً بأن هذه الأعمال التي يقومون بها لا تتعارض مع الدين. أصر القاضي على

(45) المريد تعني: "الذي صح له الابتداء وقد دخل في جملة المنقطعين إلى الله تعالى".

(46) مصدر سابق، عيسى المانع.

(47) مصدر سابق، تسجيل صوتي، الشيخ عبدالرحيم.

(48) يوجد في التصوف نوعان من ذكر الله، الجهري والجوفي، الجوفي هو إخراج الصوت من جوف الذكور، وأتباع الطريقة النقشبندية يمارسونها.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

رأيه، فأتى الأفغاني بدليل ثانٍ وثالث، ولم يقتنع القاضي. فأمر الأفغاني خادمية قمبر وبلالا بضرب القاضي، فانها لا عليه بالضرب. قال له السيد الأفغاني: "اذهب وبلغ حاكم دبي أو القنصل البريطاني"، فذهبوا يشكون أمرهم للانجليز. فرد المسؤول البريطاني: "لماذا تذهب إليه، هذا لا أحد يقدر عليه".

أيضا تظهر لنا الرسالة المسماة "نبي دُعي في دبي" لصاحبها مبارك بن سيف الناهي (1898-1982) ⁽⁴⁹⁾ التي نشرتها مجلة المنار العام 1929، إلى النقد الموجه لبعض الممارسات عند الأفغاني ومريديه وعن قدوم أناس خارج دبي أتوا لطلب المدد منه حتى بعد مماته. جاء في مطلع الرسالة: "قدم إلى دبي رجل يدعى السيد جلال الهندي مرسل إلى هداية المعجم الكورخردية ⁽⁵⁰⁾ خاصة ⁽⁵¹⁾. وأضرم ناراً ودعا الناس إلى دخولها ليبين لهم قدراته الخارقة بأن النار لا تحرق. فأطاعوا أمره، وصدقوا لأول وهلة من قوله، وأخذوا يتهافتون على تلك (النار) المتقدة، ولسان حالهم يردد (مدد بوهاشم ⁽⁵²⁾ مدد) ظانين أنها لا تحرقهم ولا تلذعهم ولا تصليهم من حرها، وكأنَّ أبا هاشم نسي أو تناسى".

(49) شاعر وأديب من الشارقة.

(50) تقع في مركز بخش كوخرد و تتبع مدينة بستك أديابا. و تقع في محافظة هُرمُزكان في إيران:

http://www.kookherd.net/arabic/home_ar.htm

(51) أرجح أنهم عبدالله المريد وعبدالرحيم المريد.

(52) نرجح بأن بوهاشم، هو السيد محمد عمر الأفغاني، فلم يعرف أحد غيره بهذا الاسم.

الأفغاني والقوى السياسية

لم يذكر عن الأفغاني تدخله المباشر في الشأن السياسي الداخلي، على افتراض أن المذهب الصوفي أبعد ما يكون من الدخول في دهاeliz السياسة وتشعباتها بحكم غلبة الجانب التعبدي الروحي على أمور الحكم والسلطان. هذا بالإضافة إلى أن التصوف في دبي كان النموذج الصوفي البسيط، المتمثل في نموذج "علاقة الشيخ بمريديه". ولكن يتبين لنا من خلال حادثتين أن القوى السياسية في عمان ودبي استعانت بالأفغاني اعتقاداً منها بأن قوته الروحية مؤثرة في الأحداث.

في عهد الشيخ سهيل بن بطي آل مكتوم، جاء سلطان عمان فيصل بن تركي (1888م - 1913 م) إلى دبي، وطلب مقابلة الأفغاني. وحاول إقناعه بأن يذهب معه إلى عمان ويعينه على نصرة إحدى القبائل المتمردة. بشره الأفغاني بأن هؤلاء الجماعة سيصلون إلى موقعة معينة ويهزمون. وتقول الرواية بأن فيصل بن تركي رجع إلى عمان، وبالفعل صدقت نبوءة الافغاني، وانكسر القوم⁽⁵³⁾.

في دبي، تبنت الأسرة الحاكمة (آل مكتوم) التصوف منذ قدومه على يد الأفغاني، وأحسن وفادته الشيخ حشر بن مكتوم (1859 - 1886م)⁽⁵⁴⁾، وتأثرت به بعض شخصيات الطبقة الحاكمة

(53) مقابلة عبد الرحيم المريد، مصدر سابق.

(54) حسين عبدالغفار، رحيل الصوفي الكبير وزعيم المال عبد الرحيم المريد، مقالات نشرت في جريدة الخليج في أكتوبر 2007.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

ومنهم، الشيخ سعيد بن مكتوم بن حشر آل مكتوم، حاكم دبي (1912 - 1958م). وتبين لنا قصة استلام الشيخ سعيد للحكم كيف تمت الاستعانة بالأفغاني⁽⁵⁵⁾.

ففي العام 1912م، بعد وفاة الشيخ بطي بن سهيل آل مكتوم (1906م - 1912م)، قام أبناء راشد بن مكتوم وأحكموا قبضتهم على حصن الفهيدي، ليعلنوا أمام العامة بأن الحكم لهم، فما كان من المر بن حريز⁽⁵⁶⁾ إلا أن جاء بالشيخ سعيد بن مكتوم إلى السيد محمد عمر الأفغاني وتم إقناعه بأن الحكم الشرعي لسعيد بن مكتوم وأن يدعوا له لكي تميل الناس إليه. فرفع الأفغاني يديه وأمن الحاضرين معه، فرجع سعيد بن مكتوم إلى الحصن، فرآه الناس، وبايعوه⁽⁵⁷⁾. ويتساءل عبدالغفار حسين : هل هي صدفة، أم قوة الأفغاني الروحية جعلت أفئدة الناس تهوي إلى سعيد بن مكتوم، فهذا محل استفسار ؟ ولكن المجتمع في ذلك زمان لديه القابلية للاعتقاد بأن بمباركة رجل صالح كالأفغاني ودعائه ساعد سعيد بن مكتوم على تولي زمام الحكم.

كان الشيخ سعيد بن مكتوم ممن يحضرون حلقات الأفغاني، وينغمس في أجواء الذكر حتى يغمر عليه، ويقوم السيد محمد عمر الأفغاني ويربت على رأسه، وكان يشهد طقوس ضرب الدبوس ولكنه لم يمارسها⁽⁵⁸⁾.

(55) لا يسقط الباحث عوامل الوراثة والتحالفات القبلية التي هي العامل الرئيسي في استلام الحكم.

(56) أحد رجالات الشيخ سعيد بن مكتوم.

(57) يرويها عبدالغفار حسين عن جده عبد الله المريد (مريد السيد الأفغاني)، مصدر سابق.

(58) المعمري، مصدر سابق.

أعجب الشيخ سعيد بن مكتوم بالنموذج الصوفي في إحياء الموالد النبوية، فأرسل اثنين من أهالي دبي "خليفة الجلاف" وخلفان بن عيد البسطي إلى منقطة (جلاه) في بر فارس لكي يتعلموا فن إحياء الموالد النبوية في عام 1910م، ولكن المشروع لم يكتمل إذ رجع الاثنان⁽⁵⁹⁾.

تأثير الأفغاني

ومن الإشارات التي تدل على شيوع صيت السيد محمد عمر الأفغاني، ومدرسته الصوفية في المنطقة، القصائد المنسوبة للفقهاء محمد بن حمود الشحي⁽⁶⁰⁾، إذ يقول في قصيدته مادحا فيها محمد عمر الأفغاني⁽⁶¹⁾:

انت الذي سميت محمد عمر سلاله صفوة القهار

نهاية المؤسس

في سنة 1915م قام السيد الأفغاني بشراء مائة بندقية من مسقط⁽⁶²⁾، ليرسلها إلى أفغانستان. وكان طريق تهريب السلاح يمر عن طريق مكران⁽⁶³⁾. فرحل من دبي إلى مكران، مرورا بجزيرة السلامة

(59) مقابلة في 1 / 11 / 2010 مع بلال البدور.

(60) نسبة إلى قبيلة الشحوح القاطنة في إمارة رأس الخيمة، راجع: فالح حنظل، الشحوح وتاريخ منطقة رؤوس الجبال في الخليج العربي، الطبعة الأولى، ص 311.

(61) أرجح أنه محمد عمر الأفغاني، على خلاف ما ذكر الأستاذ فالح حنظل، بأنه جمال الدين الأفغاني، والدليل أن القصيدة تضمنت كثيرا من المصطلحات الصوفية مثل: الأقطاب والأبدال.

(62) المرید، مصدر سابق.

(63) مكران، إقليم بطول 1100 كم على ساحل خليج عمان، 700 كم في باكستان والباقي في إيران: <http://ar.wikipedia.org>، تمت زيارة الموقع في يوم 5 / 6 / 2011.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

التي تقابل منطقة خصب (التابعة حالياً لمحافظة مسندم)⁽⁶⁴⁾. اكتشفت بريطانيا التي كانت تفرض سياسة حظر السلاح على ساحل مكران، أن الأفغاني قد نجح في إرسال شحنة من الأسلحة إلى أفغانستان، فبدأت تلاحقه. ولكن حاكم إقليم مكران بركات خان⁽⁶⁵⁾، والذي يعتبر أحد مريدي الأفغاني⁽⁶⁶⁾ وفر الحماية السياسية للأفغاني. طلبت بريطانيا من بركات خان إبعاد الأفغاني ولكن قبول الطلب بالرفض. ونستدل على هذه الحادثة بما أورده بن دغار في كتابه "رحلة الكابتن فلوير"⁽⁶⁷⁾؛ في العام 1915م يلجأ الثائر الأفغاني خليفة عمر المشهور باسم مولانا⁽⁶⁸⁾ إلى الأمير بركات على ساحل مكران قادماً من دبي، بعد أن اكتشفت السلطات البريطانية كميات الأسلحة التي أرسلها لأفغانستان عن طريق تجار دبي، ويرفض بركات الطلب الذي قدمه الانجليز لوزيره بإبعاده. بعدها عازمت بريطانيا على التخلص من السيد الأفغاني.

أما قصة مقتل الأفغاني، فيقول المريد: "في ليلة التاسع والعشرين من رمضان، أمر الأفغاني حارسه الشخصي أن يتركه وحيداً اليوم، ولم يحمل معه أية سلاح⁽⁶⁹⁾، وراح يتفقد خيوله وجماله، ثم بدأ يصلي، حتى

(64) مصدر سابق : تسجيل صوتي - مقابلة الشيخ عبدالرحيم - 2005.

(65) في مكران، ويعتبر من أكبر المتورطين في تجارة السلاح على ساحل مكران المير بركات خان، حاكم بيابان.

(66) لمريد، مصدر سابق.

(67) بن دغار، رحلة الكابتن فلوير 1876 عبر الساحل في نهاية عهد الحكم العماني مع ملحق الأحداث التاريخية،

انفراة للنشر والتوزيع، سبتمبر 2008، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ص 250.

(68) يطلق على السيد محمد عمر الأفغاني في بلوشستان "مولانا"، المريد، مصدر سابق.

(69) يذكر المريد، بأن الأفغاني عندما كان في دبي، دائماً يمشي وهو مبرز بندقيته.

راشد أحمد الجميري

دخل عليه جاسوس الانجليز الملقب بعبد الله قمبر⁽⁷⁰⁾، وخادمه الشخصي قمبر، وبدءا ينهالان عليه بالضرب بالحديد وإطلاق النار، ولكن لا يصيبه شي. هنا تذكر الخادم قمبر مقولة الأفغاني "لا يضرني شي سوى الحديد أو الرصاص إلا إذا كان منجساً". فقاما ونجسا الرصاص بالبول، وأطلقا النار على السيد الأفغاني، فخر صريعاً وهو في التشهد الأخير. تنامي الخبر إلى الحاكم بركات خان، فطلب في أمرهما وتم إعدامهما. وهذه الرواية تطابق رواية بن دغار⁽⁷¹⁾: في أغسطس (آب) 1916م مقتل النائب خليفه عمر، مولانا في بيابان، بتحريض بريطاني ويتم إعدام القاتل بأمر حكومة الأمير بركات. وأقيم للسيد محمد عمر الأفغاني ضريح في منطقة جاشك⁽⁷²⁾، وبدأت الناس تتوافد لزيارة قبره. وما زال الضريح قائماً⁽⁷³⁾.

(70) من خلال مقابلة الشيخ المريد، يتبين أن هذا الجاسوس عبد الله قمبر كان يراقب الأفغاني منذ تحركاته من دبي إلى مكران، لأنه صادق خادم الأفغاني قمبر قبل رحلتهم.

(71) بن دغار، مصدر سابق، ص 250.

(72) جاشك : منطقة في بلوشستان حالياً.

(73) مصدر سابق، المعمرى.

المبحث الثالث مرحلة الصعود: عبدالله المريد وعبدالرحيم المريد (1916م - 2007م)

الطريقة الأحمدية الرفاعية عبدالله المريد

بعد وفاة الأفغاني خلفه عبدالله المريد، وانتقلت إليه زعامة الطريقة بحكم أنه أقرب المقربين إلى الأفغاني من غيره، إذ لا يخلف المريد شيخه إلا بعد أن يُجاز، أو يُعطى إجازة منه كما هو متعارف عليه في التقاليد الصوفية. وحسب الروايات المتناقلة أجاز السيد محمد عمر الأفغاني عبدالله المريد وابنه عبدالرحيم المريد. ويرجع له الفضل في إحداث نقلة في حركة التصوف، إذ أضاف عليها الطريقة الرفاعية. يقول ابنه الشيخ عبدالرحيم المريد⁽⁷⁴⁾: "في أيام الأفغاني كان عبدالله يسير على الطريقة القادرية حتى جاء رجل من العراق يسمى أحمد الراوي وكيل مقام السيد أحمد الرفاعي وأعطاه الطريقة الرفاعية⁽⁷⁵⁾. فذهب عبدالله إلى السيد محمد عمر الأفغاني بحكم أنه الشيخ، وهذا مريده يستشيريه ماذا يفعل فأشار عليه أن يأخذ بها".

(74) مقابلة أجراها خالد البدور مع الشيخ عبدالرحيم المريد بتاريخ 18 / 03 / 2007.

(75) مؤسس هذه الطريقة الإمام السيد أبو عباس أحمد محيي الدين بن الحسن الرفاعي في العراق (1090م - 1156م).

راشد أحمد الجميري

يذكر الشيخ عبدالرحيم المريد من كرامات أبيه الشيخ عبدالله المريد: "طلبنا الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان حاكم ابوظبي (1928 - 1966م) من الشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي، يستأذنه بأن يستضيف والدي (عبدالله المريد) للمكوث في ابوظبي لمدة شهر، ولكن الإقامة امتدت بنا ثلاثة أشهر وكنا تسعة أشخاص. وبينما نحن نتوضأ لصلاة العصر، جاءنا شيخ من قطر ومعه ثلاثون تلميذاً. قال الشيخ القطري: نحن نقرأ عن كرامات الأولياء الصالحين، ولكننا لم نرها بالعين، لذا فنحن نريد أن نراها الآن. فرد الشيخ عبدالله المريد: موعدا العشاء عند المولد، فأصر الشيخ القطري على أن تمارس الآن. فبدأت الطقوس وقام شخصان وضربا بالدبوس، وبدأ الشيخ القطري بقراءة القرآن والنفخ عليهما حتى إن كان أمر ضرب الحديد سحراً فسيبطله. أمر عبدالله المريد الشيخ القطري بسحب الدبوس، فسحب من الأول ولم يخرج دم، فعجب القطري، ثم سحب الثاني، فتدفق الدم عليه بشكل كبير، فصاح "أوقفوه"، فجاء عبدالله المريد ووضع أصبعه حتى على موضع الدم فتوقف. بعدها قال القطري: "من كان مع الله كان الله معه، آمنت وصدقت".

توفي الشيخ عبدالله المريد في أواخر الستينيات ليخلفه في زعامة الطريقة ابنه عبدالرحيم المريد.

عبدالرحيم المريد

هو عبدالرحيم بن عبدالله بن أحمد الكوخردى الملقب بـ المريد. ولد الشيخ عبد الرحيم في دبي في السنوات الأولى من القرن العشرين وتقدر المصادر أنها كانت بين 1900م و1905م. ويذكر الأستاذ عبد الغفار حسين (وهو ابن أخت الشيخ عبد الرحيم) أن ولادة الشيخ كانت العام 1902م، وأن الشيخ كان في العاشرة من عمره عندما توفي الشيخ بطي بن سهيل حاكم إمارة دبي في تلك الفترة وكانت وفاته العام 1912م. ولقصة تسميته بعبدالرحيم حادثة يرويها مريدوه: "عندما رزق الشيخ عبدالله المريد بعبدالرحيم، ذهب إلى السيد الأفغاني، فسماه الأفغاني بعبدالرحيم تيمنا بعبدالرحيم البرعي". لا نملك الكثير عن حياة الشيخ في فترة صباه وبداية شبابه إلا أنه ذهب إلى القوص وهو ابن 12 ربيعاً⁽⁷⁶⁾. ثم أصبح يتاجر بالأقمشة والعطورات بين المملكة العربية السعودية والكويت، وتفرغ لحضور حلقات الذكر وإقامة الموالد النبوية إلى آخر أيامه.

بدأ عبدالرحيم يتعلم فن الموالد وهو بين الخامسة عشرة والعشرين، يؤدي مولد البرزنجي مع أبيه عبدالله المريد، بعد ذلك تعلم مولد "الهومة". كذلك تعلم من بعض المشايخ الذين كانوا يقيمون الموالد ثاني بن أحمد بن عفصان الذي كان يقيم في منطقة جميرا والشيخ محمد

(76) حوار بين عبدالرحيم المريد وخالد البدور، راجع فيلم المريد.

راشد أحمد الجميري

بن رهياف، وعبيد بن سويدان ومحمد بن سليّم ومحمد راشد المرر ورashed بن عاضد⁽⁷⁷⁾.

بدأ اسمه ينتشر بين الناس، بسبب أن الكثير من العائلات تطلبه ليقيم الموالد في حفلات الزواج. وبسبب الأداء الجيد والصوت المميز الذي كان يملكه أصبح من القلة المتخصصين في أداء (مالد السّماع)، أو الضرب بالدقوف، وكان الشيخ يؤديه كواجب اجتماعي وديني ولم يكن يطلب أجراً. ولم يتعلم الشيخ عبد الرحيم القراءة أو الكتابة على يد أي من العلماء أو المشايخ، حتى بلغ الستين من عمره. أما كيفية تعلمه فذلك قصة غريبة ذكرها الشيخ وأوردها بعد ذلك الشيخ حمدان المعمرى.

قال الشيخ عبد الرحيم: أن الشيخ عبد الرحمن بن حافظ (والد الشيخ أحمد بن حافظ) أعطاه كتاب (سيرة البرزنجي)؛ وطلب منه أن يقوم بكتابه أو بالأحرى (رسم) حروف كلماته كاملة لأنه لا يعرف الكتابة. في ذلك الوقت لم تكن للشيخ أية معرفة بالكتابة أو بالقراءة. بدأ الشيخ بكتابة حروف الكلمات كأشكال فقط، ثم استمر في المحاولة، وعكف عليها مدة ثلاثة أيام إلى أن انتهى من كامل السيرة. وقد قام بتعلم القراءة وخلال فترة وجيزة حفظ (سيرة البرزنجي) كاملة. وقد قام بحفظ نسخة الكتاب تلك والقراءة منها خلال الموالد، وبقيت معه حتى وفاته. ويحتفظ

(77) المصدر السابق، خالد البدور.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم الميريد

بالنسخة حالياً الشيخ حمدان المعمري، وحين ننظر إلى شكل الخط نجد أن الشيخ أجاده إجادة تامة بخط نسخ جميل ومُتقن⁽⁷⁸⁾.

ضرب الحديد

لم يكن متصوفة دبي بعبيدين عن التقاليد التي كان يمارسها متصوفة العالم العربي والاسلامي، وقد اشتهروا كثيراً بطقس ضرب الحديد أو ضرب الشيش. وهي ظاهرة شائعة لدى الطرق الصوفية، وبالأخص الطريقة الأحمدية الرفاعية حيث يبدأ الحاضرون بذكر الله سبحانه وتعالى والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. بعد الوصول إلى درجة عالية من النشوة الروحية يبدأ الحاضرون بترديد "لا إله إلا الله"، "لا إله إلا الله"، عندها يقوم الشيخ بفرز الدبوس، وهو سيخ من الحديد في أعلى الصدر قرب عظم الترقوة للمريد. لا يشعر بالألم من يمارس هذا الطقس لحالة التجلي والقرب من الله ساعتها. وإذا سال الدم فيكفي أن يضع الشيخ إصبعه في الموضع فيتوقف الدم⁽⁷⁹⁾.

في الخمسينات من القرن الماضي شكك الإنجليز بقدرات الشيخ عبد الله والشيخ عبد الرحيم على القيام بتلك الأعمال؛ فجاءوا إلى دبي في باخرة تسمى "جسوره" إلى بيت المر بن حريز، وهو والد الشيخة حصة بنت المر، حيث أقام الشيخ عبد الله برفقة ابنه الشيخ عبد الرحيم حلقة

(78) المصدر السابق، خالد البدور، وقد رآها الباحث أثناء مقابلة حمدان المعمري.

(79) رواد المال، مصدر سابق، ص 7.

راشد أحمد الجميري

من حلقات المولد وقام الشيخ عبد الرحيم بإدخال السيف في بطنه وغرز جسده بالدبوس، وقام الإنجليز بتصوير ذلك حيث شاهدوا هذه الممارسة بأعينهم وتأكدوا من حقيقة أنه لا يوجد أي خداع أو إيهاام من قبل الشيخ، وقد نشرت الصور التي قام بالتقاطها رونالد كودري في مجلة ناشيونال جيوغرافيك الأمريكية حوالي عام 1958م، كذلك نشرت في كتاب الألبوم العربي للصور الفوتوغرافية التي التقطها كودري⁽⁸⁰⁾.

يروى كودري في مذكراته⁽⁸¹⁾ أثناء قيامه برحلة إلى إمارات الساحل المتصالح ففي اليوم السادس من عام 1954م: "في دبي، سنحت لي الفرصة معاينة العديد من الاحتفالات الغريبة. وكان أغربها طقس تؤديه جماعة من الصوفية. جرى الحفل ليلا، وقاده زعيم ديني كبير في السن، ذو لحية كثيفة مصبوعة بالحناء، ويعاونه اثنان من أبنائه. وكان أغلب الحاضرين من الزنوج و الإيرانيين والعرب والبلوش. وكان الحاضرون يجلسون على سجاد مفروش تحت النخل، مصطفين في صفين متقابلين. وفي صف، كان الرجال يحملون طبولا صغيرة، يدفنونها على نار الفحم. وأمامهم، سيف وعدد من الخناجر الموضوعة على الأرض، حيث كان يجلس الزعيم⁽⁸²⁾. وشرح كودري تفاصيل طقس المالد، فيقول: "وعلى دقات بطيئة وعالية، بدأ الصفاان ينشدان باللغة العربية، وأخذ كل واحد

(80) يمكن للقارئ ان يراجع النسخة الانجليزية.

(81) انظر النص كاملاً في مجلة "ناشونال جيوغرافيك" العربية، عدد ديسمبر 2010، عنوان المقال: الإمارات في أرشيف ناشيونال جيوغرافيك - إمارات الساحل المتصالح، ص 42 - 43.

(82) ويظهر في النسخة الإنجليزية من كتاب كودري الشيخ عبد الرحيم المريد وهو يمارس طقس ضرب السيف.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

يشد على يد زميله، ويقفون على ركبهم ومن ثم على أقدامهم، وينظرون أعلى، كما لو أنهم ينادون السماء".

وعن طقس ضرب الدبوس يردف قائلاً: "كان الزعيم يدق الأرض بسيفه، فإذا به يوجهه فجأة نحو أحد المريدين، وهو فتى في الرابعة عشرة من العمر. أخذ الفتى يتمايل، واقترب الزعيم، الذي أخذ الخنجر وغرسه في كتفه. وقد واصل الفتى تمايله جيئةً وذهاباً عدة دقائق، إلى أن سحب الزعيم الخنجر وعاد إلى الحلقة. ولم تتزف قطرة دم واحدة، رغم أنني رأيت بأم عيني رأس الخنجر وقد اخترق ظهر ذلك الشاب. ثم أشار الزعيم إلى شخص آخر (تلك الإشارة تعني الحصانة من الأذى). وفي هذه المرة غرس المريد بيده الخنجر في كتفه، ثم سحب الخنجر وتناول سيفاً. وعلى دقات الطبول وهو راكع على ركبتيه، أخذ يرفع السيف فوق رأسه ويشرط ظهره. بعد ذلك، أمسك السيف من حديه وأخذ يلكز به بطنه العاري".

توقف طقس "ضرب الحديد" في دبي، بعد أن منع بأمر من حاكم دبي الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم في سنة 2007، ويقول حمدان المعمرى: "أمر المريد أتباعه بعدم العمل بهذا الطقس نزولاً عند كلمة ولي الأمر"⁽⁸³⁾.

(83) مصدر سابق، حمدان المعمرى.

المالد

يتكون "المالد" من صف من الجالسين يحملون بأيديهم دقوقاً ضخمة، يلوحون بها في الهواء ويضربون عليها ويبدأ القوم بالنشيد الذي هو عبارة عن كتاب "البرزنجي" الذي يسرد سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وفي مواجهة هذا الصف يجلس عدد من المنشدين وقد تلاصقت أكتافهم يتمايلون يمينا وشمالا. وهناك ثلاثة شروط لابد من توافرها لأداء فن المالد وهي:

أولاً: النص هو عبارة عن كتاب البرزنجي، موضوعها قصة النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: المنشد وعادة ما يكون من الفقهاء الذين تتوافر فيهم القدرة على فهم السيرة وحفظها عن ظهر قلب، وجمال الصوت. كذلك لا بد من أن تتوافر فيه صفة القيادة للفريق المؤدى للفن. ويسمى المنشد "النظيم".

ثالثاً: المنشدون، وهؤلاء ينقسمون إلى مجموعتين، الأولى حملة الدقوق "الطيران"، ويقومون بالضرب عليها برفقة المنشد، وأحيانا يشاركون المنشد في النشيد جماعياً، والمجموعة الثانية ويكون عددها أكثر من المجموعة الأولى حيث يقوم أفرادها بترديد البيت الذي يمثل لازمة النشيد كله، أما المناسبات التي يقام فيها المالد فهي متعددة أهمها الأفراح

ومن ثم يبدأ التوشيح ترده جماعة المنشدين بكاملها ومعهم المنشد بينما تطلق مجموعة الرديده؛ صيحاتها مثل "اللاهو - هاه - ها"، ويستمر المالد عادة بين ساعتين إلى ساعتين ونصف، تؤدي الفرقة خلالها أربعة أو خمسة فصول⁽⁸⁴⁾.

فرقة المريد للمالد

أحدث الشيخ عبد الرحيم المريد نقلة نوعية في فن المالد، إذ ذهب مع خادم المعصم وربيّع البدور إلى الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي، وتقدموا بطلب تأسيس جمعية دبي للفنون الشعبية، وقد وافق الشيخ راشد وتشكلت الجمعية التي وفرت الدعم لجميع الفنون التقليدية، وحينها تشكلت لأول مرة وبشكل رسمي فرقة خاصة بالمالد تحت اسم "فرقة المريد للمالد"، وكانت تعمل تحت مظلة جمعية دبي للفنون الشعبية. بتكوين هذه الفرقة أصبح للموالد وللمرة الأولى شخصية اعتبارية وتنظيمية. يكشف هذا عن بعد نظر الشيخ مبكراً لنقل إقامة الموالد من مجرد حلقات خاصة في البيوت إلى أن تكون ذات إطار رسمي يعزز من دورها في المجتمع، كما يساهم في إدارة العمل ضمن إطار تنظيمي، وقد ساهم ذلك في تسهيل العمل على أفراد المالد وازدياد الطلب على إقامة الموالد، وحفظ حقوق المؤدين من خلال حصولهم على مكافآت المشاركة في إحياء الأعراس، مما ساعد على بقاء هذا اللون التقليدي.

(84) منشورات المجمع الثقافي، لمحات عن تراث وفلكلور مجتمع الامارات، إعداد جمعية النخيل للفنون الشعبية، رأس الخيمة، الطبعة الأولى 1996.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

تأثر الكثيرون بخبرة الشيخ في الموالد فجاءوا إليه ليتعلموا منه. ومنهم الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن حافظ يقود "فرقة ابن حافظ"⁽⁸⁵⁾، وجمعة جعفر وأبناء الشيخ إبراهيم بن حميدان وغيرهم. كما ساهم المريد في تدريب الجيل الشاب على أداء الموالد وكان يحرص على الجلوس مع الشباب، ويخصص لهم الوقت الكافي للتدرب على الإنشاد والإلقاء وإجادة الألحان والضرب على الدف. ومن مساهماته أن قام بتدريب فرقة وزارة الثقافة للفنون الشعبية على أداء المالد وهي الفرقة الرسمية لدولة الإمارات التي تؤدي فن المالد في المشاركات المحلية والدولية. ومن أهم من لازم الشيخ عبدالرحيم المريد وتلمذ على يديه، إبراهيم بن حميدان وأبناؤه⁽⁸⁶⁾، ومحمد بن عبدالله الحداد، وحمدان المعمرى.

المد العماني الجديد⁽⁸⁷⁾

في العام 1997 يرجع مرة أخرى المد العماني إلى دبي، على رأس شاب طموح يملؤه الفضول في معرفة أسرار التصوف وسر ضرب الدبوس عند الطريقة الرفاعية الأحمدية، هذا الشاب هو حمدان المعمرى. إذ لم يكن في عمان من يضرب بالدبوس إلا فئة قليلة جدا منغلقة على نفسها. وفئة تضرب عن طريق ممارسة الجن.

(85) مصدر سابق، رواد المالد.

(86) من سكان دبي، ويقيمون في منطقة الخوانيج.

(87) مصدر سابق، مقابلة المعمرى.

راشد أحمد الجميري

في بداياته، ذهب المعمري يجوب بعض المدن العربية باحثاً عن "الطريقة الرفاعية لطعن الحديد"، أو ما يسمى ضرب الدبوس. ذهب في البداية إلى مصر يبحث عن إجازة من شيخ لممارسة هذه الطقوس. التقى بشيخ من الطريقة الرفاعية عند مقام علي أبو شباك الرفاعي في القاهرة. وسأله عن إجازة الضرب بالحديد. فقال له الشيخ: "يا ابني شيخك ليس في مصر وإنما في الخليج". وفي إحدى المناسبات، التقى المعمري بأحد أبناء الطريقة الرفاعية في إمارة الفجيرة "محمد يوسف آل يوسف" ودله على الشيخ عبدالرحيم المريد.

وبدأ المعمري يزور الشيخ مرتين في الأسبوع قادماً من عمان. وكان هو العماني الوحيد الذي يجالس الشيخ. ويذكر المعمري من كان يحضر عند الشيخ: "محمد الحداد، وبعض المصريين والسوريين، وقلة من الإماراتيين". ويكثر الإماراتيون في المناسبات الدينية مثل المولد النبوي، أو ليلة الإسراء والمعراج. في 1999 أعطى عبدالرحيم المريد حمدان المعمري الأوراد العامة، التي تجعل من المريد ابناً للطريقة الرفاعية ومحسوباً على الشيخ. هنا بدأ المعمري يجمع ما يقرب من 50 شاباً عمانياً حول الشيخ.

ويشرح المعمري كيف يتم اختبار طلبة الشيخ، ففي البداية يراقب الشيخ الطالب في المجلس ويراه هل هو محب أم لا، ويستخير الله فيه. ثم يعطيه أول امتحان وهو الاستغفار ثلاثة أيام - مائة ألف مرة "استغفرا الله الغفور الرحيم"، فإن لم يكملها واستصعبها قال له، قد يكون شيخك في مكان ما. وتنقسم الأوراد إلى قسمين: عامة وخاصة. العامة: "لا إله إلا

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

الله " 500 مرة - 200 استغفار ، 200 الصلاة على النبي. تعطى الخاصة: بعد أن يعطى العامة بكم سنة، لأنها أقوى وأشد 1600 في اليوم من الأذكار والأوراد.

ظل المعمري لمدة سنتين يلح على الشيخ عبدالرحيم المريد بأن يعطى الإجازة في طعن الحديد. بعدها قال له المريد "أجزنا لك". حاول المعمري أن يجرب هذا الطقس ولكنه لم يستطع، فاستدعى الشيخ إلى عمان وقال له، لم أستطع الضرب، فرد الشيخ: "لكي تعلم بأنها ليست للعب أو لحب الظهور أمام العامة، وإنما هذه كرامة تخرج في حالة ظرفية خاصة".

في العام 2000 أُعطي المعمري الخلافة "أن يكون خليفة للشيخ المريد في إقامة الحضرات، إقامة الموالد، الطعن (الطعن النفسي والآخرين)، وإعطاء الإجازة في الطريقة الرفاعية" (88).

في العام 2007 رحل الشيخ عبدالرحيم المريد عن عمر يناهز 105 عام، وبموته ظهر خلاف بين أتباعه على من يتبعه.

(88) توجد في مكتبة المعمري في عمان، ويؤكد ذلك ابن الشيخ عبدالرحيم المريد، محمد في مقابلة له في فيلم المريد لخالد البدور.

المبحث الرابع مرحلة الركود

بعد هذا التاريخ الحافل بإقامة الموالد، وجلسات ضرب الدبوس، والنشوات الروحانية التي كانت تعم أرجاء إمارة دبي. تعيش الصوفية اليوم حالة من الركود في نشاطها وفقدت الكثير من مكانتها على الساحة الدينية. ويعتبر رحيل الشيخ عبدالرحيم المريد في 2007، خسارة كبيرة باعتباره أبرز أعلامها التقليديين وملهميها. إذ بموته فقد التصوف الهالة الروحانية التي كانت تحيط به وتجمع حوله الأتباع، سواء من المواطنين أو الجاليات العربية أو العمانية. وما يهدد إكمال المسيرة و يضعف سلسلة حركة "المريد"، هو أنه ليس هناك أحد من عائلته أو أحفاده اليوم لديه الطموح الديني الذي كان ينبع منه وأبيه عبدالله⁽⁸⁹⁾.

رأينا خلال مسيرة التصوف، خلف عبدالله المريد، السيد الافغاني ثم خلف عبدالرحيم المريد أبيه عبدالله، أما بعد وفاة عبدالرحيم بدأ التصدع داخل الحركة يدب على من سيخلفه إلى الكثير من التصدع داخل الحركة. أهم أبناء بن حميدان أم الشيخ حمدان المعمرى؟ اختلفت الأقوال، إلا أن الراجح بأن خليفته من بعده في دبي هم أبناء بن حميدان، وفي سلطنة عمان الشيخ حمدان المعمرى. ويتساءل الشيخ عيسى المانع فيما

(89) فيلم المريد، مصدر سابق.

الصوفية في دبي من الأفغاني إلى عبدالرحيم المريد

يخص خلافة المريد لشيخه قائلاً: "الشيخ يجيز المريد بالأوراد المسندة، أما مسألة أن يخلفني من بعد فهذه لم أسمع بها"⁽⁹⁰⁾.

يبلغ أتباع الشيخ حمدان العمري اليوم ما يقرب خمسين شخصاً من سلطنة عمان، ويقيمون المولد النبوي كل أربعاء في منزله. أبرز البيوتات التي تقيم الموالد في دبي:

- منزل محمد الحداد القاطن في الحميرية.
- منزل إبراهيم ابن حميدان القاطن في الخوانيج.
- منزل الشيخ عيسى المانع القاطن في منطقة الصفا.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل هذا التراث الروحي الصوفي قادر على الصمود أمام المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها دبي؟

(90) فيلم المريد، مصدر سابق.

المسبار

المسبار

التصوف في البحرين والكويت

عمر البشير الترابي(*)

التصوف في البحرين والكويت؛ صوت خجول، وباب
موصد لما يفتحه الباحثون بعد، وما زال أهله يُداخلهم الخوف
والتسترو والتقية، في بلاد كانت في يوم ما صوفية خالصة، اكتسحتها
التيارات الإسلامية، التي ترى في التصوف نوعاً من العادات
المنبوذة، والشعوذات المهجورة، إلى أن استيقظ العالم على انهيار
أبراج التجارة في 11 سبتمبر 2001، فلم يعد بد من طرح خيار
التصوف أو إحيائه وفسح الأبواب له من جديد، ليأخذ دوره، انضاف
إلى ذلك صعود الطائفية في البحرين والكويت وهما بلدان يشهدان
سباقات ديمقراطية محمومة وسجلات فكرية متواصلة، عاد إليها
التصوف بعد صمت وتحرك فيها بعد ركود.

(*) كاتب وباحث سوداني، عضو هيئة التحرير في مركز المسبار للدراسات والبحوث.

التصوف في البحرين والكويت

هذه الورقة، تضع ملامح عامة للوجود الصوفي في البحرين والكويت، وتشير إلى التاريخ والأصول والأشياخ وتذكر الطرق، والملح السياسي، لهذا الوجود.

اخترنا البحرين والكويت، لوجوه الشبه الكبيرة ، فهما يعيشان تعددًا سُنيًا شيعيًا، وطرأ عليهما وجود سلفي وإسلاموي وإخواني. ويتشابه البلدان في أن لهما بيئة سياسية متشابهة، فيها مساحة من الحريات والحراك السياسي والاجتماعي.

ترسم هذه الدراسة الخطوط العريضة للطرق، وسلسلة الرموز البارزة، والعلاقة مع القيادة السياسية والموقف من الآخر الشيعي، والإسلامي.

متصوفة البحرين

"التصوف ليس مذهباً ولا عقيدة.. التصوف سلوك دعا إليه الرسول".

بهذه الكلمات أفاض الشيخ راشد بن إبراهيم المريخي اللثام عن عريضة دفاعه عن التصوف في البحرين وبدأ دفاعه أمام من يبدعون، مؤكداً أن البحرين مالكية المذهب، صوفية الهوى منذ قرون طويلة وإلى وقت قريب حدده بعقدين من الزمان، مستنكراً الهجوم الشرس الذي

عمر البشير الترابي

وجهه السلفيون إليه و إلى صوفية البحرين، نافياً عن ذاته، وطريقته أية بدع⁽¹⁾.

البحرين التي كانت من أوائل الأمصار التي دخلها الإسلام، أرض حضارات قديمة متعاقبة تمتد لآلاف السنين، لا يمكن تجاوز تأثير تلك الحضارات المتوارثة في تشكيل البنية النفسية لإنسان البحرين، فكونه ابن أرض كانت مركزاً لحضارة دلمون، وبلاد تواليت عليها ألسن مختلفة وأديان متباينة؛ عربية وأعجمية مسيحية ويهودية وإسلامية وغيرها؛ وظلت ممراً تجارياً لعقود طويلة؛ ومعبراً لمختلف الثقافات والمذاهب والعرقيات؛ كل ذلك منح أهلها قدرة متوارثة على التعايش مع الأغراب والمختلفين، وقبول للتعدد والتمايز.

لذلك وبعد دخول الإسلام إلى البحرين، وتشكل الإسلام السُّني والشيعي؛ تمايز أهلها إلى سُنّة وشيعة. ولعل حضور "ذاكرة المكان" وتعطش إنسان البحرين للروحانيات، جعل للتصوف موطئ قدم فيها؛ فينازع الصوفية بالقول: إن البحرين كانت صوفية خالصة قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

يؤكد الدكتور بشار الحادي أصالة الصوفية في البحرين وانتشاره فيها. وأشهر الطرق ورموزها من أهل البحرين، وأن أولى الطرق هي: "الطريقة العادلية"⁽²⁾ الحريثة السهروردية التي كانت موجودة بالبحرين

(1) جريدة الوسط البحرينية، نوافذ، حوار مع الشيخ إبراهيم المريخي، في 7 أكتوبر، 2008، العدد: 2223.

(2) العادلي نسبة للشيخ بدر الدين العادلي الذي أخذ عنه الطريق.

التصوف في البحرين والكويت

في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي؛ ومن أشهر من انتسب لها من أهل العلم: الشيخ عبدالله بن نشوان الظهراني العادلي طريقةً، والأوالي مولدًا، والخط مسكنًا، كان حيا سنة 1059هـ/ 1649 من علماء البحرين في تلك الحقبة. والشيخ عثمان بن حمد بن راشد بن ربيعة الشويهي مسكنًا العادلي طريقةً والأشعري معتقدًا كان حيا سنة 1066هـ/ 1655. " و الطريقة النقشبندية الخالدية في القرن 13هـ/ التاسع عشر الميلادي ومن أشهر شيوخها : الشيخ حسين بن أحمد الدوسري الخالدي⁽³⁾ النقشبندي كان حيا سنة 1244هـ/ 1828. و الطريقة القادرية في القرن 13هـ ومن أشهر شيوخها : الشيخ عثمان بن جامع الحنبلي القادري طريقة قاضي البحرين المتوفى سنة 1240هـ/ 1824. الطريقة الرفاعية في القرن 14هـ ومن أشهر شيوخها : الشيخ محمد بن سعد بن علي بن حمود البقيشي الرفاعي طريقة خطيب جامع المنامة الناسخ المشهور المتوفى سنة 1307هـ/ 1889. والطريقة النقشبندية في القرن 14هـ : ومن أشهر من انتسب لها : الشيخ إبراهيم بن هاشل بن عجمي الشافعي النقشبندي طريقة المتوفى سنة 1311هـ/ 1893 والشيخ عبدالله بن محمد بن أحمد ملك الكجوي الشافعي النقشبندي طريقة سنة 1390هـ/ 1970 صاحب المدرسة الخيرية والطريقة النقشبندية في القرن 15هـ / العشرين الميلادي، ومن أشهر من انتسب إليها الشيخ محمد بن علي بن يعقوب الشهير بالحجازي الشافعي النقشبندي طريقة، والشيخ محمد رشيد بن عبد الرحيم جناحي الشافعي النقشبندي طريقة شيخ الطريقة النقشبندية بالبحرين في وقته " ⁽⁴⁾.

(3) نسبة لشيخه الشيخ خالد النقشبندي المجدي الذي أخذ عنه الطريق.

(4) بشار بن يوسف الحادي، علماء و أدباء البحرين في القرن الرابع عشر الهجري، بيت البحرين للدراسات والتوثيق، 2005، ص 45.

الرموز المؤثرة في صوفية البحرين

محمد بن يعقوب الحجازي

في تاريخ البحرين الحديث تبرز أسماء لشيوخ عرفوا بالإسناد العالي في التطرق؛ منهم الشيخ محمد بن يعقوب الحجازي (1908-1996)، لقبه بالحجازي شيخه الشيخ سعيد اليماني، طلب العلم في مكة، شد الرحال أيضاً إلى الحجاز والمغرب، ومصر، وفي الأحساء لزم الشيخ محمد بن أبي بكر الملا الحنفي في مدرسته المعروفة بالرباط بالكوت، أجازته من شيوخ الحجاز : الشيخ حسن مشاف، والشيخ محمد نور والشيخ علوي المالكي، والشيخ سيد محمد رضوان، والشيخ أمين كتبي، والسيد محمد شريف. ومن البحرين الشيخ سعيد اليماني، والشيخ محمد شرف اليماني، والشيخ عيسى بن راشد والشيخ عبدالرزاق المحمود والشيخ ابراهيم الصحاف، كان شافعياً، أشعرياً: يمنح إجازة أسماها الإجازة الحجازية لدلائل الخيرات، يقيم حلقة ذكر في المناسبات الإسلامية ويجعلها في ليلة الإثنين والجمعة، ومن تلامذته الشيخ محمد عبد الله عاشير، يوسف بن عبدالعزيز وجاسم بن محمد الغانم و خليل المهيزع وأحمد حميد، ومن أكابر من اعتنوا بأثره وذكره وآدابه وأقاموا على خدمته وأخذوا عنه: الشيخ راشد بن إبراهيم المريخي وقد لازمه منذ أن كان عمره أربع سنوات حتى وفاته وسنفصل في ذكره في الدراسة، ومن تلاميذه أيضاً الشيخ محمد أحمد أبوعلي، والشيخ عبدالعزيز علي، والشيخ ربيعة بن الشيخ محمود بوحسين والشيخ أحمد محمد عبدالجلال والشيخ محمد حسن شمس والشيخ أحمد محمد حميد؛

التصوف في البحرين والكويت

وكان معتنياً في دروسه بكتاب أبي شجاع في الفقه، و كتاب العشماوية، وكتاب الشرح الصغير وكتب النحو مثل الأجرومية لابن دحلان⁽⁵⁾.

وقد كان الشيخ من الطراز القديم من مشايخ الصوفية الذين يقيمون درساً للخاصة، في السلوك، ويعتنون بتربيتهم وإعدادهم، ويقضون آخر أعمارهم في الخلوة والتسك.

المريخي

في البحرين رموز صوفية كبيرة تولت الرعاية الصوفية في حياة الشيخ الحجازي وبعده في صدارتها، الشيخ راشد بن إبراهيم المريخي وهو من شيوخ الطريقة النقشبندية⁽⁶⁾ وله إجازة في الطريقة القادرية؛ درس المريخي في البحرين وفي الأحساء على يد الشيخ محمد أبي الملا، وكذلك في مكة أخذ العلم على يد الشيخ عباس بن علوي المالكي، والشيخ حسن مشاط، وأمين الكتبي، ومحمد سيف نور، والشيخ عبدالقادر السقاف، وكلهم أعيان لهم أسانيد عالية في التصوف، وما زال إرثهم باقياً يشكل ثروة صوفية، ولا تزال صلاته بنسل أشياخه ظاهرة، تتمثل في الزيارات المتبادلة بينه وبينهم كدعواته لآل السقاف ولآل المالكي، وزيارته لهم للاحتفال معهم في المناسبات الصوفية المعروفة.

(5) انظر: بشر الحادي مرجع سابق. و حوار الشيخ المريخي. ونبذة تعريفية خطية تقرأ في ذكرام.

(6) انظر تقرير: DANIEL MUNDEN, July 12, 2009, the message of love

<http://www.gulf-daily-news.com/NewsDetails.aspx?storyid=255378>

عمر البشير الترابي

عُيِّن الشيخ رسمياً في دائرة الأوقاف البحرينية كخطيب في العام 1976، وأصبح خطيباً لمسجد الشيخ عيسى بن علي بأمر من رئيس الوزراء الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة. وفي عام 1988 منع من الخطابة، بعد خلاف مع الأوقاف السنية، اختلفت أسبابه؛ فهو ينسبه لتيار معين بينما يدّعي آخرون أن المنع كان بسبب إشارته إلى "مصيبة" الحسين بن علي بن أبي طالب بنفس شيعي.

للمريخي علاقة خاصة بالعائلة الحاكمة في البحرين، ويشير إلى ذلك مراراً، بينما يعزو ما يتعرض له من مضايقات إلى السلفيين الذين تغلفوا في الأوقاف السنية، كما يشير إلى أن الإخوان المسلمين هم أيضاً من بين خصومه الذين يكيدون له، وهم من يشير إليهم "بناي الإصلاح".

وبعد إزاحته من الخطابة في الثمانينات قُلت شعبية المريخي، وخمل ذكره، إلا أن المراقب يلحظ عودة قوية للمريخي، وحضوراً متنامياً للصوفية في السنوات الأخيرة، فبدأت واضحة الخطوة السياسية للشيخ المريخي، فأصبح يتردد على مجلسه عدد من الأعيان وعلى رأسهم رئيس مجلس الوزراء⁽⁷⁾، لم يقتصر الأمر على الزيارات، بل برز اسم نجله؛ الدكتور إبراهيم بن راشد المريخي⁽⁸⁾، عالماً من علماء الأزهر الشريف، ومتحدثاً فقيهاً، ووجيهاً له وزنه، وأصبح من القضاة الشرعيين وتدرج

(7) انظر تسجيل لزيارة رئيس مجلس الوزراء الشيخ حمد. زيارة سمو الشيخ خليفة بن سلمان للشيخ راشد المريخي في العمان 2008:

<http://www.youtube.com/watch?v=YZsWMQFzu20&feature=related>
(8) جريدة الوسط البحرينية: <http://www.alwasatnews.com/909/news/read/451972/1.html>

التصوف في البحرين والكويت

إلى أن وُكل إليه القضاء الشرعي السُّني. وهو مشروع زعيم لامع، يوفده والده -شأن أشياخ الصوفية- لِيَنُوب عنه في الحضرات العالمية، ويقدمه مشايخ التصوف على كثيرين من أقرانه. وليس المريخي وحده من يمثل الصوفية في البحرين، فللقادرية من يمثلهم أيضًا. ناجي العربي

العربي من شيوخ الطريقة القادرية في البحرين، وله أتباع كثير، وقد خاض غمار الانتخابات البرلمانية قبل عامين إلا أنه خسرهما لصالح سامي قمبر المرشح الإخواني، وقال العربي إن سبب خسارته هو ترويج الإخوان والسلفيين لإشاعات مفترضة بين الناجحين تمّ اختلاقها بعناية، وهي لا أساس لها. فكان الناقمون على العربي من الإخوان يتهمونه بعلاقته بالشيعة ويدّعون أنه وعدهم ببناء حسينية لممارسة طقوسهم فيها، وهو ما نفاه العربي⁽⁹⁾.

ذلك مشهد من مشاهد التنافر بين السلفية والصوفية في البحرين، إذ يصل هذا التنافر أحياناً حدّاً يشعر السلفيون فيه بأن المتصوفة هم أقرب للشيعة منهم إلى السلفية، ويستدلون على هذا الاصطفاف بمساندة عدد من الشيعة للشيخ ناجي في الانتخابات التي أقيمت في نوفمبر تشرين الثاني من العام الماضي (2010) في الدائرة الخامسة بالمحرق.

(9) حوار مع فتاة عربية. http://www.alarabiya.net/save_pdf.php?cont_id=36085

العلاقة بين المتصوفة والشيعة في البحرين تبدو أقل توترًا قياسًا بعلاقات المتصوفة بالتيارات السنية السلفية الأخرى، يلفظها تعاطفٌ متبادلٌ يسوقه الفريقان، فالصوفية يسبحون في نضال ضد الطائفية وفي ذلك يقول الشيخ إبراهيم المريخي عن الشيعة "تنظر لهم على أنهم مسلمون، نجتمع معهم في الصلاة والصوم والحج وفي حبهم لأهل البيت وحب الصحابة، وإذا كان هناك نفر من الشيعة يسبّون الصحابة فتحن لا نقرهم على ذلك، وجل الشيعة لا يقرونهم أيضاً" يتذكر المريخي في سياق تبريره لنظرتهم كمتصوفة للشيعة، ويحاول طرح ما يطرحه الصوفية في بلدان إسلامية كثيرة عن أهمية وجودهم إذ هم "الصوفية" يحملون التدين التقليدي الطبيعي، ويمثلون الامتداد التاريخي الطبيعي للدين بلا تسييس أو تشدد ومغالاة، فيقول عاكسا الصورة الطبيعية للعلاقة بين السنة والشيعة: "ومازلت أتذكر والدتي التي درّست أهل المحرق كلهم القرآن، كيف كانت تستقبل من المتعلمين من أهالي الحدادة والصاغة وغيرهم من العوائل الشيعية التي تنتشر في المحرق، وكنا منذ عقود نستقبلهم ونزورهم ونقرأ على مرضاهم" ويمضي مؤكداً "إن علاقتنا بإخواننا الشيعة علاقة طيبة لم تستطع حتى السياسة أن تبدلها وتغيرها، وأذكر أن الشيخ عبد الأمير الجمري (رحمه الله) زارني في المستشفى الدولي منذ فترة طويلة، وكان حينها الشيخ عبد الله بن خالد -وزير العدل والشئون الإسلامية آنذاك- يعودني، فقال له الجمري: أمثل هذا توقفونه عن الخطابة؟ .. كما أن علاقتي طيبة بعدد كبير من العلماء، كالشيخ محمد علي العكري والسيد عبد الله الغريفي والشيخ حمزة الديري، وقد دعيت إلى المساجد والمآتم فلبيت الدعوة لها، كمآتم البنائين والحدادة والصاغة والسكران ومآتم

سار وكرزكان وكريمي ووليد الكعبة. " ويُرّئ الشيخ العلماء من تهمة تأجيج الخلاف، أو الفتنة الصاعدة بين السّنة والشّيعَة؛ فالخلاف الموجود -بحسب المريخي- لا دخل للعلماء به بل سببه المتعصبون ولا يمكن علاج هذه الطائفية إلا بقطع الرأس التي تُخرج الفتن، ونحن نساهم بمؤلفاتنا وكتبنا بالدفع لنبد الطائفية في هذا البلد الطيب. "(10) ويقول ناجي العربي: "الشّيعَة مسلمون وهم في حظيرة الإسلام بالرغم من أننا نختلف معهم في بعض المسائل في الفروع والأصول، ومظلة الإسلام تشمل كل المسلمين"(11).

جمعية الإمام مالك بن أنس

المتنفّس الرسمي الوحيد للصوفية في البحرين تمثله جمعية الإمام مالك وهي حديثة نسبياً(12)، فبحسب بيان الجمعية أنها قامت لتحقيق التالي : تصحيح المفاهيم الخاطئة من خلال إظهار محاسن الإسلام والمسلمين. وإحياء المسيرة العلمية في البلاد؛ وإحياء مذهب الإمام مالك، وتعريف الناس به وبخصائصه. و السعى لترسيخ الفهم الصحيح لمعنى الالتزام بمذهب من المذاهب الإسلامية. و تصحيح المفاهيم حول معنى اختلاف المذاهب الإسلامية وترسيخ حقيقة كون اختلافهم رحمة للأمة. وتسعى الجمعية لتحقيق أهدافها في حدود القانون عبر وسائل إحياء

(10) الحوار: صحيفة الوسط البحرينية - العدد 2223 - الثلاثاء 07 أكتوبر 2008م الموافق 06 شوال 1429هـ.

(11) لقاء مع قناة العربية : يوليو 2007: http://www.alarabiya.net/save_pdf.php?cont_id=36085

(12) الوسط البحرينية - العدد 382 - الثلاثاء 23 سبتمبر 2003م الموافق 27 رجب 1424هـ.

أسست جمعية الإمام مالك بن أنس حديثاً، بموجب ترخيص من وزارة العمل والجهات الرسمية المختصة، وقال نائب رئيس مجلس الإدارة غسان العبيدلي أن الجمعية تعنى بشكل مباشر بدعم الحركة العلمية الشرعية الفقهية، وإقامة المحاضرات والندوات ذات العلاقة بالشريعة والفقه والسلوك والأخلاق الإسلامية. يرأس مجلس إدارتها القاضي إبراهيم راشد المريخي

عمر البشير الترابي

التراث الإسلامي بالمساهمة في إخراج الكتب والمؤلفات التي تُعنى بالفقه والحديث وما شاكلها من علوم جليلة تهتم المسلم في دينه. عقدت الجمعية العديد من الدروس والمحاضرات و الندوات الكبرى، من خلال تنظيم دروس فقهية تعنى بجميع الأعمار والمستويات ورعاية حلقات تحفيظ القرآن الكريم⁽¹³⁾، ولها دور هام في المساهمة في إحياء المناسبات الدينية.

تُجابه الجمعية من قبل السلفيين بالتبديع، وينشرون في الرد على إعلاناتها المطويات والكتب و تنشط المواقع الإلكترونية⁽¹⁴⁾ متناقلة ذلك. أقامت الجمعية العديد من المهرجانات الدعائية والإنشادية ودعت العديد من أقطاب التصوف ورجالاته، أبرزهم الشيخ الحبيب على الجفري، الذي دعت في 2005 وقدّم محاضرتين، اعترض عليهما السلفيون، وانتشرت تسجيلات وخطب مسجلة على الكاسيت تندد به وبعقيدته وبالتصوف وبالجمعية، مما اضطر الجمعية إلى حشد الردود على ذلك في سجال طال نفسه وتصاعد⁽¹⁵⁾.

الجمعية في نشاطها العام تقوم بتنشيط الساحة الفكرية في البحرين وتأهيلها لتقديم مزيد من التسامح ليُقابل التعدد الكبير في البحرين. وفي ذلك يقول الشيخ راشد نحن قد نُسجل امتناعاً عن بعض

(13) انظر النشرة التعريفية بموقع الجمعية : <http://www.e-malek.com>

(14) انظر الاعتراض على إقامتها احتفالاً بالإسراء والمعراج : بعنوان أي وعي تبته جمعية الإمام مالك؟

http://www.alhda.org/index.php?option=com_content&task=view&id=193&Itemid=30

(15) لمتابعة الردود انظر رد الجمعية على تسجيل صوتي أصدره الشيخ البحريني حسن قاري بعنوان الترحيب

بالجفري: <http://www.e-malek.com/rodood/tar7eeb>

التصوف في البحرين والكويت

الممارسات التي لا نرضاها، ولكننا نؤمن -كشأن الصوفية- بأن للآخر أن يستهلك ما يريد، ويمارس ما يريد (16).

يفهم الإخوان والسلفيون دعوة الصوفية للتعايش مع الشيعة على أنها تميع للدين وإذابة الفروق بين السنة والشيعة، ولكن الصوفية يعضون في هذا الطريق الداعي للتعايش، فكان الشيخ المريخي أحد المبادرين للتوقيع على وثيقة للتسامح والتعايش الاجتماعي في البحرين أواخر نوفمبر 2008، والتي دعت فيها شخصيات من أتباع الديانات والمذاهب في مملكة البحرين إلى التعايش السلمي في البحرين "بغض النظر عن الانتماء الديني أو العرقي أو الفكري"، ونشر ثقافة التسامح الديني، ونبتذ العنف والكراهية والتطرف والتعصب. وللشيخ المريخي مبادرات تعاون لا تتوقف مع شيعة البحرين بهدف "جمع شمل المسلمين على كلمة واحدة"، "والعيش في جو هادئ مطمئن كما كان قديما بين أحضان العلماء والفقهاء والحكام الطيبين" (17).

the message of love , DANIEL MUNDEN, . July 12, 2009 (16)

<http://www.gulf-daily-news.com/NewsDetails.aspx?storyid=255378>

(17) صادق الشيرازي، الإسلاميون السنة في البحرين.. صوفية وسلفية وإخوان،

<http://www.islamonline.net/i3/ContentServer?pagename=IslamOnline/i3/LayoutA&c=OldArticle&cid=1256034016152>

بعض المواقف السياسية للمتصوفة

وقف الصوفية مع العائلة المالكة، في أعقاب الأحداث الاحتجاجية الأخيرة في البحرين، كان هذا موقف ناجي العربي بوصفه عضواً في لجان الحوار وممثلاً للصوفية إذ يؤكد رفضه "أن يكون شخص الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء عرضة للكلام أو النقاش، مشيراً إلى أن الغالبية العظمى من شعب البحرين قام كما رأى العالم أجمع في استفتاء غير ميسر أو مسير، ونادى نحو 450 ألف مواطن يشكلون ثلثي سكان البحرين برفض أي بديل لرئيس الوزراء وأنه لا مساومة في ذلك، وأكد أنه من حق أي جناح أو كتلة سياسية التعبير عن رؤيتها بمطلق الحرية، وليس لأحد أن يرجع على أحد.⁽¹⁸⁾ و يلتزم المتصوفة في البحرين بموالاته ولي الأمر، وهو عرف صوفي في أن لا ينزعوا يداً من طاعة.

الصوفية في البحرين تُزاحم كلاً من "الإخوان المسلمين" والتنظيم الأقدم منذ منتصف الستينيات و"الحركة السلفية" منذ ولادتها في أوائل الثمانينيات، وحركة "الأحرار" البحرينية الشيعية الواسعة الانتشار وكما يظهر فإن منافستها الأشرس تكون مع الإخوان والسلفيين، كما أشار لذلك الشيخ المريخي، والعربي مراراً، فالعربي يشير إلى أن السلفيين يلغون الآخر، و الإخوان يريدون الوصول لمصالحهم على حساب أي شيء⁽¹⁹⁾.

(18) صحيفة الشرق الأوسط :

<http://aawsat.com/details.asp?section=4&article=631957&issueno=11922>

(19) انظر لقاء الشيخ العربي مع العربية نت في يوليو 2007 : http://www.alarabiya.net/save_pdf.php?cont_id=36085

اتهم العربي في اللقاء السلفية بـ "نبد وتحطيم الآخر" فيما اتهم تيار الإخوان بـ "الاستحواذ والسعي وراء مصالحه الخاصة". وأن بعض خصوم الصوفية ينشرون بين العوام أن "الصوفية والكفر شيء واحد".

التصوف في البحرين والكويت

هذه المنافسة الطاحنة، والمغالبة المستمرة، أجبرت الصوفية على التجدد، وإظهار رموز جدد، وشيوخ يتعاطون مع العصر.

تحاول الصوفية في البحرين - في طرحها أن تقدم صورة للإسلام البعيد كل البعد عن التطرف والأصولية - محاصرة بين تلك الجماعات والجمعيات والطوائف المختلفة في البحرين، فأخذت تتواصل مع أقرانها في الخارج، وخاصة في مصر والسودان اللتين لعبتا دوراً هاماً في شد أواصر الصلة بين رأس وجسد كل طريقة من هذه الطرق. تحدد الجماعات الصوفية آمالاً كبيرة، وتدفعها طموحاتها بشكل قوى نحو الوجود المؤثر والفعال على الساحة السياسية البحرينية⁽²⁰⁾.

الموقف من الليبراليين

يرفض الشيخ ناجي العربي الأوصاف العلمانية التي يُخَوِّف بها رواد الإسلام السياسي من بعض التيارات الفكرية، ويشير إلى انفتاحه على من أسماهم بالليبراليين والعلمانيين؛ قال حينما سؤال عن موقفه من العلمانيين "إنه لا يحب هذه التوصيفات، الكثير ممن يسمون بالعلمانيين يصلون في المساجد وليس قصدهم الوقوف ضد الدين" ويقول أيضاً "نحن لا نكفرهم إلا من أتى بكفر بواح". ويرى أنه من "الواجب الانفتاح عليهم بقصد التقارب وبيان الخطأ والصواب"⁽²¹⁾.

(20) مصطفى زهران، الصوفية في البحرين.. مزيج من الدين والسياسة : <http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=139825>

(21) انظر لقاء العربي مع العربية نت في يوليو 2007 : http://www.alarabiya.net/save_pdf.php?cont_id=36085

نجاح الصوفية في البحرين

يشير الباحثون والمراقبون وبعض أعداء الصوفية إلى دعم خفي، بدأت تتلقاه الجماعات الصوفية في البحرين، وإسناد رسمي لتقديم إسلام غير مسميس، يأتي هذا الدعم من الحكومات، مجارة للدعم الذي يأتي للحركة الصوفية في العالم بعد أحداث سبتمبر.

أيًا كانت صحة هذه الأحاديث من عدمها، فإن أحداث أيلول سبتمبر الإرهابية، نبّتهت العالم إلى خطورة الفكر السلفي الجهادي، وتجارب الإسلام السياسي المتشنجة، أوجبت محاولة دعم بديل، فلم يكن بدّ من مزيد من الحرية للكيانات الطبيعية. الصوفية أمام تحديات حقيقية، وهي أن تستمر هذه الكيانات كحركة اجتماعية لها اعتبار سياسي، ولا تقودها السياسة لتصبح حركة سياسية لها رصيد ديني، المجتمع البحريني يحتاج رفق النسيج الاجتماعي، بجهود التشارك المتبادل، والتأسي والزيارات.

متصوفة الكويت

"الصوفية قديمة في الكويت، وجدت قبل أن أولد بسنوات مديدة ومن قرأ تاريخ الكويت يعرف ذلك."

هكذا علّق النائب البرلماني والأكاديمي الكويتي الدكتور محمد بن عبد الغفار الشريف على اتهام البعض له بأنه يحاول إحياء المفاهيم والروح

الصوفية من جديد في الكويت⁽²²⁾؛ يؤيده في ذلك مريدون و شيوخ طرق صوفية في الكويت، نشاطهم وقوتهم وعزمهم وانتظامهم يوحى بأن هنالك جذوراً ضاربة تحرك هذا الواقع، وترسمه، فطقوس المتصوفة من مجالس ذكر وإحياء للموالد وحوليات الأولياء؛ حاضرة في "الديوانيات" وحضرات المشايخ، وهو ما يشير إليه يوسف الرفاعي شيخ الصوفية في الكويت، مشيراً إلى أن الموالد واحتفالات الإسراء والمعراج، وغيرها موجودة في الكويت منذ زمن قديم مستدلاً بكتابات الأدباء والمؤرخين مثل، يوسف بن عيسى، وعبدالله نوري، وسيف الشملان، عبدالله الحاتم، وغيرهم مشيراً إلى أن المسلك الصوفي كان موجوداً في الكويت ولكن ربما لم يكن الاسم حاضراً⁽²³⁾. في الكويت كانت الصوفية حاضرة في السلوك لكن كثيراً من الطرق وفدت إما من العراق، أو مع الوافدين من مصر وسوريا وغيرها من البلدان التي عرفت بالتصوف⁽²⁴⁾. يقول الرفاعي "التصوف هو الزهد والإقبال على الله والتدين وزيادة الطاعات، وهي أمور كانت موجودة في الكويت منذ القدم ويسمون من يقوم بها «الملالوة» ومثال ذلك الموالد التي كانت تقام في الكويت وعلى إثر أحدها تقرر إنشاء المدرسة المباركية"⁽²⁵⁾.

(22) صحيفة الرأي العام الكويتية: 20 مارس 2006 العدد 14152.

(23) لقاء تلفزيوني الوطن مع السيد يوسف الرفاعي؛ عن الصوفية :

http://www.youtube.com/watch?v=OerLBNV6gBU&feature=mfu_in_order&list=UL

(24) انظر صحيفة الوطن الكويتية، تسرد الصحيفة أسماء الحضرات وجنسيات مرتاديها وطرقهم الرفاعية والبيومية وغيرها.

انظر: <http://www.alwatan.com.kw/Default.as...9944&pageId=35>

(25) صحيفة الأنباء الخميس 27 يناير 2011.

<http://www.alanba.com.kw/AbsoluteNMNEW/templates/local2010.aspx?articleId=167960&zoneId=14&m=0>

رموز المتصوفة

الوزير الأسبق يوسف السيد هاشم الرفاعي المولود في الكويت سنة 1932، المنتسب إلى السيد أحمد الرفاعي؛ هو الأب الروحي لصوفية الكويت. كان عضواً في مجلس الأمة سنة 1963م، ووزيراً سابقاً لوزارات عديدة. هو الأكبر سناً ووزناً والراعي للتصوف في الكويت، وله قبول عالمي، بوصفه شيخاً للطريقة الرفاعية في الكويت.

وهناك -كما سبق- محمد عبد الغفار الشريف الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف وعميد كلية الشريعة سابقاً، والدكتور يوسف الشراح، والشيخ حمد سنان، والدكتور عبد الله المعتوق وزير الأوقاف السابق وغيرهم.

بيادر السلام النسائية

لم يهمل الصوفية في الكويت الجانب النسائي، حيث تمثل جمعية بيادر السلام النسائية جمعية نفع عام تابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل أشهرت بقرار وزير الشؤون الاجتماعية والعمل عام 1981م، تهدف إلى تحقيق أهداف اجتماعية وتربوية وثقافية ودينية، وتقديراً لدور المرأة الفاعل في رفع مسيرة المجتمع والنهوض به إلى الأفضل انطلقت المرأة الكويتية من خلال هذه الجمعية تسعى لخدمة المجتمع على جميع أصعدته

التصوف في البحرين والكويت

وعلى جميع المستويات واتخذت من الإيمان والعمل شعاراً⁽²⁶⁾ وقد أنشئت هذه الجمعية بدعم من الشيخ يوسف الرفاعي ، وتشرف على عدد من المؤسسات التربوية ومنها مدرسة القطوف الخاصة، وحضانة السلام، وحضانة دار الفرح، وترأست مجلس إدارة الجمعية دلال عبد الله العثمان⁽²⁷⁾.

المتصوفة والإسلاميون

يتعايش المتصوفة مع غيرهم في العادة، بقدر من التسامح والانفتاح، وذلك من مزايا البعد الروحي للتصوف، الذي يكسر الحدود مع الآخر.

فبالرغم من أن السيد يوسف الرفاعي، كان من الناشطين في جمعية الإرشاد والمؤسسين لجمعية الإصلاح إلا أنه استمر يؤكد على أنه ابتعد عنها، وليس له بها صلة⁽²⁸⁾، وظلت علاقته مع الإخوان المسلمين والتيار السلفي علاقة متوترة، ليس هو فحسب بل كل المحسوبين على

(26) المركز الدولي للدراسات مداد: الجمعيات:

<http://www.medadcenter.com/Charities/show.aspx?id=116>

(27) الصوفية في الكويت.. نبتة في بيئة سلفية

<http://www.islamonline.net/i3/ContentServer?pagename=IslamOnline/i3LayoutA&c=OldArticle&c id=1237705927994>

(28) موقع السيد يوسف الرفاعي الشخصي : <http://www.rifaieonline.com/cv.aspx>

ويقول في سيرته الذاتية: من الأعضاء المؤسسين لجمعية (الإصلاح الاجتماعي) وإن كان بعيداً عن نشاطها في الوقت الحاضر.

عمر البشير الترابي

التصوف، فالتقارير تشير إلى أنّ كثيراً من منتسبي التصوف يتخفّون خِشية التيار السلفي.

التنافس البيني يرجعه الرفاعي إلى أنّ "الحركات الإسلامية المتطرفة غارت من الصوفية لأن الصوفية لم يغيروا منهجهم، موضحاً أنّ هذه الحركات تخاف أن تقول للناس إنها فشلت وأن منهجها خاطئ؛ ويشير إلى أنّ مكمّن الفيرة أيضاً هويّ بوار المنهج المتطرف وكساد تجارته خاصة عندما قامت الحركات الإسلامية المتطرفة بأعمال استوجبت أن تحاربها الدول الغربية، كما حدث في أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فتعرّضت الحركات لمراقبة وملاحقة وتضييق، فغارت لأن الصوفية لم يشملها هذا التضييق وتساءلوا لماذا الصوفية لم يمسسها سوء؟ لماذا الحكومات لا تخاف من المتصوفة الذين يستطيعون دخول أي بلد. فادّعوا أن أمريكا راضية عن الصوفية. هذه الإشاعة تبرير لتعثر هذه الحركات.

المنهج الصوفيّ منهج سلام وعدالة، فالصوفيّ يركز على تحبيب غير المسلم في أخلاق المسلم حتى يعتنق الإسلام، أما الحركات الإسلامية المتطرفة فتلجأ إلى القوة والقهر واستخدام التكفير والتفسيق والتفجير. المتصوفة منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهم رحمة وسكينة⁽²⁹⁾.

لم يقتصر هجوم الإسلام السياسي والسلفيين على الرفاعي وحده، فقد طال أيضاً محمد بن عبدالغفار الشريف الذي حمل بشدة

(29) لقاء للسيد يوسف الرفاعي مع صحيفة الوطن الكويتية في : تاريخ النشر: الثلاثاء 23 / 1 / 2007.

على من اعتبرهم «بعض العاملين في الساحة الإسلامية الذين يصفون كل من يخالف فكرهم بأنه منحرف أو ضال أو مبتدع» معتبراً أن من «يوزع هذه المصطلحات على الناس يؤسس لواقع مؤلم». وناشد المربين: حرام عليكم ان تملأوا قلوب أبنائنا بالحق والاحتقار لخلق الله وأن تعلموهم أنكم وحدكم على الحق والباقون على ضلال وهلاك"، ويروج الإسلاميون بأنه "عبد الغفار الشريف" رأس حربة ضد المشاريع والمفاهيم الإسلامية، وأن الليبراليين و العلمانيين، يستخدمونه طمعاً لضرب آراء الجماعات الإسلامية، وقد رد على سؤال مماثل قائلاً "من تسميهم الإسلاميين كانوا في يوم من الأيام يحرمون عضوية البرلمان - مجلس الأمة، ويحرمون دخول الوزارات ويعتبرون ذلك طاغوتاً واليوم يتقاتلون على هذين الأمرين، وأسألهم بكل صراحة وقد سألت هذا السؤال أحد أشد المتحمسين ضد حقوق المرأة، ماذا ستفعلون الآن بعد إقرار الحقوق السياسية للمرأة، هل ستمنعون نساءكم وبناتكم من التصويت؟ أم أنكم ستحلونه عاماً وتحرمونه عاماً؟" (30).

المتصوفة والشيعة

يشير الشيخ يوسف الرفاعي إلى أن الصوفية يقفون في منطقة الوسطية والاعتدال بين السلفية المتطرفة والتشيع، خاصة وأن غالب أهل الطرق ينتسب أشياخهم إلى آل البيت، مما جعل لهم قرباً روحياً بينهم

(30) انظر الموقع الشخصي للشيخ عبد الغفار:
<http://www.dralshef.net/Print.aspx?SectionID=3&RefID=43>

وبين الشيعة⁽³¹⁾. لذلك يروى عنه قوله: "أنا شيعي وفق مفهومي الخاص.. لكنني سني العقيدة شافعي المذهب" وللرفاعي جهود في مجال التقريب بين السنة والشيعة⁽³²⁾.

مستقبل الصوفية في الكويت

تستطيع الصوفية في الكويت لعب دور تقريبي، بين السنة والشيعة، وتحتاج لتقوية علاقتها بالدولة والاستفادة من الحرية النسبية، إذا أرادت الخروج من الحصار، لم تستغل الصوفية في الكويت وجود شخصيات قيادية تستطيع التأسيس لكيان رسمي قوي، بالرغم من القدرة على ذلك.

خلاصة

وجود الصوفية في البحرين أصيل، وقوي، وقد انبعث في العقد الأخير ليكون جماعة متماسكة ومستقبله منوط بمدى قدرته على المحافظة على روح الأصالة، والروحانية العالية، دون أن تفقد السياسة الأشياء هيبته، ورهنت نجاحهم في تجديد طرحهم بقدرتهم على الإفلات من فخ الاستغراق في النقاش حول المسائل الخلافية مع السلفية والإخوان، وبذل الوسع لتطوير روح التصوف لتسع قلق الحاضر وإنسان الخليج.

(31) لقاء تلفزيوني مع السيد يوسف الرفاعي؛ عن الصوفية :

http://www.youtube.com/watch?v=OerLBNV6gBU&feature=mfu_in_order&list=UL

(32) الصوفية في الكويت نبذة في بيئة سلفية، مرجع سابق.

التصوف في البحرين والكويت

أما الكويت فقد عرفت التصوف قديماً في سلوك النُساك والعباد. ويبقى التصوف الفردي فيها طاعياً على حساب التصوف الطرقي، ولم تستثمر بعد الوجود القوي لرجال يستطيعون تأسيس مجاميع تقود المتصوفة وتزود عنهم.

على المتصوفة في الخليج أن يحاولوا تقديم إسلام خالٍ من الغرض السياسي، بعيد عن الوصولوية والمطامع السلطوية، وأن يمارسوا دورهم في إعلاء قيام التسامح وقبول الآخر، وأن يطوروا الكيان الصوفي ليتسع لحدثة العصر، وينمي القيم التي تبني الإنسان.

المسبار

المسبار

وهابيون متصوفون

منصور النقيدان(*)

هذه الشهادة تعرض جوانب من الزهد والورع والنسك والخمول⁽¹⁾ الذي كان يمتاز به بعض من عرفتهم أو رويت عنهم من (إخوان بريدة⁽²⁾) وهم عشرات من أتباع مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كانوا حُمن الوهابيين والأمناء على تعاليم الإمام وسدنة مدرسته.

(*) باحث سعودي. رئيس التحرير بمركز المسبار .

(1) أي البعد عن الحشود والأتباع والانشغال بالنفس وإصلاح رعوناتها، وليس القصد منه الخمول عن الدعاء أو الفتور عن العبادة والتقاسم عن سلوك طريق القوم.

(2) "الإخوان" وهو وصف لعلقة له بجماعة "الإخوان المسلمين". ووصف "الإخوان" نابع من كونهم إخوة في الله اجتمعوا على محبته واتباع سنة رسوله، وهو وصف محبب لكل من تطوع في نجد منذ فترة مبكرة لانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد كان المتطوعون المقاتلون من أبناء البادية في جيش الملك عبدالعزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية يسمون بـ "الإخوان"، ولهذا يقال عنهم "إخوان من طاع الله". ومن معلومة نجد إخوان بريدة، ومع ذلك فقد كان لكل من إخوان بريدة، والإخوان البدو، أفكار يتميزون بها عن بعضهم البعض. وكل هذه الفئات لعلقة لها بالإخوان المسلمين. وإخوان بريدة هم حنابلة وهابيون، تعرضت جماعتهم الصغيرة للتحويلات والتطورات بشكل كبير منذ تسعينيات القرن الماضي. واليوم 2011، تكاد تلك الجماعة بأفكارها وانغزالها وولائها العميق للحكم السياسي تتعرض للانقراض، بعدما تحول كثير منهم إلى الجهادية السلفية.

وهذه القصص التي أروها وثيقة تاريخية تشي بنزعة صوفية حنبلية عند الجماعة، وتظهر فاقعة عند أحد أعلامهم وأكثرهم شهرة وغرابة وجاذبية الشيخ فهد بن عبيد العبدالمحسن، مع آخرين من علماء الإخوان وطلبة العلم فيهم وعامتهم⁽³⁾.

تحولات وشوق لايتبدل

لازمتني منذ سنوات يقاعي رغبة في الاعتراف كلما غلت نفسي وبلغت أوج قلقها وشعورها بالشقاء. شعرت بالحسد تجاه المتصوفة، وراق لي فترة من الزمن اعتراف المسيحي بين يدي رجل الدين، ويدهشني أولئك البسطاء الأتقياء الذين كلما طلبت منهم شرح ما يحملونه بين جوانحهم من أسى، حمدوا الله على الحال والستر وطمأنينة البال.

قبل خمسة وعشرين عاماً، كنت شاباً مراهقاً في السابعة عشرة من العمر، أقضي ساعات نهاري وشطراً من الليل متنقلاً بين رواق مسجد الحميدي وبين سرحته الغربية. وكنت أقضي وقتاً طويلاً من نهاري متنقلاً بين ثلاث غرف صغيرة مكتظة بالكتب والأوراق والكراريس المغبرة، وقد

(3) أظن أن عدم وجود شخصيات ملهمة قريبة منا في ثقافتنا الاجتماعية نابع من أن الجميع يتعامل مع الأعلام والشخصيات التاريخية على أنهم نمط واحد ماعداً فروقاً بسيطة لاتفني شيئاً. على خلاف الأعلام الذين نعرف تفاصيل كثيرة جداً عنهم من الأوائل. وباستعراض تراجم علماء نجد، سنرى أن مئات الأشخاص الذين قرأنا عنهم يبدون متشابهين متطابقين وكأنهم أحجار مصمتة. من المؤسف أننا لانعرف تفاصيل حياة محمد بن عبد الوهاب، أو الشيخ عمر بن محمد بن سليم، أو محمد بن إبراهيم وأمثالهم. أستثني كتابين اثنين أحدهما لعبدالله بن سعدي (لمحات من حياة الشيخ عبدالرحمن السعدي) وكتاب (رحلتي نحو الثور) للملك الرحبي عن حياة ابن عثيمين، فكل من هذين العالمين قدمه الكاتب إنساناً بكل مزاياه وعيوبه. وقد تسببت بعض القصص التي ذكرها محمد بن عثمان القاضي في كتابه (روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد) عن بعض من ترجم لهم بإحراج له وعتب وغضب من بعض أبناء من روى عنهم القصص. وذلك كان درساً لمن يفكرون بكتابة سير الأعلام بطريقة أكثر شفافية وأكثر حميمية عن يترجمون له.

توزعت الغرف بين أرجاء المسجد وفي سطحه. كان المسجد قبل هدمه في 1988 يحوي سبع غرف، وخمس منها كانت نزلاً لأشخاص رحل معظمهم عن دنيانا وقبل ولادتي بعقود. ثلاث منها كانت صوامع لعباد ونساک وطلبة للعلم. سكبوا فيها الدموع، وباحوا بين جنباتها بلواعج نفوسهم. وبعيداً عن أنفاس البشر، ووطأة ظلهم وجدوا الأنس في وحدتهم، والطمأنينة في خلوتهم. منهم من فارق الدنيا وهو على تلك الحال، ومنهم من فترت همته وانشغل كأبناء زمانه من أبناء الدنيا، حيث مثلت له تلك الذكرى بين جنبات مسجد الحميدي نبأً من الطمأنينة وتميمة من مصارع السوء، أو كوة تشرف على حدائق الأحزان وأشواق بني الإنسان، أو نقطة دوامة من الأسئلة التي تهجم عليه كطرقات القدر، وتلوك السالك في خلوته وتعصف به حتى تتركه طريح الفراش مدنفاً خائر النفس، مفجوعاً بإيمانه.

أكبر مكابدة كان يواجهها نساک السلف الأوائل والعارفون الكبار منهم، هي تقلب النفس وطيشانها والتوتر الذي يعصف بهم مع خفقات قلوبهم الليل والنهار. مع تقلب (النوايا) ومصارعة النفس وحملها على الإخلاص ومحاسبتها بقسوة كلما أصابهم الفتور أو مالوا نحو الدعة وشعروا بالنشوة للذكر بين الناس ووطنهم أذيا لهم والاحتشاد بأبوابهم طلباً لحكمتهم واقتباساً من نور بصيرتهم. لهذا كان شخي وصديقي عبدالله الحبلى الذي لازمته عاماً كاملاً (1986) مثل ظله في مراهقتي يؤكد لي كل حين أن على الإنسان أن يستعيز بالله من الشهوة الخفية.

ذات مرة وأنا برفقة هذا الصديق العابد استوقفنا قبل المغيب شيخ محدودب الظهر لحيته بيضاء كالقطن، صافحته يومها وكان يحمل صندوقاً صغيراً من البندورة. أشار إلى الصندوق وقال لنا: "لقد جمعتها من الأرض. إنها حلال لاشبهة فيه، لأمنة لأحد من الخلق فيها". سأله صديقي عن الشهوة الخفية، فأجابه "هي حب الرئاسة". لم يكن ذلك الإنسان الغريب إلا محمد بن عبد الله أبا الخيل (توفي في 1991) الذي كان معروفاً بـ (ولد ابوركعة) لأن أباه كان مثلاً في العبادة والزهد، وجاء الابن حذو والده. كان ذلك الشيخ يخبر بعض المقربين منه ومن عرفوا حاله ووثق بهم أن له أصدقاء من الجن، يؤانسونه وله جماعة منهم يأنس بهم ويسامرهم أحياناً. كان محمد أبا الخيل يعيش وحيداً، بعيداً عن ابنائه وأحفاده. وفي منزله كانت مكتبته موزعة في عشرات من سلال الخوص وسعف النخل⁽⁴⁾، فلم يكن يحب أن تكون رفوف الكتب في قوائم كما هو معروف ومعتاد. كان يرى ذلك سوء أدب مع الكتب، أو أمراً محدثاً على غير نهج الأسلاف. وقد كان يتجنب كل الأغذية المعلبة والمشروبات الغازية، ويحمل نفسه على هجران من عرف منه ذلك من أحبابه وأصدقائه. وقد قاطعني قبل وفاته بثلاث سنوات حينما سمع بأنني عقدت مجلس مباهلة مع الشيخ الزاهد الأسطوري عبد الكريم الحميد⁽⁵⁾ حول حقيقة ما نقله ابن قيم الجوزية عن شيخه ابن تيمية عن فناء نار الكفار ودخول كل البشر مؤمنهم وكافرهم في الجنة بعدما يتطهرون بالعذاب ما شاء الله من

(4) السلة معروفة باللهجة الدارجة بـ (الزبيل) أي الزنبيل

(5) كتبت عنه مقالين في مجلة المجلة يناير 2000، وأخرى مطولة في جريدة الوطن السعودية 2002. وعبد الكريم الآن قيد الإقامة الجبرية منذ أربع سنوات في مدينة الطائف غرب السعودية، بعدما قامت الحكومة بسجنه مرتين بعد تورطه في علاقات وثيقة مع مجموعات اعتنقت الجهادية السلفية. وهو الآن في العقد السابع من العمر. انظر: منصور النقيدان. جرعة من حياة بسيطة. جريدة الرياض. 4 يوليو 2010:

<http://www.alriyadh.com/2010/07/04/article540390.html>

منصور النقيدان

الحقبة والأزمان. وزاد وضعي تعقيداً عند (ولد أبوركعة) حين شهد اثنان عنده أنني تعاطيت المعلبات⁽⁶⁾.

لم يسبق لي أن التقيت بناسك من الإخوان، كان قد فارق الدنيا قبل أن أدركه وهو حمد الرشودي، وكان كما حكى لي عنه يتجنب المرور بشارع الخبيب، الذي كان هو شارع التجارة والبنوك وتنتشر على جنباته المتاجر التي يباع فيها الدخان وأجهزة التليفزيون وكل ما ينتمي إلى وسائل اللهو. استمر على هذه السنة ثمانية عشر عاماً حتى وفاته. وهذا الحذر كان تعبيراً عن الاحتساب والرفض الصامت الذي هو أدنى درجات إنكار المنكر، وفي زيارة الملك فهد بن عبدالعزيز لبريدة عام 1408 هـ/ أبريل 1988، هجر رهط من الإخوان خفية بريدة طوال أيام زيارته، حيث قضوا تلك الأيام في مزرعة بأمر الذبابة التي تبعد أربعين كم عن بريدة. وقد قوبل ذلك الموقف المتشدد من شباب الإخوان بالنقد والتعنيف لهم من قبل من هم أكبر منهم سناً⁽⁷⁾.

قصص كالأساطير

لسنوات طويلة شغفت قلبي شخوص المعتكفين الذين يلزمون سوارى الحرمين ركعاً سجداً منذ غروب الشمس وحتى الهزيع الأخير من

(6) ونقل إليه أنني شربت البيبسي ذات مرة فكانت نهاية صلته بي. وكان أتقياء الإخوان يتجنبون المعلبات ماعدا التونة والزيتون. ولكنهم لم يكونوا يملطون ويمنفون من يتعاطاها إلا فئة قليلة منهم.

(7) كان الانتقاد من شيوخ الإخوان لأن اعتزال المدينة أثناء زيارة الملك تعبير عن موقف سياسي احتجاجي وعدم رضا، وإن كان قد برر من قبل رهط (المعتزلة) بأن الزيارة الملكية يصحبها انتشار الصور في الشوارع والطرق والأغاني والطبول وما يمكن وصفه في رؤية الإخوان بـ (اللهو والفسق).

الليل وفي سويغات الضحى، يرشفون رحيق عشقهم ويتدثرون باللطاف الحبيب قريباً من الكعبة أو خلف المقام. كنت سويغاتٍ أسترّق السمع وأصفي إليهم وهم يهتممون ويريقون دموع التضرع وينفثون تباريحهم وأوصابهم التي كتموها ودفنوها بين جوانحهم.

مرة قال لي واحد منهم هو محمد الأحمدى⁽⁸⁾ وهو شاب دون الأربعين: إن في المسجد الحرام شيوخاً لم يفارقوه منذ ثلاثين عاماً قدموا من شرق آسيا ومن القوقاز بعد أن عقدوا عزمهم وودعوا أحبابهم، وذات ليلة باردة شدوا الرحال مهاجرين إلى مهبط الوحي ليفنوا الباقي من أعمارهم في مكة أو في طيبة حيث رسم للرسول ومعهده.

في مسجد عيسى جنوب بريدة كان إبراهيم بن عثمان القرعاوي يندي الرمل الذي يعفر فيه وجهه، كنا نعرف مصلاه بعد انقضاء المصلين، ليس عليك إلا أن تبحث في روضة المسجد خلف الإمام موضع ثلاثة عن يساره أو مثلهم عن يمينه، هناك دائماً بقعة مبللة بالماء، كانت تلك دموعه التي روى بها الأرض، كان يهمس همساً يلتقطه كل من حوله، أحياناً أميزه بين الصف وهو ساجد قبل الإقامة لأنه كان يرتجف وتتوء أشواقه بجسده الضخم، وما أكثر ما سمعت كلماته الوجلة وأنا على بعد خطوات منه. قال لي حفيده: سافرت معه بالسيارة إلى العمرة فكان يأمرني بالوقوف كل ساعتين فيجدد وضوءه ثم يعمد إلى الصلاة في ظل

(8) كان من أركان المسجد الحرام. وكان يومها قد شارف على الأربعين، ولم يكن يبارح المسجد إلا للوضوء والغسل أو لدعوة توجه إليه من صديق، بقي سنوات ملازماً للمسجد يتعبد الله ويذكره ويسبح دموعه بين الحطيم وزمزم.

منصور النقيدان

شجرة أو ناحية من الصحراء في ظلمة الليل، ولا تهدأ روحه حتى يرى أستار الكعبة.

كنت أعجب كيف لمثل هؤلاء أن يحتملوا العيش، فقلوبهم منكسرة وأحزانهم لا تتقضي، حتى جاء اليوم الذي انكشفت لي فيه حقيقة القوم. فلم يكن ما يكابدونه حزناً، بل غبطة وسلوى. كان غسيلاً لقلوبهم ونسيماً بارداً يهدد أرواحهم المستوحشة من كل من حولهم.

قال لي صديق قديم اسمه صالح الحصان: شكاً جدي مرة جدتي إلى فقيه الشماسية ضيف الله اليوسف وقال: إنها خير النساء ولكنها لا تلقي لي بالأحسين يأتيني الضيوف وهي منشغلة بصلاة الضحى. إنها تستمر في صلاتها حتى تتهيأ والضيف ينتظر، وطاعتي أولى من نافلة الضحى، فتلتطف معها الشيخ ونقل إليها ظلاماً زوجها، فكان ردها: "عندما أكبر تكبيرة الإحرام أرى كوة من النور تفتح لي من السماء، وتغشاني هالته وتغمرنى تهاويله، فكيف لي بأن أسمع نداء زوجي ولو سمعته لأجبتة." فلزم جدي الصمت وتركها لعشقها السماوي، وبعد موتها عاش تسعين ليلة محطم القلب، كان يأوي كل يوم إلى غرفته، فيندس منعزلاً ويبكي حرقاً على فراقها حتى لفظ أنفاسه.

ومرة وقع شيعي عبد الله بن محمد الدويش على طالب عنزي من بادية القصيم، كان قد ناهز الثالثة عشرة وهو ينفث الدخان من فمه خارج أسوار المدرسة الدينية الأهلية، فأبلغ الشيخ مدير المدرسة صالح البجادي،

فاستدعى الطالب وضربه على يديه، مكتفياً بشهادة الشيخ، ولكن الغلام أنكر ذلك وفر هارباً من المدرسة وهو يدعو على من ظلمه، أخذ الدويش ليالي لم يهدأ له بال، أزعجه الأرق وآلمه أن يكون قد تراءى لعينيه مالم يكن فيكون قد ظلم الصبي، فطلب من أحد تلاميذه أن يدلّه على بيت والد الطالب في الابدية شرق بريدة، وقال له بعد أن قبل رأسه "سامحني لقد أخطأت في حقك وشهدتُ بما لست مستيقناً منه" وبعد أيام شوهد الطالب وهو ينفث الدخان من سيجارته.

لم يكن الدويش يحمل رخصة قيادة، وفي أسبوع المرور صادفته نقطة تفتيش فشحنوه مع المخالفين إلى التوقيف ومضى عليه نصف يوم وهو صامت، لم يقل لهم إن كثيراً من أئمة وخطباء بريدة من تلاميذه، ولم يقدم نفسه كعالم دين عليهم أن يوقروه ومن واجبههم عدم التعرض له، بل انشغل بقراءة القرآن والصلاة، وبعد أن قام طلابه وأحد أساتذته بالبحث عنه لساعات جاءهم الخبر، فتوجهوا إلى مكتب مدير المرور وشرحوا له الحال عاتبين عليهم احتجازه، فأوضح لهم أن صاحبهم لم ينطق بكلمة واحدة ولم يكشف عن حاله.

كان الدويش لورعه يتحاشى أن يمر بطريق شق فوق عقار لم يكن صاحبه راضياً بالتنازل عنه وقبول التثمين من الحكومة. وقبيل وفاته وبعد رحيله كان الجدل بين مريديه عن نسكه وعن صيامه وصلاته، فلم يكن معظم من حوله وبعض من أقرب تلاميذه يعلمون أنه كان يصوم يوماً ويفطر آخر حتى لقي ربه. لمحتة مرة قبل وفاته بشهور بعد أذان المغرب وقد

منصور النقيدان

تريث قليلاً ثم نهض فمال على البرادة واختطف رشفة من الماء ثم أخذ مكانه في الصف.

وكان معتق الحربي وهو بدوي من قبيلة حرب يحكي قصة كالحلم والأساطير، أنه كان يرعى غنيمات له في بادية حائل فعصفت الريح ذات يوم وحملته كالقشة وألقته عند الجامع الكبير في بريدة، نفث ثيابه ونهض. لم يفكر بالعودة إلى مرابعه، بل قنع بقدره ومنتهى حاله واستوطن أرضه الجديدة وعاش طوال عمره مخبئاً قانعاً.

كان الشيخ محمد العليط يجتاز خافض الرأس كل ضحى بسوق الذهب وقبة رشيد في طريقه إلى الجامع الكبير ليلقي درسه، وبين المتسوقات من النسوة والصبايا يمر كالطيف حتى يقف على عتبة المسجد فيرفع رأسه، مرة تشجع أحدهم وألح إليه بأنه لا يليق بمثله أن يجتاز بسوق للشيطان فيه حظ ومرتع فقال: إنني من حين أخرج من بيتي حتى أعود وأنا مطأطئ الرأس، تقودني خطاي نحو غاييتي ثم أعود أدراجي من دون أن أرى ماتذكرك.

لهذا كان هؤلاء الأتقياء يقرؤون كثيراً في كتب التصوف وسير المتنسكين وأحوال القلوب ويقضي الواحد منهم وقته بين طلب الرزق من كسب يده أو في شؤون أبنائه وبين الكتب ودروس العلم أو تراه قائماً يصلي في محرابه، وتراهم ينفرون من الكتب والمحاضرات التي تخلط الدين بالسياسة، وتعجن الوعظ بمطامح الملك والزعامة.

كان لصديقي عبدالله الحجيلان بيت تحت الإنشاء وكان يمر بمنزله كل يوم يطمئن على سير البناء ويتفقد الاحتياجات، ولكنه توقف فجأة عن جولته اليومية بعد أن تلقى توبيخاً من أحدهم لأن عمال البناء تسببوا بإزعاج المصلين في صلاة العصر ولم يجيبوا النداء، بقي على هذه الحال شهرين حتى هدأت نفسه وخفت آلامه.

وبعد أن اختار هذا الإنسان الفريد من نوعه كسب رزقه من تجارة التمور، اكتشف مرة أن واحداً من صناديق التمر عاد به المشتري، وكان يحتوي على مسامير، فقام بإتلاف كل بضاعته وكانت قيمتها في ذلك الوقت 1408 هـ / 1987 خمسة وثلاثين ألف درهم⁽⁹⁾.

ولقد تصرمت أعوام وأنا أسمع بكاء أمي في مصلاها قبل الفجر بساعة أو قبل أن تأوي إلى فراشها، كانت تسح دمعاً كثيراً كل ليلة، لقد بكت أكثر من ألف ليلة وهي اليوم تنشج كسابق عهدها كما كانت أمها من قبلها، أعرف ذلك منها لأنني أجده في صوتها رغم بعدي عنها، كانت تختنق بكلماتها المتحشجة وهي في مصلاها وكنت أصغي إليها بحزن، وإذا لمحتني واقفاً وهي تنهياً للجوع أو لتسترخي قبل طلوع الفجر تقول: إنني أعرفه جيداً. إنه لم يخذلني يوماً. أنا أعرفه. إنه حبيبي.

(9) يؤسفني أن كثيراً من إخوان بريدة الذين أتحدث الآن عنهم إما أنهم فارقوا دنيانا، أو تمرضوا خلال الست عشرة سنة الماضية منذ 1994 لتحولات فكرية عميقة جعلت من غالبيتهم اليوم من معتنقي فكر الجهادية السلفية أو من مجندي تنظيم القاعدة أو الداعمين له. إن قيام الحكومة السعودية منذ 2003 بسجن ثلاثة أجيال من عائلة واحدة من هذه الجماعة، الجد والابن والحفيد بتهمة تتعلق بدعم القاعدة، يعكس التحول الكبير والمخزن، وهو يؤكد أن الإخوان الحنابلة الذين عرفتهم في عام 1985، ثم شاغبتهم وأنا منهم وجفوتهم ونبذوني ولما أزل منهم على خلاف بسيط ببعض التفاصيل منذ 1990، ثم انسلخت منهم بشكل كامل عام 1994، هم اليوم في طور الانقراض.

لحظة تجلي

كانت إحدى ليالي شتاء 1407هـ/ فبراير 1987 ليلة مطيرة تشعب جراءها ميازيب بيوت الطين التي تقع في الممر الضيق المقابل للباب الجنوبي لمسجد حميدان جنوب بريدة. كنت لحظتها أهيّم على وجهي في برزخ بين المادة والروح وعالم الغيب والشهادة، كنت واقعاً تحت تأثير موعظة للشيخ فهد العبيد شرح فيها حديث اختصام الملاء الأعلى وقصة وضع الرحمن أنامله على كتف النبي محمد. كان ابن عبيد يلقي كلماته في الظلمة⁽¹⁰⁾ بصوت جهوري متهدج يبعث الرهبة والشعور بالجلال، كان جالساً في مصلاه. يمكنك أن تلمحه وأنت في سمت الصف إذا رنوت ببصرك إليه وهو يدفع جسمه نحو الأمام لاطئاً بالأرض. تلك الليلة سرد ابن عبيد أسماء متصوفة كبار كالجنيد وأبي يزيد البسطامي، لم يكن يتهيب أن يذكرهم أو أن يستشهد بأحوالهم ويروي تحفاً من حكمهم وفتوحاتهم. في ذلك الممر الضيق جنوب المسجد واجهت شيخاً كان قد شارف على الثمانين من آل الدباسي، كان يعيش مع زوجته العجوز وإحدى بناته في بيت على ذلك الطريق. ولما مر بي ذلك الشيخ وهو يتهادى على جانب الطريق، عصفت بي لحظتها أمنية أن أكون كهذا الشيخ الذي تصرمت حياته راکعاً وساجداً. بعد سنوات أخبرني زميل لي كان قد جاور هذا الشيخ العابد أنه كان نائماً قبل الفجر، فرأى في المنام ديك جاره الدباسي وهو ينادي بلسان فصيح أن "اتقوا الله، اتقوا الله"، قال فاستيقظت على صياح الديك نفسه⁽¹¹⁾.

(10) الإخوان كانوا يفضلون إطفاء الأنوار أثناء الصلاة في الليل، ويفعلون ذلك ما أمكنهم. ولهذا ألقى فهد العبيد موعظته والأنوار مطفأة. والسر في تفضيل الظلمة أنها لحظات يتواطأ فيها القلب واللسان وتجعل المصلي أكثر إقبالا على صلاته وأقل انشغالا بما حوله.

(11) حكاية أروها لتكشف البعد الفرائضي ضمن سياق هذه الشهادة. ثمة قصص مشابهة تجنبت روايتها.

في السابق وقبل بلوغي الثلاثين كنت أجد راحة النفس بالشكوى أعقاب الصلوات وفي السجود في لحظات التجلي في العشر الأواخر بين سواري المسجد الحرام، أو في المساجد العتيقة في بريدة، أو معضراً وجهي في رمال صحراء نجد الباردة قبل طلوع الفجر. وفي السنوات العشر الأخيرة وجدت بعضاً من السلوى حينما أصغي إلى قراءة المنشاوي وعبد الباسط، ولكن استمر معي ذلك الشوق العارم إلى شيخ صوفي أبوح إليه وأثر بين يديه أحزان روحي كمريد بين يدي شيخه⁽¹²⁾.

المتصوفة الأشرار

في شهر رمضان 1411هـ/مارس 1991، شهدت أروقة المسجد الحرام بمكة المكرمة أياماً من التوتر والملاسنات التي تطورت إلى اشتباكات بالأيدي بين مريدي وطلاب السيد محمد علوي مالكي الزعيم الروحي لمتصوفة الحجاز، وبين عشرات من السلفيين الذين كانوا يتنادون كل مساء ليحيطوا به قبل الإفطار حتى مضي ساعة من بعد صلاة المغرب.

كان رجال الأمن في المسجد الحرام يحيطون بالمالكي والمتحلقين حوله كالطوق، حماية لهم وإبعاداً للمتطفلين الذين تكاثرت أعدادهم يوماً بعد يوم. يطوق رجال الأمن من خلفهم دائرة أكبر من الغاضبين الذين كانوا يطلقون صرخاتهم، ويدعون إلى طرد المتصوفة من المسجد الحرام. وكان المالكي يتجاهل كل ما يحصل حوله، مكتفياً بإظهار الترحاب بكل

(12) حاولت ذلك أكثر من مرة في السنوات الماضية مع بعض من رأيت فيهم شيئاً من نور الله. كان آخرها قبل أربعة شهور. ولكنها كانت مشاريع فاشلة.

منصور النقيدان

زائر ومريد يطمح للسلام عليه وتقبيل يده والقرب منه. ولأن مريديه كانوا قلقين من أن يناله أحد بسوء فقد كان حلمهم - المشوب بغضب مكتوم وتوتر مشوب بعجز وشعور بالقهر - يتهاوى تحت الشتائم التي تنطلق من كل صوب، تصفهم بالقبوريين والمبتدعة والخرافيين.

كنت وقتها في مكة ينقل إلي أصدقائي ممن لا ينقطعون عن حضور تلك المشاحنات التي زادت عن أسبوع تفاصيل ما يجري حيث بلغت الأحداث ذروتها بعدما اشتبك السلفيون بطلاب الشيخ المالكي وبرجال الأمن أيضا أكثر من مرة. ولم تنقطع تلك المصادمات إلا بعدما سافر المالكي إلى مكة ليقضي باقي أيام رمضان في حضرة المصطفى بطيبة.

تكثف تلك الحادثة التي كنت شاهداً عليها قصة السلفية الوهابية مع الصوفية والمتصوفة. ولم يكن مستغرباً أن يكون معظم المشاركين الحانقين في تلك الواقعة من نجد وسط السعودية. وإذا أردنا الدقة فقد كانت تلك الحادثة تشي بما استبطنه ذلك الاحتجاج الديني من دوافع اجتماعية ومناطقية، نبعت من الشعور بالتفوق والاستعلاء النجدي الاجتماعي والسياسي والديني على حاضرة الحجاز وأشكال الثقافة والتنوع المذهبي والعرقي الذي زخر بها منذ مئات السنين. وهو استعلاء نشأ مع الدولة السعودية الأولى وتمدد دعوة ابن عبد الوهاب حتى ابتلعت الحجاز والحرمين، وهو استعلاء ظهر فاقعاً في فتح الحجاز 1344هـ/ 1925، واستمر حتى اليوم بمظاهر وتجليات متعددة.

سمعت بالـ(صوفية) و(المتصوفة) لأول مرة عام 1983 وأنا ابن أربع عشرة عاماً من صديق زاملني في متوسطة القادسية بريدة، اسمه علي الهديب. ولأن والده كان مغرمًا بالكتب وجمعها فقد كان صديقي محظوظاً بالاطلاع على عشرات الكتب التي وجد من بينها كتاب ابن الجوزي الحنبلي (تلبيس إبليس) في نقد المتصوفة. جذبني عنوان الكتاب فالتمتست من صديقي أن يعيرني إياه أياماً، وقع الكتاب بين يدي ولكنني لم أستوعب منه إلا قليلاً. كانت خلاصة فائدتي من تصفح الكتاب هي أن المتصوفة عباد وزهاد قد يخرجون عن سنة الرسول وطريقة أصحابه ويقعون في الضلالة والكفر أحياناً.

بعدها بسنة تقريباً قام أحد المتبرعين بطباعة كتاب صغير كان تلخيصاً لكتاب المتصوف الكبير عبدالقادر الجيلاني الحنبلي (الفتح الرباني والفيض الرحماني) لخصه الشيخ محمد بن سليمان العليط، الذي أصبح بعد ذلك شيخاً لي حيث درست عليه ولازمته أكثر من عام في مسجد عودة المعروف بمسجد الحميدي جنوب بريدة. ومن جامع ابن مساعد الذي يعرف الآن بجامع السكيتي بحي الصناعة في بريدة، حصلت على نسخة من كتاب العليط الذي غصت به رفوف المصاحف في شهر رمضان 1405هـ/1985. كان الكتاب تهذيباً وتنقيحاً لكتاب الجيلاني، وهو ما يشابه ما قام به قبل ذلك العراقي عبدالمنعم العزي في كتابه (تهذيب مدارج السالكين). وهي سنة اتبعها متأخرو السلفية منذ منتصف القرن التاسع عشر مع بعض كتب الرقائق والمواعظ مثل منهاج القاصدين، الذي هو تلخيص من كتاب الغزالي (إحياء علوم الدين).

الهدف من تأليف المختصرات هو تبسيط الأصل وتسهيله وتخفيف لغته وجعله في متناول شرائح أوسع وتسهيله للعامة والمبتدئين في الطلب. ولكن بعد تنامي السلفية منذ قرنين فإن كثيراً من الملخصات لكتب الرقائق والتصوف والوعظ كان القصد منها تنقيتها من المآخذ العقديّة التي يصعب تجاوزها أو يمكنها أن تحول دون انتشار الكتاب الأم، وهذا مايفسر عشرات الملخصات لكتاب الإحياء للغزالي.

السلف والتصوف

نشأت في بيئة سلفية ترضع تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عززها التزام ديني صارم منذ بلغت السادسة عشرة استمر لخمس سنوات، ثم بدء بالذبول والتحول أطواراً متعددة، انتهت تقريباً عام 2004.

منذ 1985 حتى نهاية التسعينيات من القرن الماضي كنت أتنقل بين دوائر التدين السلفي الوهابي بنكهاته المتعددة وتوجهات متنوعة مختلفة ومؤلفة أحياناً. وكان الحديث عن التصوف وسير المتصوفة وعجائبهم وكراماتهم وشطحاتهم حاضراً على الدوام. وذلك يعود ذلك إلى عاملين:

أولهما، أن حنابلة عظاماً فقهاء وعارفين وسالكين كانوا متصوفة، وكتبوا في التصوف مثل ابن الجوزي، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وابن رجب الحنبلي. وقبلهم الهروي صاحب منازل السائرين، وكانت أحوالهم وسيرهم تؤكد ميولهم نحو التصوف.

والعامل الثاني، أنني كنت قد اعتنقت تعاليم (إخوان بريدة) منذ 1406 هـ / 1985. وهم متصوفة الوهابية وأكثرهم ورعاً وحماسة لتعاليم الإمام المؤسس وأشدهم تعصباً لمدرسته. يشبه إخوان بريدة ثقباً في الزمن ليس لهم من عصرهم إلا المعاصرة ومن نظرائهم إلا المشكلة في السحنات والمجاورة في السكنى، ولكن أشواقهم ومرابعهم الروحية ومنتهى غاياتهم تقبع في الرجوع القهقري اثني عشر قرناً من الزمان في حضرة ابن سيرين والحسن البصري وسفيان الثوري ونفحات إبراهيم بن إدهم وأنفاس أحمد بن حنبل ومحمد بن واسع ومن كان يقفوا أثرهم من متأخري النساك الحنابلة وغيرهم.

ولكن الموقف من أعلام المتصوفة عند إخوان بريدة كان ملتبساً على الدوام، كان الرفض واضحاً تجاه الطرق والزوايا وتحضير الأرواح وادعاء مخاطبة الرسول وسقوط الفرائض وتخفيف الشرائع ببلوغ السالك مراتب متقدمة من الإحسان والقرب من الله. ومع ذلك فقد كانت سير المتصوفة وتفاصيل حياتهم وبعض ما ينقل عنهم من قصص وكرامات وفتوحات وحكم وقصص غريبة لها تأثير واضح ووقع حسن، ويتجلى ذلك أوضح ما يكون في كتابات ابن قيم الجوزية في كتابيه (مدارج السالكين) و(طريق الهجرتين)، وفي رسائل وفتاوى ابن تيمية. ومع ما يمتاز به حنابلة السعودية من نفور عقدي مذهبي من وصف أحد بالمتصوف أو الثناء على الصوفية، إلا أن كثيراً من الأحوال والممارسات في سياق الزهد أو الورع أو النسك والعبادة والإخبات والخوف من الله ومحاسبة الذات كانت تتجلى في تصرفاتهم وتقليباتهم وتطبيقاتهم للتدين الذي ارتضوه.

في عام 1407هـ/1986 انقطع زميل لنا اسمه (ناصر الغصن) عن دروس الفقه التي كنا نتبناها عند أكثر من شيخ في بريدة، وبعد أيام من الانقطاع تقفّرنا خبره حتى باح لنا بما كان يعيشه من أحوال عصفت به. لقد انغمس في كتب السير والتراجم والسلوك، بين حلية الأولياء، وسير أعلام النبلاء، ومدارج السالكين، ووصايا المتصوفة الأوائل، ولقوة الوارد وضعف المورد - كما يقول السابقون - رقت نفسه، وأشفق عليها أن تكون عرضة للحساب والمساءلة أمام الله، حين يعلم من الدين ويعرف من الشريعة ويقرأ من العلم ويحفظ من القرآن ما تعظم به الحجة وتقوم به الشواهد على حق الله عليه، مقابل تقصيره وقلة عبادته وتواضع سره مع الله، وعجزه عن أن يبلغ بنفسه من مرتبة الإحسان ما يبعث الرضى من الرحمن ويسبغ الألفاف من لدنه. فانقطع عن حفظ القرآن وتوقف عن تدارس السنة، وأقبل على نفسه يلومها ويوبخها، قانعاً بأن يقف عند تلك العتبة، وجللاً أن يكون محل لوم أو حساب. وبعد أيام قليلة قويت نفسه وفارق تلك الأحوال من الضعف والذبول، وعادت روحه أدراجها، ولازمته البسمة التي عهدناها في محياها.

كان الإخوان في بريدة شأن غيرهم من الحنابلة السلف يحرصون على قراءة واقتناء كتب التاريخ والتراجم التي تناولت حيوات المتصوفة من أعلام القرون الأربعة الأولى، مثل حلية الأولياء لأبي نعيم، وصفة الصفوة لابن الجوزي، وغيرها من الكتب التي تناولت سير المتقدمين من أهل الحديث والأثر وما فيها من قصص الزهد والسلوك والتصوف السلوكي

والأخلاقي مثل الورع والبعد عن الحرام والمشتبهات⁽¹³⁾، والحرص على طيب المأكل والمشرب والملبس، والعزلة عن الخلق، والأنس بالخلوة مع الله والتقلل من الدنيا والقناعة منها بالقليل. أما المباحث الفقهية والكلامية حول التصوف والإشكالات التي أثيرت حول أعلام مثل أبي حامد الغزالي، والحلاج، وابن الفارض، وابن عربي⁽¹⁴⁾، فإن المرجع هو كتب ابن تيمية وابن القيم وابن رجب الحنبلي، وما هو منشور من رسائل وفتاوى لأئمة الدعوة منذ محمد بن عبد الوهاب.

وقد كان من إخوان بريدة من عاش حياة من الزهد والورع والعبادة والانكفاء على النفس قريبة جداً من الحيوانات التي تروى عن أعلام كبار متقدمين من أئمة السلف الأوائل. مثلما كان عليه محمد بن عبد العزيز السليم. الذي عاش عقوداً من حياته التي تجاوزت السبعين عاماً ولم يسمح لنفسه بأن يأكل إلا من كسب يده. فكان يجيب الدعوة ولكنه لا يأكل خارج

(13) يتجنب إخوان بريدة إدخال الصور إلى بيوتهم، لأنها تحول دون دخول الملائكة لبيوتهم، كما جاء في الحديث النبوي، وهم يرون كل صورة سواء كانت على صندوق أو على صلصة أو كتاب، أكانت مجسمة أم ذات ظل أم صبيغاً وتلويناً ونقشاً داخلية في التجريم، وقد وقعت قصتان لاثنتين من الإخوان تسربت صور إلى بيوتهم من دون علمهم وشعروا بثقل ظلها متجسداً بعمرة روحية وهلق وتشويش أثناء النوم، وهو ما يبدو نوعاً من النقاء الروحي والصفاء الذي خدشته تلك المنغصات، حيث تسببت تلك الصور بأذى مادي ترجمته تلك الأعراض، ومثلها قصة حصلت مع الشيخ صالح بن رشيد الفراج، حيث كان يرى في المنام كلباً ينبع في وجهه، وبعد أيام من التقصي هدأت نفسه بعد أن وجد جهاز راديو كان يخفيه أحد أبنائه في غرفته ويستمتع منه إلى الأخبار والأغاني. ولم تهدأ روحه حتى ألتف الجهاز. عند الإخوان في بريدة فإن الراديو والتلفزيون والجراند هي من وسائل اللهو المحرمة.

(14) أبو حامد الغزالي هو إحدى الشخصيات الإشكالية حتى عند ابن تيمية، فقد اختلف كلامه عنه في أكثر من موضع في رسائله وفتاواه، وامتد موقف الشيخ من أبي حامد إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومدرسته، وهذا ما جعل من موقف إخوان بريدة من الغزالي ومن كتبه أكثر تسامحاً مع تحفظهم على فكره وفلسفته ومآخذ عقديته خطيرة رأوها فيها، على غرار موقف أئمة الدعوة النجدية. وهذا الموقف من الغزالي المتسامح نسبياً خلافاً لمجيب الدين ابن عربي وابن الفارض، والعفيف التلمساني والحلاج. فقد كان هؤلاء الأربعة رموز الشر في التصوف المنبوذ وأكبر المجدفين. وكان الرأي السائد خليط من الأحكام فهم إما خارجون عن الملة أو ذوو نحل باطنية وحلولية زنادقة. ومن البديهي أن كتب هؤلاء الأعلام وأديباتهم لم تكن بين أيدينا وغير مسموح ببيعهم أو تداولها، فكنا نقرأ عنهم بواسطة أئمتنا ونقد مخالفهم من المعاصرين.

بيته ولا يشرب فنجان قهوة، وقد عرف كل أحبابه هذه الخصلة فيه، ولهذا لم يكونوا يحملونه مالا يطيق، ولا يخرجونه بـ "التلزيم".

نفور حتمته البيئة القاسية

ينفر حنابلة وسط الجزيرة العربية من أي ميول صوفية تتمثل في التجا في الشديد من أي ممارسات أو عادات تبدو دخيلة وذات منبع صوفي، نجد شاهده في الجفول من جماعة التبليغ والدعوة، وهي جماعة تميل نحو التصوف والتخفف من أثقال الدنيا، ومع أن كثيراً من مواعظهم ممزوجة بالجبرية ونفي السببية وجعل مرد كثير من الأحداث والتغيرات في الآفاق وفي الأنفس والاجتماع إلى قانون "الاقتران"، إلا أن التبليغيين النجديين يبقون لفترات طويلة محصنين ضد تناول العجم ودروشتهم بحيث تبقى تلك الأفكار والمثل مفصولة عن واقع الحياة الذي يعيشونه ويكابدون فيه طلب الرزق وكسب العيش.

في عام 1986 كنت شاهداً على واقعة مؤلمة، حين أخضع واحد من زملائنا، كان يحضر جلساتنا في القراءة والمدارسة، ويحرص على ملازمة حلق التعليم الديني في المساجد، ولكنه اقتيد مرغماً ومكبلاً لعلاج في المصحة النفسية، بعد أن انكفأ في المسجد لأكثر من شهرين متفرغاً للعبادة وتلاوة الأذكار وأهمل بيته وأبناءه، وقد تلقى أحد أصحابي الذي لم يحتمل ذلك الموقف المحزن صفعات ساخنة من خال صاحبنا عبد الله، حيث كان الخال مشرفاً على ما يحدث، وقد انخرط صديقي في معركة غير

متكافئة لتخليص هذا البائس من قيوده بعد أن أقتاده العاملون الأشداء في المصحة النفسية إلى الباص.

كانت بريدة مثل غيرها من مدن السعودية تعج بعشرات أو مئات من أولئك المستهترين الذين تسببت لهم المخدرات والخمور بضياح بيوتهم، ولكنهم لم يُخضعوا لمثل تلك الإجراءات من قبل أهاليهم، لأن الخطر كان يكمن في أن تحظى تلك الدروشة- التي تجسدت في صاحبنا (عبد الله) - من يشجعها ويسمح بفشوها. فكان لامناص من القضاء عليها، في بيئة لا تؤمن إلا بالصلاة والعمل. كان صاحبنا عبد الله مشروعاً فاشلاً لمتصوف تخلص عن الدنيا، ولهذا تخلص عنه الجميع من أولئك الذين جمعتهم بهم الألفة الدينية والحب في الله ومجالس الذكر، فالجميع كان يصادق على تلك الخطوة التي قام بها أقاربه، والجميع كانوا سدنة لتلك الأخلاق العملية في بيئة صارمة تحتم على أبنائها العمل وطلب الرزق وإن قل المردود أو كان مصيرهم النبذ.

وهذا ما كان ينعكس في أولئك الأطفال الذين لم يجاوزوا الخامسة من العمر وهم يطوفون منذ التباشير الأولى للصباح أيام الخميس والجمعة بين دكاكين قبة رشيد والوسعة وسط بريدة القديمة وينادون بأعلى صوتهم بكلمات لاتكاد تبين عن بضائعهم من المناديل والمناشف والجوارب، وتصيبك الدهشة من ذلك الطفل الذي يملك والده الملايين وهو يماكسك على النصف ريال ويوضح لك بطريقة أخاذة تأسر القلب أن الثمن الذي تقترحه لا يفيد ولا "يخارجه". وهي مظاهر تكاد اليوم تتلاشى بعد التحول

منصور النقيدان

الاجتماعي والثقافي والأخلاقي الذي يعيشه المجتمع منذ أكثر من عشرين عاماً.

إن جذور تلك الأخلاق العملية عند الحنابلة المتأخرين بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعود إلى العهد الأول والنصوص المؤسسة في القرآن والحديث، ولكن ما امتاز به حنابلة نجد هو محاولة تنقية وإزالة الشوائب في محاولة للعودة إلى الأصول الأولى.

ويشير راينهارد شولتسه في كتابه "الإسلام والسلطة" إلى انعكاسات الثراء على المجتمع النجدي في العقود الأربعة الماضية بعد دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، يذكر أن "المثل الإحسانية القديمة لم يتبق منها سوى السلطة الأخلاقية لعلماء الدين الذين أصبحت مهمتهم الرئيسية توفيق تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع ثقافة الثراء الجديدة؛ فقد حلت دعوة الشيخ هذه المشكلة ضمن إطار المفهوم التقليدي بأن اعتبرت الثروة والقوة نعمة من الله يجب قبولها"⁽¹⁵⁾.

وتكشف رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب نشرت في الطبعة الأولى من مجموعة "الدرر السنية"⁽¹⁶⁾، عن مرارة شديدة ألمت به إثر انتقاد حاد وجهه له واحد من طلابه، وفيها يذكر ابن حسن كيف أن "ابن عتيق" عاب عليه انشغاله بزراعة أرضه

(15) القصيمي بين الأصولية والانشقاق، يورغان هازلا - دار الكنوز الأدبية - لبنان 2001 ص 94.

(16) الرسالة موجودة في كتاب الجهاد من الدرر السنية، طبعة العام 1964 المعروفة بطبعة الملك سعود. ولكنها أزيلت من الطبعة اللاحقة.

والحرث والتعلق بأذنان البقر وترك الجهاد. وفي الرسالة يؤكد ابن حسن على أهمية الأكل من كسب اليد والاستغناء عن الناس، مستشهداً بوصايا الرسول التي تشجع المسلم على العمل وتحض على الأكل من كسب اليد، ويسرد من أقوال المتقدمين ما يؤكد على أهمية الاستقلال الاقتصادي للفقيه، حتى لا يكون ممسحة يُتمندل بها كما عبر سعيد بن المسيب ذات مرة.

الرسالة تعكس إحدى سمات الشخصية الوهابية الجوهرية التي كانت تركز على جانب العبادة والعمل، وتنفر من الرهينة والنسك الصوفي.

ويأتي ضمن هذا السياق تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب للآية رقم 97 من سورة النحل "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" ، وهو أن الحياة الطيبة ليست قاصرة على السعادة الروحية والرضا، بل تشمل ما هو أوسع وأشمل فالحياة الهنيئة الرغدة والثراء الذي ينعم الله به على عباده ويقوم المسلم بأداء حقه، هو أيضاً من طيب الحياة المعجلة التي وعد الله بها عباده المؤمنين⁽¹⁷⁾.

هذا النزوع نحو المزاوجة بين طيب الحياتين الدنيوية والأخروية عند المسلم الصالح، يفسر أيضاً سرّ الحظوة الكبيرة التي يتمتع بها أثرياء الصحابة مثل الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف

(17) كتاب «التفسير» وهو الجزء العاشر من الدرر السنية، انظر مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

منصور النقيدان

في الثقافة الدينية لدى عامة النجديين. فإنه فضلاً عن كونهما صحابييين من السابقين، إلا أن جاذبيتهما نبعت من كونهما كانا مثالين ملهمين للجمع بين التقوى ورغد العيش والثراء. خلافاً لغيرهما من كبار الصحابة ممن لم يكن لهم حظ من الدنيا.

إن استعراضاً مختصراً لمعظم التراجم لعلماء نجد المتأخرين بعد القرن الثامن عشر يوضح انشغال كثير منهم بالتجارة، ولم يكن من غير المألوف أن يكون كثير من تجار العقار بعد الطفرة في السبعينيات من القرن العشرين هم من فئة العلماء أو الشيوخ الذين جمعوا بين الإمامة والخطابة والإفتاء والقضاء أحياناً، وبين الثراء الفاحش.

لقد اعتبر ذلك دائماً إحدى علامات رضا الله عن عبده، مشروطاً بقيامه بواجب تلك النعمة كما في القرآن "وأحسن كما أحسن الله إليك". جاء كل ذلك في سياق من البساطة التي نشأوا عليها والتحفظ من إظهار أمارات الغنى والاعتدال في المسكن.

لقد كان بعض من اشتهروا بالتقوى والعبادة والحسبة والعلم بالدين هم ممن عرفوا بالثراء كما كان الحال مع الشيخ عبدالعزيز بن مرشد والشيخ أبو حبيب الشثري والشيخ حمود بن عبد الله التويجري. وكان الشيخ فهد العبيد كما سيأتي واحداً من أشهر الشيوخ المعروفين بالزهد والتقوى، ولقد أمضى معظم سنوات حياته لا يركب السيارة ولم يسمح بإدخال الكهرباء إلى بيته، ولكنه كان أحد الأثرياء ومن تجار العقار،

وبلغ حداً من الكرم والسخاء كان يقوم فيه بسداد ديون بعض مريديه ومساعدتهم في تغطية تكاليف الزواج أو شراء سيارة. وهكذا الحال مع فهد العشاب الذي توفي عام 1990 مورثاً عشرات الملايين، وقد كان يملك حياً بأكمله غربي بريدة وهو حي الخبيبية ومزرعة كبيرة في المليدة بيعت بعشرات الملايين وعقارات شاسعة. ولكن العشاب كان يلبس بتواضع ويأكل مايسد رمقه، وبلغ حداً من الورع امتنع فيه عن دهان الواجهة الخارجية لمنزله لأنه كان يرى في ذلك إضاعة للمال.

عبدالله الدويش

ولد عبدالله بن محمد الدويش في الزلفي. وتلقى العلم في بريدة على علمائها منذ أوائل السبعينيات، ثم استقر بها حتى وفاته، في الشحيحة شمال غرب بريدة قبل مغيب شمس يوم الأحد السابع والعشرين من شهر شوال 1408هـ/ 12 يونيو 1988، عن عمر يناهز السابعة والثلاثين.

كانت المرة الأخيرة التي رأيته فيها إثر تدهور صحته بأسبوع تقريباً، صام الستة من شوال في مكة، ثم قام بزيارة أقاربه في الزلفي، وبعد أسبوع من استئناف دروسه في مساجد بريدة ساءت صحته منتصف الشهر. لا أظنه عرفني يومها . انتظرتة للسلام عليه وهو خارج من الجامع الكبير في الخبيبية بعد صلاة العصر، رأيته متكئاً على اثنين من الأخوان وبشته الأبيض الرقيق مرتخ فوق منكبیه الناحلين، خطوت نحوه فمال علي بجسمه الداوي وقامته الفارعة وأنا أغالب قصري لأتمكن من

منصور النقيدان

تقبيل جبينه، اعتمدت على أطراف أصابعي ولكنني أشفقت عليه وترددت فدخلت بينه وبين بشته، كان بشته يوضع بالبخور، وكانت روحه الأسيفة الناسكة تنثر شذاها في كل ماحولها. كان يتمتم كلمات بصوت لا يكاد يسمع ، فاتر العينين لا يكاد يقوى على الوقوف.

تعرض لأزمة نفسية وصحية مرتين خلال خمس سنوات. وفي أيامه الأخيرة كان عاجزاً حتى عن أداء الصلوات. وفي المرة الأولى عام 1983، استمر المرض معه شهراً كاملاً. كان سليم البدن معافى ولكنه كان قد نسي كل شيء. وحينما كان أحبابه يتلطفون به ويلمحون إليه أن وقت الصلاة قد دنى كان يجيبهم بأنه ليس مطالباً بها وأن الله قد أعفاه من أدائها.

أثناء دفنه كان الجبيلي وهو إمام مسجد في الشماس غرب بريدة واقفاً مع المشيعين، زلت قدمه فهوى في قبر محفور مجاور للشيخ، بعد ثلاثة أيام كانت تلك الحفرة مرقد الجبيلي.

"أنا أخطئ عدد أنفاسي، فلا طاقة لي باقتحام الأسواق" قالها الدويش مرة وأنا أقترح عليه أن يسلك الطريق الأخصر إلى مسجد الحميدي جنوب بريدة بعد أن ينصرف من حلقاته في مسجد السكيت في حي الشماس. يقول الرشودي "بقي عبد الله سنوات في غرفته بمسجدي لا يعرف إلا الزيتون وخبز التميز، كأني أراه وهو يحمل الرغيف بين يديه". وكان الدويش يقوم أربع ساعات من الليل ساجداً وقائماً، ويقضي معظم

نهاره في التدريس ، وفي اوقات فرغه كان يلجأ إلى استذكار حفظه من القرآن أو ينشغل بالذكر والتسبيح. كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان يعيش حياة بسيطة للغاية متقشفاً متواضعاً. وإذا كان يوم الجمعة لبث في مصلاه بعد الفجر، وبعدما ترتفع الشمس قيد رمح يصلي ركعتين ثم يذهب إلى بيته ويأكل فطوره أو يعود بعدها بساعة إلى الجامع ويصلي لله ساعات ثلاثاً أو أكثر حتى يدخل الإمام خطبة الجمعة. وكان مصدر رزقه من تدريسه في المدرسة الدينية، ومن أوقاف خصصت للمدرسة وللإخوان لعلمائهم ولطلبة العلم فيهم الذين يتفرغون للدراسة والتعليم. وكان له متجر عطور شرقية صغير في سوق المجلس ببريدة شاركه وناب عنه في الإشراف عليه عبد الله البراهيم السعودي، وهو من طلابه وقد رحل هو الآخر في حادث سيارة عام 2003 .

فهد العبيد وهابي متصوف

صيف 1406 هـ / 1985 كان إخوان بريدة فئتين كبيرتين، فهد بن عبيد آل عبد المحسن بمريديه، وعبد الله الدويش وطلبته، يجسر الهوة بين هاتين الضفتين محمد الفهد الرشودي وعبد الله القرعاوي، وأسماء أخرى من النواب (المحتسبين المتطوعين) والتجار لهم وجاهة ونفوذ واحترام يأتي في مقدمتهم صالح البجادي والجطيلى وفهد العشاب⁽¹⁸⁾، وكانت المدرسة الدينية تحتضن أبناء الجميع.

(18) وقد فارق هؤلاء دنيانا منذ سنوات.

منصور النقيدان

في ضفة الدويش يأتي شيخه محمد العليط وصالح الرشيد الفرج الإمام الأسبق للجامع الكبير، ونجباء من الطلبة لهم حلق صغيرة مثل سليمان السويد وعبد الله البراهيم السعوي وصالح العمر وبيوتات من أهل الخبيبية. معظم أهل الخبوب والمريدسية وخب الثنيان، وخزان الأخوان من العوائل الكبيرة مثل السعوي والعمر وأخوان الفاخرية هم في الأغلب أكثر التصاقاً بفهد، يليهم عوائل أصغر ذات حظوة مثل الدرع والحسني. وقد تكفلت عالتا الحسني والدرع لسنوات بعشاء يقدم في مجلس وعظ فهد ليلتي الاثنين والخميس، لايحضره إلا خاصة مريديه، ولأبناء هاتين العائلتين منزلة لا يدانيها شيء عند فهد، بلغ من تدليله لأطفالهم أنه كان يذخر حلوى (الصعو) والملبس الفاخر لهم عند زيارتهم له. كان يدفنها تحت أكوام الورق والظروف على يسار مقعده في ركن مجلسه الضيق بمنزله الطيني الواقع جنوب بريدة شمال مسجد ابن خضير.

كان فهد بن عبيد أبيض البشرة الضاربة إلى الحمرة، ضخم الجسم، محدودب الظهر قليلاً، تملأ وجهه لحية بيضاء قد انفلقت فرقتين وانسابتا خصلتين مما يلي ترقوته على ناحيتي صدره، له محيا أخاذ يزهر بحمرة وخطت وجنتيه وعينين خضراوين نافذتين كعيني صقر، وحواجب عظيمة. ربما كان في يفاعته غاية في الوسامة⁽¹⁹⁾. ذكر لي فهد عام 1408هـ/

(19) من المهم أن يحصل القاريء على صورة للأشخاص الذين يقتحم تفاصيل حياتهم ويقوده الكاتب إلى خفاياها. ونحن لانملك لفهد العبيد صورة فوتغرافية. من المهم أن نعلم أن فهد العبيد كان يتمتع بوسامة وبهاء جسماني يندر وجوده في علماء الدين من منطقة نجد، ومثل هؤلاء يدركون جيداً ماذا يعني أن يتحدثوا عن الجمال وعن الحور العين. كان فهد حصيفاً بضرب المثل بصيايا اشتهر بالجمال لينهض بهم المستمعين. وهو لذلك كان يختار عائلتين من بريدة يشكل ذكرهما مما نوعاً من التسوية والترضية لطبقتين اجتماعيتين من مريديه من القبليين والعوائل الأخرى من حاضرة بريدة. وبريدة التي نتحدث عنها كلها عن بكرة أبيها حاضرة. خلافاً للتحول الكبير الذي عرفته منذ الأربعينيات من القرن الماضي، والموجة الثانية من الهجرة إليها المنهجية التي رعتها الحكومة منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي.

1987 في بيته أن الشيخ صالح الخريصي أكبر منه بخمس سنوات، وقال: كانت حجتي الأولى وأنا في السابعة عشرة وجيش الأخوان يومها في مكة. مرة كنت عنده فأمر خادمه محمد الجردان بأن يحضر له كيساً أخرج منه نعلين (زبيريتين)⁽²⁰⁾ فُصِّلتا لقدمين ضخمتين وقال: إنهما كانتا آخر نعلين لبسهما. كان يمشي محتفياً فكُونت سنوات من الاحتفاء في أسفل قدميه طبقة متصلبة من الجلد كانت سمّاً واحداً ممسوح الأخمصين كالخف. كان بإمكانه أن يقف حافياً ساعة كاملة فوق طريق معبد أو على الرضاء في هاجرة تجاوزت حرارتها خمسين درجة. في حالات نادرة رأيته يخلط بياض لحيته بصبغ خفيف كستنائي اللون⁽²¹⁾.

مرة أظهر لي (الاخ) كما كان أحبابه يصفونه، في تلك الزيارة نظارة قال إنها عنده منذ ثلاثين عاماً "ولكنني لا أرى اليوم بها شيئاً". إذا صافحت فهداً ضاعت يدك في كفه، وإذا دنوت منه أكثر في أيام القيض وثوبه الخام ينضح بعرقه لم تكد تشم منه إلا شذى البخور ونفح العود الهندي الفاخر. كان صاحب دعاية أحياناً يطلقها في لحظات غضبه. أكثر الأشياء التي تستفز أن ينهمك في قراءته على جلسائه من أوراق أمضى

(20) تسمى النجديّة أيضاً، تصنع من الجلد، ونسبتها إلى الزبير جنوب العراق لسبب لم يتضح لي حيث تتنازعها النسبتان. انظر:

بندر الحمدان، النعال الزبيرية حذاء بسبع أرواح. جريدة الرياض. 24 مارس 2006.
<http://www.alriyadh.com/2006/03/24/article140892.html>

(21) احتمال الأذى وتجشم المزعجات في الحر والقر لا يقوم به إلا ذوو العزيمة الكبيرة، ومن لديهم منزعة قسوة نحو الذات وأطرها، ولهذا كانت تلك الصفات الجسمانية لفهد العبيد الناتجة عن عزيمة نفسية تتساق مع سيطرته الهائلة على مشاعره وتحكمه بعقلها، مثل موقفه تجاه من يفقدهم، وتجليات تلك الملكة وتأثيرها الهائل في كل من حوله. تشير الوقائع التي سردتها إلى نزوع صوفي عند فهد كان يميزه عن كل من عرفتهم نجد من الوهابيين المؤثرين ذوي الحظوة الدينية والمكانة عند الملوك والأسرة المالكة، ذلك النزوع المنبعث من رغبة واعية بأطر الجسد وإخضاعه لسلطة النفس وتحكم الباطن. وليس غريباً ما يقال من أنه كان متمنعا فترة من الدهر على الزواج ومفضلاً أن يبقى خفيف الجاذ في شبابه. وقد أمضى فهد السنوات العشرين الأخيرة من عمره بعد وفاة زوجته ورفيقة عمره وأم أولاده عازباً. وهو لم يعرف التعدد طوال حياته حسب ما أعرف.

منصور النقيدان

ساعات وهو يكتبها ويكون من بينهم من لا يصني أو يحرق في الأشياء حوله. دنا منه مرة واحد من المقربين منه وهو عبد العزيز السيف بعد انتهاء جلسة الضحى وذكر له حاجته إلى رقية "قران" لعنز⁽²²⁾ عنده تعسرت ولادتها، فقال له فهد مازحاً "عجيب أمرك يا عبد العزيز، أمس امرتك⁽²³⁾ واليوم عنرك".

كان يكتب مواعظه بخط يده بأقلام خاصة وبحبر أزرق يشكها باللون الأحمر، ولكن يعسر على غيره قراءتها. مرة أخرج لي ورقة وقال لي اقرأ، كانت قصيدة مدح وإطراء فيه أرسلها من الرياض الشيخ علي الحواس وهو كان يرى نفسه ابناً لفهد حيث رعاها الشيخ منذ صغره. وبعدما انتهيت أخذها ومزقتها، ولم يعلق بشيء. بعد أيام تكررت القصة مع شخص آخر، طلب منه أن يقرأ القصيدة عينها ثم أخذها ومزقتها.

كان فهد العبيد بارعاً في استلاب قلوب من يرى فيهم الذكاء والنجابة. أسلحته الفتاكة هي الغموض والكرم اللامحدود والتدليل، والمخطوطات والكتب التي يندر وجودها. لا تمنعه منزلته وقدره الكبير من أن يقوم بتقشير البطيخة لك وأنت في عمر أحفاده. كانت تلك حباته التي لا تخطيء فريستها، بعد أيام قلائل من معرفتك به ومحبه لك ستجد أنك غارق في بحر نعمته، وترى في كل من حوله أثر رضاه عنك، وحينها عليك أن تنتهياً للمطلوب منك: مريداً متبتلاً في محرابه. وإذا أشاح بوجهه عنك

(22) ماعز.
(23) أي امرأتك.

عبس في عينيك عشرات من الأتباع الحانقين، وبعد انتهاء مجلس الضحى ترى قاطرة من مريديه ينتظر كل واحد منهم دوره لينفث في أذن فهد تقريره الإخباري عن كل ماسمع ورأى في الأربع وعشرين ساعة الماضية: عن حادث سيارة عند المستشفى المركزي، أو شجار بين اثنين في الوسعة، وعن امرأة كسعتها⁽²⁴⁾ سفيه على مؤخرتها في قبة رشيد، أو خباز شوهد وهو يعجن الطحين بقدميه، أو شتيمة قيلت في شخصه، فلم يكن غريباً أن يلمّ بموجز الأربع وعشرين ساعة الماضية قبل أذان الظهر.

قال لي مرة: طلبت العلم على الشيخ العبادي وحفظت عليه كتابي فضل الإسلام، وأصول الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب". لكنه كان يذكر شيخه عبد الله المحمد السليم أكثر من شيخه عمر وهو شقيق عبد الله السليم وأصغر منه. كان فهد يحبه ويفضله على أخيه في الزهد بالدنيا. ويذكر أن بشت (عباءة) عبد الله كان خلقاً لا يساوي شيئاً من الدنيا.

ولفهد العبيد كلمات تناقلها الناس من بعده حتى اليوم، ولكنهم كثيراً ما يخطئون في نسبة أشياء إليه هي في الحقيقة لأخيه إبراهيم، من كلمات الشهيرة بين الإخوان ذكره كثيراً للحية سليمان اليعيش في سياق التفضيل والنفاسة، ومنها عبارات في غاية الطرافة، أطلقها وتناقلها الناس خارج حدود المنطقة الوسطى، مثل ضربه المثل لجمال بنات آدم بحسنات المشيخ وبنات الربدي حين يأتي الحديث عن حور الجنة وجمالهن الخلاب. عام 1406هـ/1985 سمعته يقول "لو أن الله في علاه

(24) الكسح: أن تضرب بيدك أو برجلك بصدر قدمك على دبر إنسان أو شيء.

سأل الحمار اللي ينهق ويصوّن: يا حمار، هل الأرض تدور حول الشمس؟
لقال الحمار: وعزتك وجلالك لقد كذبوا". وهذه العبارة شُهرت عنه
وتكررت منه مراراً، وقد سمعتها على شريط كاسيت عند صديق لي في
الرياض عام 1411هـ، وصواريخ صدام تهبط على الرياض.

من إخوان بريدة أفراد مستقلون ولكنهم بقوا موطناً للمشورة
والتماس الحكمة عند الشدائد، وظهور الشقاق، مثل محمد عبدالعزيز
السليم. آخرون مثل عبدالكريم الحميد يزيد معجبوهم وينقصون حسب
المواسم، لم يكن لعبدالكريم عام 1406 هـ/ 1985 إلا اثنان من المحبين في
أجواء من النبذ والهجران، فمنذ أن بدأ الخلاف بينه وبين شيخه فهد
العبيد عام 1401 هـ/ 1980 حول كروية الأرض ونزول المطر من السحاب،
مروراً بمذكرته العلوم العصرية والآلات السحرية عام 1404 هـ/ 1983
وأصحابه في تناقص. ومنذ العام 1411 هـ / 1991 بدا أن سحر شخصيته
وطريقة عيشه تخبأ ألباب الشباب، حتى بلغت ذروتها بعد أحداث الحادي
عشر من سبتمبر⁽²⁵⁾.

من هؤلاء محمد عبدالله أبا الخيل الذي تقدم ذكره في هذه
الشهادة المعروف بـ(ولد أبوركعة). وقد كتب كراريس بخط يده، كانت ردوداً
على ابن سعدي في حكم استخدام مكبر الصوت للصلاة والأذان، ورد على
الألباني في دوران الأرض حول الشمس وكتب مذكرة انتقد فيها سيد قطب
في مواضع عديدة من ظلال القرآن، وكتب عن الكنديشنات "المكيفات"

(25) انظر الحاشية رقم 4.

والقواطي " المشروبات الغازية. كان يكتبها له محمد السليم ثم تنسخ ويجري توزيعها⁽²⁶⁾.

هذا التصنيف محاولة لتوضيح التمايزات التي كانت تعج بها جماعة مغلقة على ذاتها، وهي فروق مع أنها لا تكاد ترى بالعين المجردة ولكنها لعبت دوراً كبيراً في انقسامها على نفسها، وإلا فإن الأفكار الرئيسية التي تنتظم عقدهم وتلم شملهم وتجعل منهم لوناً مختلفاً هي موضع إجماع، وكثير من الأخوان كانوا يتلمذون على الدويش والعليط والرشودي ولهم حظوة عند فهد العبيد في الآن نفسه. ولكن العكس ليس صحيحاً دائماً، فإنه باستثناء وجهاء الجماعة الكبار فلا أعرف أن أحداً من عامة الإخوان أو من شبابهم كان من المقربين إلى فهد ويحظى بمكانة خاصة عند الشيخين الدويش والعليط.

يغلب على الفئة التي يتزعمها العبيد ولاء عميق له، يتعاملون معه كما ينهج أتباع شيوخ الطرق، أحياناً يروق لي وصفها بأنها طرقية حنبلية بـ "تجميع نجدي وهابي"، والناس عند هذه الفئة يجري تصنيفهم على حسب قربهم وبعدهم من الشيخ ورضاه عنهم، فهناك خاصة، وخواص، وجليس وهناك محب، ومبغض ويأتي في أدنى المراتب الضد. وتلك منزلة منبوذ صاحبها. عام 1409 هـ/ 1988 استطاع صديق قديم بعد عصف ذهني قمنا به سوية أن يحصر طبقات الناس عند فهد ومريديه فبلغ بها عشر طبقات. كانت فكاهة ولكنها حقيقة. كان قدرني أن أمر ببعض من هذه

(26) تقدم ذكره.

منصور النقيدان

الطبقات، فمرة كنت من الخواص وأخرى من الخاصة، وفي لحظات كلمح بالبصر نعمتُ بامتيازات خاصة الخاصة، ثم هويت إلى الأسفل حتى كنت لفترة عدواً من الأضداد الذين يدعى عليهم في مجلسه ويؤمن الحضور على هلاكهم.

سبب دعاء فهد على بعض من أحبابه السابقين عتب وخيبة أمل أخفق في دفنها بين جوانحه فعبرت عن نفسها بتلك الطريقة.

وفي أوائل الثمانينيات تعرض فهد لانتقاد من بعض الإخوان، بعد أن شاع أنه يقيم صلاة الجماعة في بيته مع بعض أتباعه، وكانت تلك من فهد جرأة كبيرة وأمارة على احتفاظه برؤية خاصة حول المقصد الشرعي من الصلاة والغاية السامية منها، فهو لم يكن راضياً عن واقع المساجد ولا عن التحول الكبير بعد تمدد الإسلام الصحوي، الذي كان إعلاناً بانقراض التدين الحنبلي الوهابي البسيط وتصور دور المساجد وطريقة بنائها وتصميمها. وقد تراجع فهد بعد فترة من الضغوط موزعاً صلوات الفريضة بين مسجد حميدان ومسجد ابن خضير، حيث تقع بيته في منتصف المسافة بين المسجدين.

وتدينُ هذه الفئة التي تتبع فهداً وتحذو تعاليمه يجد مصادره في سلوكيات بعض من مطاوعة نجد المتأخرين، ولكن جذوره منشورة في تراث ابن الجوزي وابن رجب وابن القيم مثل كتاب طريق الهجرتين، وبعض من نصوص ابن تيمية في السلوك، وفي وصايا لعبدالقادر الجيلاني الحنبلي

وغيره، تفصح عن هذه الميول غبطة بعبارات متصوفة أوائل كانوا يعتمدون الذوق ويقدمونه على العلم، ويفصلون بين البصيرة والعلم، فهذه الفئة تؤمن بأن صاحب البصيرة قد يهتدي إلى حل معضلات المسائل العلمية ومشكلاتها الكبرى وتستغل عقدها على العالم المتبحر، هي شذرات من هنا وهناك أسعدت بعض الكسالى ليعتذروا بها عن التفقه بالشريعة وفق الأصول المتبعة في الطلب، مع تهوين لايجاهرون به للتفقه على الشيوخ ولكنهم يكشفون عنه في جلسات الصفاء وبين المريدين والمستجدين من الأتباع. لا يمكن فصل رؤيته عن صلاة الجماعة كما سبق عن قناعته الأخرى في كيفية طلب العلم وتحصيل فقه الشريعة، من دون الحاجة إلى شيوخ وفقهاء يلزمهم الطالب مستدلاً بآية البقرة: (واتقوا الله ويعلمكم الله). وهي رؤية لم يكن يكشفها لأحد من الشباب الذين يحبونه ويألفون مجلسه إلا بعد أن يكونوا قد قطعوا أشواطاً تهيؤهم ليكشف لهم رآيه.

ومع أن الإخوان بجملتهم يقارب تدين عامتهم وخاصتهم تدين البربرهاري الحنبلي، جفافاً لا رواء فيه، إلا أن فهد العبيد كان أقرب مثال والأكثر تطابقاً مع تلك الشخصية المثيرة. الدويش نفسه كان لديه نوع من الاعتقاد بأن صاحب العلم القليل الناسك قد يهتدي إلى فك مغاليق صعاب المسائل التي تستعصي على عالم أكثر تبحراً. في شتاء 1407 هـ/ 1986 سألته سليمان العلوان وكنت حاضراً في مسجد العناز عن عبارة ذكرها أبو بكر الجزائري في تفسير القرآن أن "الله واسع العلم والذات" كان الإشكال في "الذات"، فقال الشيخ: لا أدري أسأل صاحب بصيرة، وبقيت إجابة مبهمة. وبعد أيام سألته الدويش هل سأل عنها كما أوصاه فقال سليمان: لا.

منصور النقيدان

لم أعرف من تقصد. قال اسأل عنها عبد الله البراهيم القرعاوي. وهذه النزعة تسربت من آراء منثورة لابن تيمية وابن القيم، في معرض الحديث عن السلوك وأحوال القلوب. لكنها كانت قشرة لم تبلغ الأعماق، ونبتة في غير أرضها.

بعض من محبي وطلبة الدويش والعليط لهم علاقات ود وثيقة بفهد العبيد، وآخرون لا يزورونه إلا في المناسبات الكبرى مثل عيد الفطر والأضحى حيث يقضي ضحى يومي العيد في حوش المسيطير بـ(رواق) حين كان في صحته ونشاطه قبل أن يثقله المرض، وآخرون كانوا يرونه فقط في مجلس وعظه في مسجد ابن زعاق قبل توقفه أواخر 1406هـ/ 1986 ولا يزورونه في بيته، وآخرون لاصلة تربطهم به. أما من قادته خطاه الأولى إلى مرايع الدويش والعليط فقد كان خليقاً به إذا اعتنى بنفسه وأسعده الحظ واجتهد أن يكون عالماً. لأن الأجواء كانت تساعد على ذلك، وطالب العلم كان له مكانة لا يعدلها شيء. كان طالب العلم ضمن هذه الفئة مدلاً، والحنان والعطف يتناوحيان. ومع كل ذلك كان فهد يتمتع بسطوة على الجميع.

كانت كبرياؤه تحول بينه وبين الاعتذار عن عبارات أطلقها تسببت بقطيعة معه وهجران بعض الإخوان له سنوات طويلة. ولم يكن مستعداً بأن يقوم بما هو أكثر من امتداحهم ليمحو ماضى، ولهذا كانت روحه تثقل هيكله وتضعع بنيانه.

كانت نفسه العظيمة تمور كالبركان وتَحَطُّهُ من الأعماق. فبعد أن دنا منه ابنه الأكبر عبدالرحمن وهو في مجلس الضحى صيف 1409هـ/1989 يقرأ على زواره بعضاً مما كتبه، أسر إليه عبدالرحمن في أذنه "إن أخي عبدالمحسن توفي في حادث مروري على طريق سدير" فلم يقطع فهد قراءته، بل أكملها وبعد أن انتهى أعلن بكل طمأنينة للحاضرين بأن "ولدي عبدالمحسن توفي اليوم". كان قد فقد في كهولته أعز صديق عرفه من آل العجاجي، فاحتفظ بذكره ولهج بفضائله، وحفظ له عهده عقوداً، كانت خسارته لصديقه جرحاً انبجس عنه نبع من الحب لا ينضب، وشوق عارم حزين.

وقد كان محظوظاً أن يعيش بهذه الروح الكبيرة والمهجة العنيدة ثلاثة وتسعين عاماً.

توفي فهد يوم الثلاثاء الحادي عشر من سبتمبر 2001. فاضت روحه في اللحظات التي تجمدنا فيها لنشهد على التلفزيون سقوط برجى مركز التجارة العالمي. بموته تشرذم أتباعه وتهاوى بعضهم وفقد آخرون البوصلة، وافق يوم موته لحظة تدشين عالم جديد. فقد كان معلماً من معالم بريدة، وأسطورة لامثيل لها⁽²⁷⁾.

(27) قد يكون فهد في سنواته التي فاقت السبعين عاماً واعظاً ومذكراً قد قال وكتب مايفطي آلاف الأوراق التي أوصى بأن تحرق بعد موته كما أفصح لي عن ذلك في زيارتي الأخيرة له صيف 1409هـ، 1988، ولكن مايميز فهداً هو بصمته التي تميزه عن غيره، تلك النكهة المنفردة، وقد عبر عن ذلك بعض مما أوردته. فإن كل مانشر هنا هو من الأمور المألوفة والمعروفة عن فهد، قالها في مسجد أو في مجلس وعظه، صحيح أن بعضاً منها كان محصوراً في دائرة الجماعة الصغيرة ولكنه لم يكن سرا، وماعداها فهي مما شاهدته أو تلقيته منه مباشرة، يبقى أن الكاتب يصاب بعبارة حين يقوم بعملية الانتقاء والاختيار من ركام القصص والحكايا والمواقف التي تختزنها ذاكرته، وتشكل كل واحدة منها لبنة تضفر مع الأخريات صورة مقاربة لمن نكتب عنهم، وهذا دائماً يمثل امتحاناً كبيراً لأي كاتب يتناول السير الشخصية.

خاتمة

تكشف الوقائع والقصص التي رويتها عن تصوف إخوان بريدة، أنه تصوف في السلوك والتطبيق العملي للحياة في المأكل والمشرب والعبادة ومداومة الذكر والصلاة والتقلل من الدنيا والرضى بالقليل. وهو يشابه إلى حد كبير تصوف أهل الحديث والأثر، ولكن مع وفاء كبير لتعاليم الإمام ابن عبد الوهاب، مع بعض الشطحات التي احتُملت وجرى التفاضي عنها في توجهات فهد العبيد ومريديه.

لقد عشت بين إخوان بريدة قريباً من خمس سنوات خالصة وأنا منهم، وكانوا دائماً كالرفقاء والأوصياء على سلامة الطريق وصحة المنهج والأكثر احتساباً من بين الوهابيين، مع شعور عميق وقتاعة راسخة أنهم هم صفوة السلف وخيار هذه الأمة. وليس غريباً أن يكون لهم -رغم قلة نفوذهم العلمي والفقهي وغلبة العوام فيهم- حظوة وسطوة وهيبة عند علماء الوهابية الكبار وهو ما لمسته في أكثر من زيارة ولقاء جمعنا مع الشيخ عبدالعزيز بن باز وغيره من العلماء. تضافر ذلك مع تقدير كبير للإخوان من قبل الملك والأمراء الكبار في كل مكان يفدون إليه في أصقاع البلاد. ولكن هذا الاحترام الكبير والتقدير تعرض لانكسار عام 1407هـ - 1408هـ / 1988، بعدما أغلقت مدرستهم الدينية، ثم تضععت منزلتهم إثر التغير الكبير الفكري والديني بعد تسرب الفكر الجهادي والتكفيري

إلى أجيالهم الشابة، وتلوث بعض كبار السن فيهم بتلك الأفكار. كما أن رحيل الكبار منهم والمؤثرين فيهم كان عاملاً مساعداً في ذلك التحول ، وذلك يعود لأسباب أرجو أن يكون شرحها في دراسة أكثر توسعاً من هذه الشهادة التي هي إضاءة ورواية عن قوم كانوا فبانوا.

المسبار

المسبار

التَّصَوُّفُ فِي عَسِيرِ وَالْمَخْلَافِ السَّلِيمَانِي

إبراهيم طالع الألمعي(*)

كل متصوف يضع له تعريفاً متفقاً مع الاتجاه الذي يتجهه هو والدرجة التي وصل إليها في هذا الاتجاه ، فمن تعاريفهم : الصوفي من صفا قلبه - من لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء - طلب الحقائق - ويعرفه الغزالي بقوله : أخصّ خصائصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال وتبدل الصفات ⁽¹⁾.

(*) كاتب وباحث ولغوي سعودي.

(1) انظر في هذا تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون - عمر فروخ - دار العلم للملايين - بيروت 1972 م.

التصوف في عسير والمخلاف الشليماني

- ويعيد عمر فروخ مصادر التصوف الإسلامي إلى ما يلي :
- العنصر الإسلامي الذي بدأ بالزهد ، منقلبا مع مطلع العصر العباسي إلى مظهر التصوف والإيغال فيه حتى إن (رابعة العدوية) قالت : إن حُبَّها الله لم يدع في قلبها مكانا لكره إبليس .
 - العنصر اليوناني الذي تسرب منه المذهب (الأيوني) بما يراه من أن الوجود كله في الحقيقة هو الله ، و(الفيثاغوري) الذي يرى بأن وراء العالم المادي عالما روحانيا تشاق إليه النفوس لا يصل إليه إلا من ألزم نفسه بالبعد عن العُجْب والتجبر والرياء والشهوات ، ثم (الأرسطية) القائلة بأن الله هو الغاية التي يجذب إليها العالم في تطوره نحو الكمال .
 - العنصر الهندي القائم على التناسخ الروحي المتكرر حتى درجة الوصول إلى (النرفانا) المتخلص من الوجود المؤلم .
 - العنصر الصيني ، حيث إن للفيلسوف الصيني (لي آر ه أو لاوتسه) كتابا سماه تأو(الطريق) ، إذ مضمونه عندهم أقدم من السموات والأرض ، وهو الحقيقة القصوى وكل شيء منه وفيه وإليه يعود ولا يمكن وصفه ولا يدرك بالبصر ولا بالسمع ولا بالعقل .
 - العنصر المسيحي ، ويظهر هذا في الحب الإلهي لدى الصوفية وعلاقته بالحب في المسيحية، وفي التبتل وترك السعي في الدنيا، وفي الاتجاه الحلولي لدى الصوفية مقارنة بالتثليث لدى المسيحية⁽²⁾.

(2) المرجع السابق : ص 470 وما بعدها.

أما ما أراه غايةً للتصوف لدى البشر - سواء منه الإسلامي أو شبهه من الديانتين السماويتين أو الوثنيات قديمها وحديثها - فليس سوى بحث إنسانيٍّ عن الأمن ضدَّ العدمية، وبحثٍ عن القوة أمام الضعف ، ولجوء إلى الغوص في الشعوريَّ المجهول أمام العجز العقلي لإدراك جوهر الفاعل غير المحسوس في الحياة الظاهرة المحيطة، فهو نوع من الأحلام البشرية الشفافة الشاعرة والتائقة للوصول إلى الفاعل القادر والاندماج فيه إيماناً بقدرة وراء الطبيعة ، وعجز عن إدراكها ، مع قدرات خاصة يملكها من يدعي الوصول وتهيؤ للظروف البيئية والاجتماعية البشرية المحيطة به .

التصوف وطقوسية البشر

ومهما وجدنا لدى أهل التصوف من الطرق والأشكال ، ومن صنوف التلقي والاتصال ، فأنا أعيدُ كل هذا إلى الطبيعة البشرية ذات الحاجات إلى الطقوسيات سواء في جوانب الحياة الحسيّة ، أو في النواحي الروحية والشعورية . والعلاقة بالغيبيات أكثر ثراءً في المجال الطقوسي، ودليلي على هذا أن الحياة الصوفية لا تنمو نوعياً وسلوكياً بشكل أوسع وأعمق سوى في مراكز الحضارة والتجمع السكاني، كما أن للتصوف جوانب تتعلق بالبيئة المحيطة جغرافياً وتاريخياً وبشرياً، فهو إذن : عملية طقوسية بشرية تفترق عن بقية الطقوس العادية بأساليبها التي تستخدمها لإقناع المريدين أو المؤمنين، ووجدت في العلم المادّي عجزاً عن التعبير بما يشبع نهم الإنسان في البحث عن مصيره بعد الموت وإدارة شؤون حياته

التصوف في عسير والمخلاف الشليماني

المجهولة أيضا، كما وجدت في الفلسفات القديمة والحديثة وعلوم الكلام من قدرية وجبرية واعتزال وغيرها عجزا في إقناعها بتفسير السيورة البشرية وعدميتها من خلودها ماديا وروحيا .

والطبيعة البشرية بفطرتها طبيعة طقوسية لا تعيش دون ذلك، فالحروب طقوس، وأنماط التدنن والاحتفالات والسير في الطرقات والانزواء في الزوايا أو المغارات أو الغابات أو الصوامع ليست إلا طقوسا إنسانية عمل البشر على ترقيتها وتنويعها تراكميا عبر الأزمنة والمعتقدات بأنواعها، ثم تأتي قناعات كل بما لديه قاطعة لا يقبل فيها حتى التأويل، لأن إيمانه لم يأت منفردا مطلقا بل تراكميا عبر ملايين السنين .

السياسة والتصوف

يجد السياسيون في مجالات العقائد والأيديولوجيات مرتعا خصبا مبررا للحكم والقيادة، فلا حكم للحاكم بلا سلاح نفسي أيديولوجي يخضع بواسطته عامة الناس. ونجاح الحاكم أو القائد يكون بحسب ما يحمله للمحكومين من أدلجة أو قومية أو روحانية تبرر تميزه عن غيره ممن يحكم، وتقنع عامة الشعب المقود، وتقود له هذه العامة. لهذا نجد التصوف يتأثر بالسياسة بعدا - وهو الأغلب كما هو عند كبار الصوفية الذين اعتزلوا الحياة الطبيعية سلوكيا ولجأوا إلى التزهّد فيها - وقربا وهو الأقل كما نجد لدى بعض الساسة الذين اعتنقوا الفكر الصوفي لكنهم حكموا ، مثل (الأدارسة) في إقليم (تهامة) بجزيرة العرب ضمن

موضوعنا هنا، والذين وجدوا في هذا الاتجاه ما أقنع بهم العامة. ومن أمثلة علاقة السياسة بالتصوف ما يلي: (ورد في كتاب (في ربوع عسير) لمحمد عمر رفيع ما يلي: يقول أحد علماء الحفاضية⁽³⁾. المعاصرين من سكان قرية (رُجال). : ومن ذلك الشهر قبل دخول الدولة - يقصد السعودية - هدمنا القباب - يعني قبابا كانت على أضرحة بعض أسلافهم - وتوليتُ ذلك بيديّ طاعةً واحتساباً ..)⁽⁴⁾، وكالدولة السعودية التي وجدت في الفكر السلفي الوهابي ما طوّع لها عامة الناس باعتبارها تحمل دعوة إصلاحية وليست مجرد طالبة ملك .

فالتغيير المذهبي صاحبَ الحكم السعودي بسبب تمثيل الحكومة خلال بداياتها في المناطق بفئات يحملون مفهوماً أحادياً للدين ولا يقبلون غيره، حتى بلغ صراعهم أشده أخيراً مع الملك عبد العزيز في معركة (السبلة) الشهيرة .

وبعد استثناء فكرهم ونجاحهم في استخدام الدين مبرراً ضد النظام السياسي غطاء لهم، بدأت الأنظمة تحاول البحث عما أسمى (الوسطية) دون أن تستطيع حتى الآن إعادة بقية المذاهب الإسلامية التي غُيّبت عن ساحة البلد بفعل أولئك ، وتعود صعوبة العودة إلى بقية المذاهب على اتساعها في واقعها إلى شدة وعظم ما بذلته الدولة لترسيخ الدعوة السلفية وفق مدرسة محمد بن عبد الوهاب، حتى صارت كل مخرجات

(3) سيأتي الحديث عن هذه العائلة لاحقاً.

(4) في ربوع عسير ، محمد عمر رفيع ، دار المعهد الجديد بالقاهرة 1954م ، ص 178.

التصوف في عسير والمخلاف السليماني

التعليم في البلاد ناتجا لهذا، ولذا فإنه يلزمها للعودة إلى الوسطية المذهبية زمنٌ أكثر بكثير من زمن التأسيس في ما لو بدأت عمليا اليوم بتطبيق المنهجية الواسعة في كل مستويات المناهج العامة والتخصصية .

أما أوضح مثال حاليّ على استخدام الدين ميثولوجياً فهو ما نراه في الثورة الإسلامية الإيرانية ، حيث استخدم نظام الحكم فيها فكرة (حديث المهدي) ومسمى السيّد والنسب الشريف لإقناع العامة بمهديّ من هذا النسب الشريف غائب منتظر ينوب عنه المتنفذون حتى زمن ظهوره.

بيئات التصوف والفلسفات

جزيرة العرب لم تكن - في عمومها - منبعا صالحا للتصوف ولا للفلسفات، فطبيعتها الجغرافية كلاسيكية بين الصحراء الممتدة التي لا تسمح بأجواء التجمع البشري وبالتالي الفكري والثقافي، وبين (جبال السروات) التي لا تصلح أيضا للتجمع السكاني المكتظ الذي ينتج مدارس الفكر والفلسفات، وإقليم (تهامة) الذي كان يُعتبرُ الإقليم الوحيد الصالح - نوعا ما - في جزيرة العرب لإفراز الثقافة بشكل حسّي يتناسب مع طقسها وطبيعتها وتربتها، وبتعبير آخر : جزيرة العرب ثلاثٌ من التُّرب : رمليةٌ صحراوية ترتبط طبائعُ إنسانها بها من حيث صعوبة الاندماج، وصخرية جبلية تتمثل في السروات والهضاب ويرتبط إنسانها بها كذلك من حيث صلابة التفكير والمشاعر، وسهل تهامة الطيني الذي تتبعُ نوعَ طينهِ طبائعُ أهله، فمثلا يسهل عليك جمع الطين المبلل بالماء يسهل

عليك فيها تكوين جماعة متواصلة متأثرة متأثرة، بينما يصعب تجميع الرمل مهما بلّته بالماء . وهكذا يكون أثر البيئة المكانية على ساكنيها. هذا إيجاز لطبيعة الجزيرة العربية وتبعية طبيعتها البشرية لهذا، فمعظمها في القسم الشرقي والشمال صحراء مستوية تنتج فكراً مستوياً جاهزاً قليل التعمق والتعرجات الفكرية، إذ تفكير الصحراء ممتدّ امتداداً أفقياً أكثر من اتجاهاته الرأسية، غير أن سهل (تهامة) الممتد من (مكة) إلى (عدن) بين جبال (السراة) شرقاً والبحر الأحمر غرباً ذو خصوصية بيئية مختلفة على مستوى الجزيرة نوعاً ما كما ذكرنا ، وتعدّ من أكثر مناطق جزيرة العرب التي عرفت حضوراً قوياً للتصوف، وذلك عائد - عدا ما ذكرناه من الصلاح البيئوي - إلى عدم التشدد المذهبي فيها وإلى طبيعة السكان المسالمة ، وما يمتاز به هذا الإقليم من أمن وهدوء (5).

اليمن

اليمن الطبيعي والتاريخي هو النصف الجنوبي من جزيرة العرب، ويحده من الشمال بلاد غامد⁽⁶⁾، أما في لسان العرب لابن منظور فهو: ما كان جنوبي الكعبة⁽⁷⁾. وبالتالي فإن إقليم تهامة حتى جنوبي مكة يعتبر ضمن حدود اليمن الطبيعي تاريخياً، وتسمية اليمن السياسي حالياً ليس سوى مصطلح حديث.

(5) الإسلامية اليمنية، مجموعة باحثين، مركز المسبار للدراسات والبحوث بتصرف، ص 62.

(6) انظر في هذا : الرحلة اليمنية للشيخ حسين بن علي مؤلفه شرف عبد المحسن البركاتي ط1 ، دار الأوراق، لندن 2007م ص 119 وما بعدها.

(7) لسان العرب، ابن منظور، باب النون، فصل الباء، وانظر أيضاً: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، منطقة عسير ج 1، علي إبراهيم ناصر الحربي، الناشر : نادي أبها الأدبي 1997م.

التصوف في عسير والمخلاف السليماني

فعندما نطلق (اليمن) في موضوعنا هذا فتحن نقصد به اليمن الطبيعي التاريخي لا السياسي الحالي، ويظهر أن اليمن قبيل البعثة النبوية كان كتابيا، فبحسب حديث معاذ بن جبل أن النبي - ص - قال له حين بعثه إلى اليمن : (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فإن هم أطاعوك إلخ الحديث)⁽⁸⁾. فللتكير في كلمة (قوما ..) دلالة العموم ، وقوله : من أهل الكتاب أي : أنهم جميعا أهل كتاب لأن (من) هنا للتبويض أي أنهم جميعا جزء من أهل الكتاب ، وهذا أمر من الأمور الكثيرة في التاريخ العربي والتي قد تستدعي إعادة كتابته من داخل الجزيرة بناء على فقه النصوص لا على نصيتها الظاهرية ، حيث كُتب جلّه من خارجها وبشكل سياسي متحيز دون وعي ولا التصاق بالمكان ولا ينصف الحقائق ولا تاريخ الجزيرة .

وسيكون تركيزي هنا على القسم الواقع في المملكة العربية السعودية من اليمن ، نظرا إلى أن معظم الباحثين في اليمن السياسي الحالي يركزون على ما يدخل الآن ضمن الجمهورية اليمنية، وأهم إقليمين يمنيين تاريخيين في القسم السعودي من الجزيرة حالياً هما : عسير ، المخلاف السليماني.

(8) التصوف في تهامة ، محمد بن أحمد العقيلي ، ط1 ، 1964م ، دار الأصفهاني وشركائه.

إقليم عسير

كان هذا الإقليم عبر تاريخه متأرجحاً في حدوده حسب امتداد من يحكمه، ولم يكن ثابت الحدود الجغرافية، حتى دخل في الحكم السعودي بعد تعاقب الحكومات عليه. وأغلب تاريخه الإسلامي كان خاضعاً لحكم (اليزيديين) وآخرهم (آل عائض)، وكان حكمهم في مد وجزر بين العثمانيين وإمارات أخرى محيطة. أما موقع الإقليم (المنطقة) الآن فهو وسط الجزء الجنوبي الغربي للمملكة العربية السعودية بين خطي عرض (17،20) و (20،50) وخطي طول (30،41) شرقاً شاملاً جزءاً تهامياً وجبلياً وصحراوياً⁽⁹⁾.

التصوف في عسير (السراة)

حاولتُ الحصول على ما يثبتُ أثراً واضحاً للتصوف في السروات (القسم الجبلي من جزيرة العرب). ولي صلة أخوية مع الباحثين (د. محمد آل زلفة - د. عبد الله أبو داهش - الأديب المؤرخ: محمد حسن غريب الألمعي)، وأفادوني بأنهم لا يعلمون حتى الآن في القسم السروي والصحراوي من إقليم (عسير) من مظاهر التصوف شيئاً يستحق الذكر.. غير أنني وجدت لدى الأستاذ: محمد يحي محمد طالع من أهالي بلدة

(9) المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، منطقة عسير ج1، علي إبراهيم ناصر الحربي، الناشر: نادي أبيها الأدبي 1997.

(أَمْشَطٌ)⁽¹⁰⁾. في ديار (عَلَكَم) وهي إحدى قبائل عسير السراة من سرورات عسير ، وجدتُ لديه كتاباً مخطوطاً باليد حصل عليه من بيت قديم مهجور كان لإمام وخطيب القرية ، يحوي مجموعة من الأوراد⁽¹¹⁾. قال كاتبه في مقدمته : (بسم الله الرحمن الرحيم - هذا الأساس المبارك الذي من به القطب الكامل غوث عصره وفريد دهره ومولانا سيدنا وشيخنا وأستاذنا (بالدال) ومرشدنا الشريف الحسني السيد أحمد بن إدريس رضي الله عنه وهو هذا : يُبتدأ أولاً بالفصل يفتسل كفسله من الجنابة ينوي فيه الطهارة من كل معصية ويقرا عند الدخول في الفصل هذا الدعاء (ويورد ورداً كاملاً للفصل ... ثم يدخل إلى الأوراد مبتدئاً بالفاتحة والإخلاص وغيرهما ليصل إلى طريقة دعاء خاص بطلب التجليات الإلهية مثل : وأن تنعمني يا ذا الجلال والإكرام في شهود تجليات ذاتك بالعين التي لا يحجب عنها شيء وأفوض على جميع ذاتي لذة ذلك الشهود حتى أكون كلي لذة ذاتية إلهية سارية في نفسي من نفسي لنفسي وحققني يا إلهي بإنسانيتي حتى أكون إنسان العين الكلية الإلهية التي لا يحصرها شيء وأسمعني يا سميع يا بصير يا متكلم غاية لذيذ خطابك ومحدثك ومكالمتك في كل حال من الأحوال بجميع كلياتي حتى لا تخلو ذرة من ذرات أجزاء ذاتي الإلهي لحظة ولا أقل من ذلك دائماً سرمداً أبداً الآبدين ...)

(10) أم هنا هي : أم التعريف في العربية اليمنية القديمة. ويطلق عليها النحاة : طلمطمانية حمير لأن النحاة أدركوا العربية الحديثة فقط بواسطة القرآن الكريم والسنة. وهم - النحاة - إما أعجمي أو عربي هجين نشأ خارج الجزيرة ، أما العربية اليمنية فلم تزل هي لغتنا الشفاهية الحية ولم تدرس، ولي في هذا بحث منشور تحت عنوان : صناعة الموالي ولغة العرب.

(11) صاحب المخطوط هو عبد الخالق بن سعيد آل محي، الذي كان أيضاً معلماً للصبيان في قريته، توفي عام 1385هـ / 1964، ويظهر أن المخطوط متوارث منذ أيام أحمد بن إدريس ، إذ يتضح أنه من إملائه كما ورد فيه.

إبراهيم طالع الألمعي

وهذا واضح الإشارة إلى انتشار طريقة أحمد الإدريسي الصوفية (الأحمدية) في هذه المناطق السروية انتشارا بين المريدين لا انتشاراً حياً بزواياها وطقوسها . علما بأن السروات والتهائم لا تختلف في طقوسها وشعائرها الاجتماعية والدينية ، فساكنوها كانوا يحيون عيد عاشوراء والرجبيّة ومنتصف شعبان كما إخوانهم في التهائم، وكانوا هم وأمرأؤهم يعتمدون على علماء تهامة اعتمادا كلياً حتى عام 1370هـ/ 1950 - عام وفاة آخر أعلام العلم في رجال ألمع - يعتمدون عليهم في التعليم والفتيا ويحضرون المناسبات الدينية في بلدة (رُجال) برجال ألمع وخلال هذا الحضور يحدث أحيانا إلباس الخرقة في مشهد علمي عام .



الصفحة الأولى من مقدمة مخطوطة وطن امشط من السراة والبالغة 206 صفحات ضمن مكتبتي الخاصة، والتي يوجد أصلها لدى الأستاذ محمد طالع .

تهامة والتصوف

(تهامة) منبعٌ للتصوّف الإسلامي كبيئَةً . فهي مهد الرسالة المحمدية ، ويتبرك المسلمون البعيدون عن جزيرة العرب باسمها فيسمون أبناءهم (التهامي) ، وبيئتها العامة تتسمُ بخصب الأرض والتنوع في المعاش وفي الفنون ورقة الهواء ووفرة الأكسجين، كما أن أشكال التجمعات السكانية التي كانت تغلب عليها قابلة للطقوسية في أشكال الاحتفالات وأنواع الغناء وطرائق التعبّد، إضافة إلى ما ذكرناه من الرقة الحسيّة التي يتمتع بها أهلها، ودرجة استجاباتهم الشعورية والإنفعالية، وهي كذلك منبع للتصوف حيننا من قبل المسلمين البعيدين عن جزيرة العرب ، حتى صار مفهوم (مكة - المدينة - الحجاز) لدى أولئك يشمل جزيرة العرب كلها، فهذا عمر بن الفارض⁽¹²⁾.

يبدأ يائئته الصوفية الشهيرة حيننا إلى (كثبان طيّ) لأن الحجاز لدى المتصوفة خارج الجزيرة هي جزيرة العرب كافة ، فيقول :

سائق الأظعان يطويّ البيد طيّ مُنعماً عرّج على كثبان طيّ
لم يرق لي منزل بعد النقا لا ولا مستحسن من بعد ميّ

وأين كثبان طيء وديار (النقا) من مكة والمدينة ؟ لكنه حين البعيد إلى المكان باتساعه .

(12) عمر بن الفارض : ولد في القاهرة (576هـ - 1181م) ، يادئاً حياته معتكفاً في جبل المقطم شرق القاهرة، ثم رحل إلى الحجاز ليعيش فيها 15 سنة ويعود إلى القاهرة متوفى بها عام (632هـ - 1235م) .. تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت 1972م ، ص519 وما بعدها .

التصوف في عسير والمخلاف التليمانني

والصوفيّة في تهامة بدت لنا فضاءً لاكتساب الشرعية السياسية في مقابل شرعية السلالة النبوية - أو القرشية بشكل عام - في الجبال ، ففي جبال اليمن الجنوبية كان حكم (آل حميد الدين) هو السائد ، وفي شماليه (عسير) حكم (آل عايض اليزيديين الأمويين) . ذلك لأن القرون الهجرية السبعة الأخيرة كانت صراعا لاستقطاب المجتمعات المحلية حول مشاريع نفوذ سياسي تتوسّل الدين أو الطريقة أو المذهب كأيدولوجيا مبررة للحكم . ولعل ما سنورده موثقاً هنا هو مقتطفات من جدلٍ دوّنه (الحسن بن أحمد عاكش الضمدي) أحد كتاب السيد أحمد الإدريسي⁽¹³⁾ ، الذي استطاع أن يؤسس لبداية سلطة سياسية تستبطن الصوفية طريقة ، وتتوسل النسب الشريف سياسياً في وقتٍ تصعد فيه شوكة السلفية مع محمد بن عبد الوهاب ، حيث مثّل السلفية في هذا الحوار الشيخ : ناصر بن محمد الكبيري الجوني (من رجال ألمع) ومن معه من فقهاء عسير برعاية وحضور أميرها - آنذاك - : علي بن مجتل⁽¹⁴⁾ الذي تقبل تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ممالةً لمدّها القادم إزاء ارتفاع شأن الأدارسة وقوة طريقتهم (الأحمدية) .

أما أقدم ما عُرف عن تاريخ التصوف في تهامة فهو ما أورده محمد بن أحمد العقيلي عن كتاب (ظهر الإسلام)⁽¹⁵⁾ من أن (ذا النون

(13) وسيأتي الحديث عنه لاحقاً ومجالسه

(149) علي بن مجتل المغيدي : تولى إمارة عسير بعد سقوط إمارة آل المتحمي (أبو نقطة) الذين كانوا يستمدون حكمهم من آل سعود ويتبنون الدعوة الوهابية، وكانت إمارته خلال منتصف القرن الثالث عشر الهجري وانتهت عام 1288 هـ/ 1871 على يدي القائد التركي رديف باشا، وبعده تولى الإمارة ابن عمه : عايض بن مرعي . ينظر في هذا بتوسع : تاريخ عسير في الماضي والحاضر، هاشم بن سعيد النعمي، ط مؤسسة مريّنا ، الرياض، خاصة بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة - عام 1999 م .

(15) أحمد أمين ص 168 ج 1.

إبراهيم طالع الألمعي

المصري) رحل إلى كثير من البلاد كـ (وهران) في المغرب و(بيت المقدس) و(أنطاكية) و(اليمن - تهامة) حوالي عام 237هـ / 851، والمعروف أن ذا النون المصري هو رجل التصوف الأول في وقته⁽¹⁶⁾.

ومن أشهر رجالات التصوف في تهامة خلال العهد الأيوبي :

1. الشيخ : محمد بن أبي بكر الحكمي المتوفى عام 609 هـ / 1212.
2. الشيخ : محمد بن الحسين البجلي المتوفى عام 621 هـ / 1224 .
3. الشيخ : علي بن عمر الأهدل المتوفى عام 602 هـ / 1205.
4. الشيخ : يوسف المكش المتوفى عام 630 هـ / 1233.
5. الشيخ : بالغيث بن جميل 651 هـ / 1253.
6. الشيخ البحر المتوفى عام 640 هـ / 1243.

أما أشهر رجالات التصوف في تهامة إبان القرنين السادس والسابع الهجريين (في عهد دولة بني رسول) :

1. أحمد بن موسى بن عجيل ، صاحب معارضة (الفارة) الشهيرة للصوفي الكبير عبد القادر الجيلاني ، وهو جد أسرة (آل الحفظي العجيليين برجال ألمع) والمتوفى عام 690 هـ / 1291.
2. إسماعيل الحضرمي المتوفى عام 676 هـ / 1277.
3. أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي المتوفى عام 704 هـ / 1304.
4. محمد بن يعقوب أبو حربة المتوفى عام 724 هـ / 1323⁽¹⁷⁾.

(16) التصوف في تهامة، محمد العقيلي، مرجع سابق، ص 15.

(17) المصدر السابق ص 20.

- رجال ألمع:

جزء صغير من تهامة، وتتبع إقليم عسير، وكانت منارة علمية بوجود عائلة آل الحفظي (العجيليين) وغيرهم كالعلامة: ناصر الكبيبي الجوني في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، بل كانت العاصمة العلمية لمنطقة عسير بلا منازع عبر أربعة قرون مضت (وتحديداً من 1000هـ/1591م - 1370 هـ/1950م).

- عائلة آل الحفظي العجيليين والتصوف:

عرفت تهامة عبر تاريخها الإسلامي عدداً من الفرق الدينية، ومنها : الطريقة الصوفية، فقد كان التصوف معروفاً من قبل في هذه الأنحاء، لكن أحمد بن إدريس الذي وفد إلى المخلاف السليماني في تهامة سنة 1245هـ/1829 عمل على إحياء هذه الطريقة إن لم يكن أضاف إليها شيئاً من الخصائص التي تتفق مع طريقته (الأحمدية) المعروفة . وقد بعث هذه الطريقة مرة أخرى حفيده محمد بن علي الإدريسي في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي⁽¹⁸⁾.

أما التصوف في رجال ألمع فقد كان ظاهراً لنا في شعر العلماء هناك ناشطاً واضحاً ، يقول شاعرهم مشيراً إلى تصوف العالم الشاعر أحمد بن

(18) انظر في هذا : الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية 1200هـ/1785 - 1351هـ/1932 - د . عبد الله أبو داهش ، نادي أبها الأدبي ، ط2 1406هـ/1985 ، ص325 وما بعدها . وكذلك : التصوف في تهامة ، محمد بن أحمد العقيلي ، ط1 ، مطابع دار الأصفهاني وشركائه جدة 1964م .

عبد القادر الحفظي :
قطبٌ وليٌ وصوفيٌ صفاً وأحمدُ الفعلِ بالِ (حفظي) تخاطبهُ

وكان ارتداء الخرقة⁽¹⁹⁾. كانت لدى الصوفيين في رجال ألمع والمخلاف السليماني من أبرز المظاهر الروحية في معتقداتهم، ومن أشهر أقطاب التصوف في تهامة خلال هذه الفترة : أحمد بن عبد القادر الحفظي في رجال ألمع، وأحمد بن إدريس في صيبا، وكانا يلبسان الخرقة للمريدين من أتباع الصوفية ، وأشار إلى ذلك أحمد بن عبد القادر بقوله :
وأنا قد عقلنا وارتبطنا بأصحاب الكساء فلنا التّهاني
وإرسال الخواطر في دعاء بظهر الغيب ما فيه التواني

وقد قسم الباحث عبد الله أبو داهش الشعر الصوفي في هذه المنطقة إلى قسمين : روعي ويكاد ينحصر في قليل من شعر آل الحفظي في رجال ألمع خلال أوائل القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي كقول أحمد بن عبد القادر :

وساعدت العناية حين قالت كل الأثمار واطرح كل فان
وخلّ الخال خالٍ في خلاء وهذا الباب فادخل كل خان

(19) تتكون الخرقة من طاقية الشيخ أو قميصه أو العمامة أو الطيلسان أو غير ذلك، وهي ثلاثة أنواع : خرقة الإرادة وخرقة التبرك وخرقة التشبيه، ويكون لباس الشيخ لمريده في حفل بهيج يسمى (حضرة) . ويسندها أهل التصوف إلى النبي وينكر عليهم ذلك الفقهاء. انظر : الإسلامية اليمنية ، مصدر سابق، ص79.

التصوف في عسير والمخلاف السليماني

ولا علم ولا عمل أراه ولا رأس ولا ربح يراني
خلي مفلس من كل شيء غريق في البحار بلا كنان
غرس بشاطئ الوادي نخيلا فقل لي هل يكون الجان جاني ؟

ويقترب من الحلولية المعروفة لدى الصوفية حين يقول :
من أجلهم بالكس لا لاتحاد ولا محلول فيه وفيهم أفضل البشر

ومثله عن الحلول قوله :

هم في فؤادي حلول وهو ينظرهم بالعين إن بعدوا عني وإن قربوا

وقد ظل التصوف مظهرا حقيقيا في شعر رجال ألمع ، إذ بدت
قصائد شعرائه رقيقة بعيدة عن التقليد الشكلي وذات نغم شعري حزين .

وقد ورد أن الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدي عزم من وطنه
(ضمد) إلى مدينة رجال ألمع فأخذ عن القاضي أحمد بن عبد القادر بن
بكري العجيلي في علم الطريقة واستجاز منه⁽²⁰⁾.

أما في المخلاف السليماني، فما وجد من نتاج شعري خلال القرن
13 الهجري لا يشير إلى وجود شعر صوفي واضح يشبه ذلك الشعر في رجال
ألمع أوائل القرن 13 الهجري ، لكن الشعر الصوفي الحقيقي في المخلاف

(20) نيل الوطر، الشيخ محمد محمد زبارة ، صفحة 136.

السليمانى ظهر فى شعر محمد بن على الإدريسي خلال النصف الأول من القرن 14 الهجرى/العشرين الميلادى⁽²¹⁾.

غارة ابن عجيل كتأسيس للتصوف فى رجال ألمع:

سبق أن ألمحنا إلى أن الروحانية (بكل تجلياتها واتجاهاتها ومدى عمقها) ترتبط ارتباطا وثيقا بالمكان أكثر من ارتباطها بالزمان، ولهذا نراها تزدهر أكثر زهوها فى المناطق الحضرية . وعليه فقد كان التصوف فى الجزيرة العربية يتركز فى تهامة أو فى (اليمن) بشكل أعم . ولما نعرفه عن ظاهرة التصوف فى رجال ألمع بتهامة ، وما عُرف عن أهله شعرا ونثرا وسلوكا، وما شهدناه ورواه آباؤنا الذين كانوا يحيون المناسبات الإسلامية بأنواعها مع علمائهم فى بلدة (رُجال)⁽²²⁾ . كليلة (عاشوراء) و(نصف شعبان) وليلة (الرجبية) وتلكم الطقوس الجميلة التى عشناها نحن تبعا لتلكم المناسبات الروحية حيث نحتفل بنوعية الأكل حسب المناسبة والقرى والإمكانات، وبتزيين كل مواشينا بالحناء، وبتزيين النساء بكل ممكن من الزينة، أما فى مركز العلم (بلدة رُجال) فتقام حلقات الذكر الخاصة التى تستخدم الأوراد الصوفية بشكل جماعى .. ولأن معظم رواد العلم فى هذه المنطقة هم العجيليون سلالة الولي أحمد العجيلي، فسأعرض الغارة - باعتبارها وردا شعريا -، وسلالته هم من سأحدث عنهم وعن بعض مظاهر التصوف فى شعرهم وما ورد عن ذلك .

(21) انظر فى هذا : الحياة الفكرية والأدبية فى جنوبي البلاد السعودية ، مرجع سابق ص 325 وما بعدها.
(22) أهم بلدة تاريخية فى رجال ألمع، وكانت مقرا حضاريا وتجاريا وعلميا بريادة العلماء العجيليين فيها، وقد أصبحت اليوم من أهم المظاهر الأثرية التاريخية فى المملكة.

التصوف في عسير والمخلاف السليماني

الغارة⁽²³⁾ :

صاحبها : أبو العباس أحمد بن موسى بن عجيل ولد سنة 608هـ/1211 لبيت من أشهر بيوت اليمن علما ومكانة وسيادة، وهم بنو عجيل الفقهاء، وإليهم تنسب مدينة (بيت الفقيه) من قبيلة (الزرانيق) إحدى القبائل اليمنية، وتوفي سنة 690هـ/1291م كانت له صفات علمية وروحية عالية وردت في ترجماته التي وصفته، ومنها وصف العلامة الحسن بن أحمد عاكش إياه بقوله : العلامة الولي المشهور ، في البراري والبحور ، إمام من أئمة المسلمين ، وعمدة المتقين ، وقدوة المتورعين الزاهدين يعتقد الناس هناك فيه الولاية ، ويزار قبره ، وممن زاره الرحالة الشهير : ابن بطوطة الذي ذكر أنه زار قبره ولبث عنده ثلاثا..

وقال أحدهم مخاطبا ابن عجيل :

هاتِ منكِ يا بنَ موسىِ إغاثةَ عاجلاً في مَسِيرِها حِثَّائَه

وفي هذا دلالة على مكانته الروحية الصوفية التي بلغها.

وقال عنه ابن بطوطة : (من كبار الرجال وأهل الكرامات) وقال من كتبوا عنه : له كرامات خارقة وأحوال صادقة، وبعضهم ذكر بعض هذه الكرامات .. وله زاوية تسمى : (زاوية ابن عجيل) .

(23) هي من نظم : أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل اليمني، تحقيق الدكتور: عبد الله بن محمد أبو داهش ، مطابع الجنوب أبها، ط 1406هـ/1985.

أما المستشرق الألماني الشهير (كارل بروكلمان) فقال عنه :
أحمد بن موسى بن علي بن عجيل توفي سنة 690 هـ/ 1291 له (غارة ابن
عجيل)⁽²⁴⁾.

معنى الغارة⁽²⁵⁾ :

حاول عبد الله أبو داهش تفسيرها معجمياً فلم يقتنع ، فلجأ إلى
البعض من أهالي تهامة لتفسيرها ، وقد كان موفقاً بالفعل ، وسأفسرُها
بما وصل إليه هو ، وبما نعرفه فعلاً عن مفهومها اللغوي والاصطلاحي
المشهور هنا في كل مناطق اليمن التاريخي الذي اعتدّ فيه باللهجات التي
قد لا يكون وصل إليها لغويو الأمصار خارج الجزيرة ، والتي لا تجدي فيها
المعجم.

نحن وأباؤنا توارثناها مع (وحي الغنم) وهو مناغات الغنم
بأصوات وكلمات أحياناً ومنها : (ألالا يا غارة الله) ، أو ونحن نحمي
المزارع ، وأغلب ما تطلق فيه الجملة : وقت الحرارة الشديدة أو الظمأ وقلة
الفيث أو حلول المصائب ، عندها يلجأ البشر إلى إطلاق هذه الجملة بلحن
مؤثر شجيّ حزين ، وتصبحها الدّعوات وقد أتقن هذا العالم الكبير ومن
قبله الصوفي الكبير عبد القادر الجيلاني توظيف لغة الأرض في نظمها
بطريق صوفيّة رائعة.

(24) الكتاب : الغارة ، نظم أحمد بن موسى العجيلي ، تحقيق د. عبد الله أبو داهش ط 1 ، مطابع الجنوب ، أبها .
(25) المصدر السابق.

التصوف في عسير والمخلاف الشليماني

ولأنّ هذا العالم الجليل هو جدّ أسرة آل الحفظي البكريين الذين وصلوا هذه المنطقة ما بين عامي 998هـ/1589 - 1001هـ/1592 ، فأثرى علماءهم الزمان والمكان، وكان منهم من وصفه السلطان العثماني في الأستانة بـ (أقضى قضاة المسلمين - أحمد بن عبد الخالق)⁽²⁶⁾. وكان لعلمهم وقضائهم شهرة - عندما كانت المنطقة على مذهبها الأصلي (الشافعي) - وكذلك من شعرهم الكثير الجميل ، مما حوى كل التوجّهات ومنها التصوف بدرجاته ، ومنه ما يظهر في شعرهم ، وبفضلهم عرفنا الكثير عن تاريخ منطقة عسير وعلومها . غير أن اندماج هذه الأسرة العلمية في السلفية الجديدة التي تبنتها الدولة السعودية جعل من بقي منهم يقضي على كثير من تراثهم أو يخفيه ، تُقيّة عن تخطئة الغالب السياسي المؤدّج ، ولم يزل بنوهم حتى الآن يخافون عندما يذكر تصوف أجدادهم أو شافعيّتهم!

ولم يتناول محقق (الفارة) تماسّها مع نص (الفارة) أو (الاستغاثة) للصوفي الكبير عبد القادر الجيلاني ، لعدم علمه بها كما ذكر لي . وسأوردها هنا قبل غارة العجيلي ، ليتمكن قراءة التأثير الكامل أو شبه المتطابق بين العلمين الصوفيّين .

(26) وثيقة سلطانية باسم السلطان محمود توجد بمكتبة الملك عبد العزيز في الرياض، ونسخة منها لدى أحد أحفاده الأستاذ إبراهيم الحسن الحفظي.

نصّ (الغارة) أو (الاستغاثة) لعبد القادر الجيلاني⁽²⁷⁾ :

إن أبطأت غارة الأرحام وابتعدت فأقرب الشيء منّا غارة الله
يا غارة الله جدي السير مسرعة
يا غارة الله جدي واسرعي عجلاً
يا غارة الله هاهم قد بغوا وطفوا
يا غارة الله أمسوا عاكفين على
يا غارة الله حلي في منازلهم
يا غارة الله تأييداً لموتهم
يا غارة الله تتكيساً لرأيهم
يا غارة الله لا تبقي لهم سنداً
يا غارة الله لا تبقي لهم ولداً
ضيق أحاطت به الأهوال تزعجني
يا غارة الله لما زادي ألمي
وجهت قلباً كسيراً محرقاً وجللاً
وقلت يا رب يا رحمن يا ملك
ناديت : لما تهيج النار في كبدي
كوني معي عند أكراري مساعدة
أقول لما نقيض النوم يقلقني
يا غارة الله جدي السير مسرعة
يا غارة الله جدي واسرعي عجلاً
يا غارة الله هاهم قد بغوا وطفوا
يا غارة الله أمسوا عاكفين على
يا غارة الله حلي في منازلهم
يا غارة الله تأييداً لموتهم
يا غارة الله تتكيساً لرأيهم
يا غارة الله لا تبقي لهم سنداً
يا غارة الله لا تبقي لهم ولداً
ضيق أحاطت به الأهوال تزعجني
يا غارة الله لما زادي ألمي
وجهت قلباً كسيراً محرقاً وجللاً
وقلت يا رب يا رحمن يا ملك
ناديت : لما تهيج النار في كبدي
كوني معي عند أكراري مساعدة
أقول لما نقيض النوم يقلقني

(27) أبو صالح السيد محي الدين عبد القادر الجيلاني. ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب . ولد بـ (جيلان - بلدة شمال إيران حالياً سنة 561هـ/1165 . طلب العلم في بغداد وعلم فيها وأفتى خلال مرحلة اضطراب سياسي شديد بين المباسين والأتراك والصليبيين، وهو مذهب الباطنية . من مؤلفاته : إغاثة المارفين وغاية مني الواصلين، أوراد الجيلاني، الرسالة الغوثية، سر الأسرار في التصوف . وتوفي في بغداد عام 470هـ/1077 .

فكي خناقي الذي قد ضاق في عجلٍ
يا غارة الله لا خِلَّ يساعدي
لا يُرتجى كشف ضرر في الأمور أتى
فتق به في مهمات الأمور ولا
إن الشدائد مهما ضاقت انفرجت
له علينا جزيل الفضل منتشراً
مالي ملاذ ولا ذخر ألوذ به
أرجوه سبحانه ألا يخيب لي
ربُّ تقرد في حكم وفي صفة
يا نفس قولي إذا ضاق الخناق ألا
لا تيأسي نفحة تأتي فريتما
مالي سوى الله ربي دائماً أبداً
فاستعمل الصبر فيما جاء من تعب
ما استعمل الصبر إنسان فضل به
الصبر في جملة الأشياء مغتتم
فلم تزل طول ما عمرت متكلاً
ثم الصلاة ومحمود السلام على
والآل والصحب ثم التابعين لهم
ما حثت الركب مؤتماً لكاظمة
الحمد لله حمداً دائماً أبداً
الحمد لله رب العالمين على

ونفسي كربتي يا غارة الله
من الأنام ولا أرجو سوى الله
وحادثات بدت إلا من الله
تجعل يقينك يوماً غير بالله
لا تقنطن إذا من رحمة الله
في كل آونة فضل من الله
ولا عماد ولا ركن سوى الله
ظنا فحسبي ما أرجوه في الله
فلا مماثل في الأشياء لله
يا غارة الله حثي غارة الله
تأتيك بعد إياس رحمة الله
أخذاً بثأري ألا يا غارة الله
فليس بالصبر تخفى نعمة الله
رأياً ولا جاءه بؤس من الله
وصاحب الصبر محمود لدى الله
فيما ينوبك من أمر على الله
محمد المصطفى من خيرة الله
في سنة المجتبي ذي سنة الله
يبغي جوار النبي الهادي إلى الله
والحمد لله ثم الحمد لله
ما كان يلهمني الحمد لله

(الفارة) لأحمد بن موسى العجلي :

عناً فأقربُ شيءٍ غارةُ الله
لحلِّ عُقْدَتَيَا غارةُ الله
وأظلمت جلالاً فالحمد لله
في كلِّ حادثثة إلا من الله
تجعل يقينك يوماً غير بالله
لا تقنطن إذا من رحمة الله
في كلِّ حادثثة فضل من الله
أشياء لا تُحصى فضلاً من الله
مستعطف خائف من خشية الله
برفع صَوْتٍ : ألا يا غارةُ الله
ولا عماد ولا ركن سوى الله
وفضله واسع والحمد لله
ظناً فحسبتي ما أرجوه في الله
كم أيها النفس إعراض من الله
سبهاً لَمْ يكن من طاعة الله
عن المعاصي بتوفيق من الله
قد أسلفاً من خطيئات إلى الله
كم تاهت النفس أعواناً من الله
يا غارةُ الله حُثِّي غارةُ الله

إن أبطأت غارةُ الأرحام وابتعدت
يا غارةُ الله حُثِّي السير مُسرعةً
ضاقت وضاق بها في كل ناحية
لا يرتجى كشفُ ضراءٍ ونازلة
فتق بربك في كل الأمـــــور ولا
إن الشدائد مهما ضاقت انفرجت
له علينا جزيل الفضل منتشرا
كم من لطائف أولها العباد وكم
فاجزع بقلب سريع مُحرق وجل
وقل إذا ضاقت الحالات مبتهلاً
ما لي ملاذ ولا ذخراً ألوذ به
رب تقرد في ملك له وعلاً
أرجوه سبحانه أن لا يخيب لي
فقم وحث التمادي كم عسى ومتى
أه على زمن مني مضى فرطاً
ألوم نفسي وقلبي كلما رجعا
وربما بكياً خوف الذنوب وما
وكم أجبر التوني كم متى وإذا
يا نفس قولي إذا ضاق الخناق ألا

التصوف في عسير والمخلاف السليماني

لا يا سنى نفحة تأتيك ربتما تأتيك بعد إياس رحمة الله
استعمل الصبر فيما جاء من بؤس وصاحب الصبر محمود من الله

دعاء الغارة للعجلي:

جاء في الكُتيب الذي حققه عبد الله أبو داهش والذي حوى
(الغارة) على أنه نص واحد ، بينما هما نصان (الغارة - ودعاؤها) ،
كما فاته غارة الجيلاني ، ولذا أنبه .

كما ذكر المحقق أنه حذف كلاما بعده احتراما منه للعقيدة
الإسلامية .. وليس مهما للباحث المتجرد حكمه الخاص ولا من الأقرب
والأصوب عقيدة : العالم الفقيه الكبير أم المحقق ، وكان عليه إيراد كلام
العلامة ولن ينوب أحد عن أحد أمام الله ، غير أنني أعيد تصرفه إلى
مراعاة بعض الأوضاع المنهجية السياسية المحيطة به⁽²⁸⁾. وسأحاول لاحقا
الحصول عليها كاملة من هناك.

النص :

إِنْ أَيْطَأَتْ غَارَةُ الْأَقْطَابِ مَا التَّحَقَّتْ تأتي به مسرعا يا غارة الله
ضَيْقٌ أَحَاطَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ تَزْعَجْنِي وكدرت عيشتي يا غارة الله
يَا غَارَةَ اللَّهِ لِمَاضٍ زَادَ بِي أَمَلِي من الهموم التي من قدرة الله
وَجَدْتُ قَلْبًا كَسِيرًا مُحَرَّقًا وَجَلًّا مستعجلا في الذي أرجو من الله
وَقُلْتُ يَا رَبُّ يَا رَحْمَنُ يَا مَلِكُ ويا رحيم ألا يا غارة الله

(28) ولن أراد أصل المخطوطة فهي في: برلين 3753 رقم 2 ، باتافيان 314 كما ورد في تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان .

ناديت لما تهيجُ النار في كبدي
كوني معي عند أكرار مساعدة
أقل ما بي من غيظ يُقلقني
يا غارة الله للملهوف معتذرا
يا غارة الله للمظلوم منتصرا
يا غارة الله هاهم قد طفوا وبغوا
يا غارة الله أمسوا عاكفين على
يا غارة الله حلي في منازلهم
يا غارة الله تأييدا لفردهم
يا غارة الله تنكيسا لرددهم
يا غارة الله لا تبقي لهم سندا
يا غارة الله لا تبقي لهم جندا
يا غارة الله لا خل يساعدنني
ما لي سوى الله ربي دائما أبدا
ما لي بضر ولا خل يساعدنني
ثم الصلاة على المختار سيدنا

يا غارة الله من لي غارة الله
وفرجي كربتي يا غارة الله
بجنح ليل ألا يا غارة الله
تغيث لهفتنا يا غارة الله
بهلك أعدائنا يا غارة الله
فعل الحرام أتوا يا غارة الله
شرب الخمر ألا يا غارة الله
ودمريهم ألا يا غارة الله
وشتي شملهم يا غارة الله
وخربي دورهم يا غارة الله
وهدمي ركنهم يا غارة الله
وأذهبي مالهم يا غارة الله
من الأنام ولا أرجو سوى الله
ياخذ بحقي ألا يا غارة الله
ولا عماد ولا ذخير سوى الله
محمد المصطفى مرسل من الله

وتبدو العلاقة لفظا ومعنى شبه متطابقة بين دعاء الغارة للعجيلي
وبين (غارة الجيلاني) .

ويظهر لي أن الغارة من الجيلاني إلى العجيلي كانت عبارة
عن أورد صوفية شعرية يتغنى بها أصحابها بألحان شجية تؤثر عاطفيا

التصوف في عسير والمخلاف الشليمالي

وشعوريا في نفوس من يؤديها، إذ من المعلوم أن من يندمج ويفوص في دعاء أو غناء جميل يجد لذة عميقة وشفاء نفسيا يبعده عن قضايا حياته وزمنه.

- ومن صريح الحث على التصوف ورموزه في عسير (رجال المع)

قول الشيخ محمد بن أحمد الحفظي :

فخذ ذات اليمين إلى شعاب	وسل النفس في من قد تسلى
وطالع في الرسالة للقشيري	وفي الإحياء تنظر أي مجلى
وما فعل (ابن أدهم) أو فضيل	ومن سكن البيوت ومن تخلص
وشيخ زماننا أعني عقيلا	تعقل عنه فهو أتم عقلا

وقد تختلط مصطلحات التشيع والتصوف في شعر آل الحفظي

كما في قول العلامة محمد بن أحمد :

عصائب في نجد تمهد للمهدي وتحيي موات الدين في القرب والبعد
فوالدهم شيخ الطريقة كم له من الأجر في إحيائه سبل الرشد⁽²⁹⁾

(29) ديوان : نفعات من عسير، جمع محمد بن إبراهيم زين العابدين الحفظي، مطابع عسير 1974م.

المخلاف السليماني⁽³⁰⁾

الأداسة

وصل السيد أحمد بن محمد الإدريسي (الحسنّي نسباً المغربي مولداً .. من ذرية إدريس بن عبد الله المحض) إلى مدينة (صبيّا) في المخلاف السليماني في مطلع القرن التاسع عشر . ولد في بلدة (العرايش) من أعمال (فاس) بالمغرب سنة 1759م ، ودرس على شيوخه هناك وأهمهم : عبد الوهاب التازي ، ثم اتجه إلى مكة سنة 1799م ، وكان محترماً لدى علمائها وأمرائها ، ثم انتقل إلى (زبيد) باليمن حيث أجاز طريقته للسيد : عبد الرحمن الأهدل وأولاده إجازة عامة ، وتُدعى طريقته : (الأحمدية) نسبة إلى اسمه ، وعنوانها هو عنوان الطريقة الشاذلية ، إذ يسلك أتباعها بالتهليل والأدعية مسلك الشاذليين . ثم انتقل إلى (صبيّا) إحدى مدن المخلاف السليماني التي كان يحكمها أشرف أبي عريش واستوطن هناك حيث كانت إقامته فاتحة لطريقته الأحمدية، واعتبر ولياً من الأولياء المحليين وتوفي سنة 1837م . من آثاره :

(30) يطلق المخلاف على المنطقة الساحلية الممتدة في تهامة من حلي بن يعقوب شمالاً إلى شرجة حرض جنوباً (الموسم) حالياً، ويطلق على معظمه الآن (منطقة جازان) . أما وصفه بـ(السليماني) فتسببه إلى سليمان بن طرف الحكمي الذي نجح في توحيد مخرّلي (حكم وعثر) في القرن الرابع الهجري . وأشهر الأسر التي حكمته : أسرة الأشراف السليمانيين، أشرف آل خيرات، أسرة السادة الأداسة ، ثم دخل المخلاف ضمن الدولة السعودية الثالثة .

انظر في هذا : العتيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني، عبد الله بن علي النعمان . العقد المفصل بالمجانب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب، تحقيق محمد بن أحمد المقيلي ط: جدة دار البلاد . خلاصة المسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد تحقيق د. هاني بن زامل مهنا (دكتوراة) ، مدرسة الدراسات الشرقية جامعة درم بريطانيا 1405هـ/ 1984 . وسواها .

التصوف في عسير والمخلاف السليماني

- المنتقى النفيس
- أقطار أزهار حدائق التقديس
- كيمياء اليقين
- رسالة القواعد.
- أوراده وصلواته الـ 14.
- السلوك.
- روح السنة .

ثم توالى بنوه على المكانة حتى تمكنوا من الحكم على ידי السيد : محمد بن علي الإدريسي المولود في (صبيا) سنة 1876 م ، حيث جمع بين دراسته في (الكُفْرة) مقر السنوسيين ببرقة في المغرب العربي - ليبيا حاليا - وبين الأزهر والسودان وتزوج بابنة شيخ الطريقة الأحمدية هناك هارون الطويل ، ثم عاد إلى صبيا واضطلع بمهمة المقاومة ضد العثمانيين حتى استقل بالإمارة ووصل حكمه جبال عسير وقبائل حاشد وبكيل شرقا وأحيا طريقة جده (الأحمدية) بشكل عملي ، ولا تزال آثاره باقية في محافظة (صبيا) بالمخلاف السليماني (منطقة جازان حاليا)⁽³¹⁾. وبالغ بعض أعدائه السياسيين في وصف احتياله على الناس بالكرامات، حتى ذكروا أنه كان يستخدم الكهرباء التي عرفها مع الطليان في القرن الأفريقي ولم يكن الناس هنا يعرفون عنها شيئا، لإثبات كراماته لهم⁽³²⁾.

(31) انظر التفاصيل عنه في : سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى، دراسة وثائقية، الدكتور : فاروق عثمان أباطة ط. دار المعارف ص26 وما بعدها . وكذلك : مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير 1832 - الحسن بن أحمد عاكش الضمدي، تحقيق الدكتور عبد الله بن محمد أبو داهش ط1 - 1987 دار المدني جدة .
(32) الرحلة اليمانية للشريف حسين بن علي، شرف بن عبد المحسن البركاتي ط1 ، دار الوراق - لندن 2007 م .

وفي لقاء صوتي⁽³³⁾ - مع السيد : حسن أبو الحسن الإدريسي (83 عاما) أثناء زيارتي إياه في جدة ذكر لي أن ما قاله الخصوم السياسيون ومن تبهم عن السيد محمد الإدريسي ليس صحيحا، لكنّ ما لا يشك فيه أحد أن عوامّ الناس في تهامة آمنوا كثيرا بولاية (الإدريسي) إلى حد متجاوز ، وقد عرفتُ أنا ونخبة في (ألمع) بقايا ممن يحلف به فيقول : (في وجهه ابر إدريس لقد حدث كذا) وخصوصا من النساء اللاء عرفنا وسمعنا بعضهن أثناء طفولتنا ...

مناظرة الإدريسي مع بعض فقهاء الوهابية في عسير :

مناظرة شهيرة بين كل من أحمد بن إدريس المغربي والعلامة ناصر بن محمد الكبيري الجنوبي وفقهاء عسير . وهذه المناظرة وقعت في مجلس الإدريسي بمدينة (صبيا) ، ويحكي كاتبها قصة عدم فهم طائفة من علماء (عسير) يحضرون مجالس الإدريسي، إذ لا يفقهون ما يقوله ويشمئزون منه ، ومنهم الفقيه عبد الله بن سرور الياامي الذي اتخذ بلاد (عسير) وطنا ودان بمعتقد الطائفة النجدية في إطلاق لفظ الشرك الأكبر على جميع الأمة المحمدية من غير تفرقة بين الموحد منهم والمشارك الذي يعتقد النفع والضرر في غير الله ثم إنه - ابن سرور - كتب نسخة فيها اعتراضاته وقد أوردها المؤلف... حتى وصل الأمر إلى استعداد الفقيه ناصر الكبيري - أحد علماء رجال ألمع آنذاك - بمناظرة الشيخ برعاية حاكم عسير علي بن مجتل الذي كانت صبيا تابعة له، وهي مناظرة بين من

(33) وثّقته في فبراير 2011.

التصوف في عسير والمخلاف السليماني

كان يطلقُ عليهم (مطاوعة) من أتباع أمير عسير وبين السيد الإدريسي ، دار معظمها حول ما يحمله أولئك (المطاوعة) من تعاليم الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ومدرسته، وبين ما يحمله الإدريسي ومن حوله من فقهاء (تهامة) من المذاهب الأخرى ومنها تفسيرهم مفاهيم التصوف الذي يرون أن الآخرين لن يفقهوه . ومن هذه المناظرة قول جامعها الحسن بن أحمد عاكش الضمدي⁽³⁴⁾ :

ولما استقر المجلس بأهله ... تنحج الفقيه ناصر الكبيبي وابتدأ بخطبة في الوعظ على قاعدتهم ، وثنى بدعوة النجدي ، وكان براعة استهلال كلامه : أن الناس كانوا في جاهلية ، يعبدون الأصنام ، ويستحلون المحرمات ، فتجرد للدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . فقال السيد أحمد : صواب الكلام ، فبعث الله رسوله محمد بن عبد الله قال الكبيبي : محمد بن عبد الوهاب مجدد الإسلام .

فقال السيد : لا ننكر فضله ولا مقصده الصالح في ما صنع ، وقد أزال بدعا وحوادث ، ولكن شاب تلك الدعوة بالغلو ، وكفر من لا يعتد في غير الله تعالى من أهل الإسلام ، واستباح دماءهم وأموالهم بلا حجة ... قال الكبيبي : ما فعل إلا ما هو صواب .

(34) ولد في بلدة ضَمَد بالمخلاف السليماني 1221هـ 1806م في أسرة علمية شهيرة . درس في وطنه وفي بيت الفقيه وزيد ومكة وصنعاء، ثم اشتغل بالتدريس، وهو من أشهر أدباء عصره في منطقته. له قصائد ومقامات رفيعة وله العديد من المؤلفات، انظر : الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية. عبد الله أبو داهش ص 215 مرجع سابق .

إبراهيم طالع الألمعي

قال السيد أحمد بن إدريس : هو عالم من العلماء والعصمة مرتفعة عن غير الأنبياء ، وهو يخطئ ويصيب ، ولكن لا يحل لكم التقليد له في ما أخطأ فيه لأن ذلك هو ما كلفه الله تعالى على مبلغ علمه ، وأنتم لجهلكم بمعزل عن أخذ دليله ، ومعرفة مهيع سبيله . فقال الكبيبي : الشريك الأكبر قد عم الأقطار كلها ، والناس كلهم قد ارتدوا عن الإسلام في المشرق والمغرب واليمن والشام ، ولولا أن الشيخ محمدا جدد الإسلام لكان الناس في ظلمات الكفر .

قال له السيد أحمد : معاذ الله تعالى ما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يسلك هذا المسلك ، أنت رجل حديث السن ، وأنا عرفت في مكة سعود بن عبد العزيز وعلماء حضرته أولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب : عبد الله وأخوه حسين وسليمان وهم علماء يعرفون الحجة ويلتزمون اللوازم عند واضح المحجة ولم يكن اعتقادهم ما أنت عليه ، وإنما أنت نشأت في بلد أهلها عوام ، وما عرفت من يرشدك إلى الصواب ، بل حفظت شيئا وغابت عنك أشياء . حتى أن الإدريسي عذر محاوره بقوله :

(... وإنما أنت محمول على السلامة ، لكونك ساكنا في البادية ، وفي الحديث (مَنْ بَدَأَ جَفَاً) ، وقد خاطب جفاة الأعراب سيد الخليفة (ص) بما كدر خاطره فصبر ولنا به أسوة .

وهي مناظرة ممتعة طريفة بحق بين رجل الطريقة السيد (أحمد الإدريسي) وبين الجانب السلفي الوهابي وصحبه⁽³⁵⁾ ..

من أوراد الطريقة الأحمدية - الحصون المنيعية النبوية لسيد العارفين قطب المحققين أحمد بن إدريس رضي الله عنه (هذا هو العنوان في المصدر)⁽³⁶⁾ : الحصون المنيعية هي وردٌ طويل متصل ، تكرر فيه بعض الآيات أو جمل الدعاء (ثلاثا أو سبعا) ، وبدايته بما يلي : (اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفسٍ ولمحة وطرفة يطرفُ بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان . أقدم إليك بين يدي ذلك كله أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق (ثلاثا) .. إلخ) . ومن الورد نوع قد يختلط فيه مصطلحات لم أستطع حتى الآن البحث عن أصولها (عبرانية - آرامية إلخ ووضعت تحتها خطوطا) كالمقطع التالي : (لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق يلجمه بلجام قدرته أحمى حيثما أطمى طميثا (وكان الله قويا عزيزا) . بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص كفايتنا (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) أحون قاف آدم حم هاء آمين) . ومن طريف ما أعجبني في ورد (الحصون المنيعية) ما يتكرر فيه من التعوذ من (شر كل ذي شر ، ومن شر الجن والإنس والشياطين والسلاطين والأعراب والسباع والهوام واللصوص ... والجنون والجذام والبرص والفالج ، مما جعلني أسترجع

(35) انظر في هذا : مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير 1248هـ/1832 ، جمع الحسن بن أحمد عاكش الضمدي (1221هـ/1806 - 1290هـ/1873) ، وتحقيق: عبد الله أبوداهش مرجع سابق .
(36) توجد أورد (الحصون المنيعية النبوية...) ضمن كتاب : أحزاب وأوراد الطريقة الأحمدية الإدريسية للإمام السيد أحمد بن إدريس رضي الله عنه ، تحقيق : السيد محمد الحسن الإدريسي ، رقم الإيداع : 1908 / 1993 م ، أصدرته مشيخة عموم الطريقة الأحمدية الإدريسية ، وقد أهدانيه السيد حسن أبو الحسن الإدريسي خلال لقائي إياه في جدة .

استشهاده بالحديث النبوي في مناظرته مع فقهاء عسير الوهابيين (مَنْ بدأ فقد جَفَا) ، وأربط نظرته إلى جفوة البدو ببيئته التي أثرت في نفسه وحسه من المغرب - مصر - مكة - السودان - ثم زبيد - فصَبَّيا في قلب المخلاف السليماني ، وهي كلها أماكن ترقق الشعور والحس والسلوك عكس بقية مناطق جزيرة العرب ..

خاتمة

بدخول الدولة السعودية الثالثة إلى عسير ، رسخ هناك منهج دعوة الشيخ محمد بن الوهاب رسوخا سياسيا إداريا وتعليميا ومذهبيا ، وصار آخر علماء آل الحفظي، ذوي المذهب الشافعي، كالقاضي الشيخ إبراهيم بن محمد زين العابدين أحد العلماء الذين نهجوا النهج الوهابي إداريا رغم ما عرف عنه وعن أسلافه من المرونة المذهبية ، وهو كاتب اتفاقية الحدود السعودية اليمنية الحالية بخط يده .

أما في المخلاف السليماني ، فكان وضع الأدارسة ساخنا بين كمأشتي الشريف حسين بمكة، والإمام يحي حميد الدين في صنعاء فوقع محمد بن علي الإدريسي معاهدة أخوة وجوار مع الملك عبد العزيز كان ضمنها نشر دعاءة في المخلاف من طرف الملك عبد العزيز عملوا بدورهم على إزالة بقايا المذاهب الأخرى وفي مقدمتها بقايا الطريقة الصوفية الأحمدية، وهدمَ السيد محمد الإدريسي بنفسه قبة قبر والده وجميع الأضرحة الأخرى، ومُنِعَ نساءً البادية من غشيان الأسواق وغيَّرت كثيرٌ من

التصوف في عسير والمُخلاف السليماني

المظاهر الاجتماعية، ثم تلاشت كل بقايا مظاهر الفكر الصوفي نهائيا على يدي أحد دعاة الملك عبد العزيز وهو : عبد الله القرعاوي خلال العقد السادس من القرن الرابع عشر⁽³⁷⁾.

(37) تاريخ المخلاف السليماني، محمد بن أحمد العقيلي - ج2 - ط3 - ص: 75س8 بتصرف .

المسبار

المسبار

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

محمود عبدالغني صباغ(*)

المؤسسة الصوفية في الحجاز بالقرن التاسع عشر، ازدهرت الزوايا الصوفية في الحجاز خلال العصر العثماني، لتحسن الأوضاع المعيشية والاقتصادية مما كانت عليه في العصور السابقة، حتى لقي بناؤها اشتراكاً من كافة طوائف المجتمع المحلي ومن خارجه فكان هناك ما أنشأه كبار شيوخ الطرق، والعلماء، وأعيان الأهالي، والتجار، وأمراء المقاطعات الإسلامية والمحسنون وفاعلو الخير - كما ترسخت متانتها الوقفية مع صدور قوانين التنظيمات العثمانية للأراضي والأوقاف منتصف القرن التاسع عشر.

(*) كاتب وباحث سعودي مهتم بالتاريخ والتراث الحجازي.

وانتشرت الطرق الصوفية في منطقة الحجاز في ذات الفترة، حتى إن بعضها انطلق منها، مثل الطريقة الإدريسية⁽¹⁾ التي أسسها أحمد ابن إدريس في مكة المكرمة، والطرق [المشارب] التي تفرعت منها، مثل الطريقة الختمية (المرغنية)، والطريقة السنوسية، والطريقة الرشيدية - وجميعها طرق حديثة العمر نسبياً انطلقت في القرن التاسع عشر. فيما سبقتهم الطريقة السمانية بالانطلاق من الحجاز، حيث أسسها محمد بن عبد الكريم السمان⁽²⁾، مسؤول الضريح النبوي، من المدينة المنورة، في منتصف القرن الثامن عشر.

(1) الطريقة الإدريسية: نسبة للإمام المتصوف أحمد بن إدريس (وكانت تسمى في حياته بالطريقة الحمديّة الأحمديّة)، من علماء مكة، (أصلاً من أهل فاس)، مكث بمكة زهاء ثلاثة عقود وكان من فحول العلماء العاملين والصوفية المحققين أخذ عنه أهل الحجاز العلوم الجمة ودخل أكثرهم في طريقته، وحين نفي من مكة المكرمة، عام 1827م، واستقر في قائم مقامية صيبا التابعة لتصرفيّة عسير، وضع نواة إمارته الشهيرة بها. وقد تفرع من الطريقة الإدريسية طرق إدريسية في الملايو وإرتريا، والطريقة الصالحية في الصومال، والطريقة الرشدية في السودان. علماً بأن ابن إدريس نفسه كان ينتمي إلى الطريقة الشاذلية-الخلوتية. ومن الكتب التي كتبت عن السيد أحمد بن إدريس من طلابه: مناقب السيد أحمد بن إدريس لمحمد عثمان الميرغني، ومناقب السيد أحمد بن إدريس لإبراهيم الرشيد، وكتاب عقد الدر النقيس لإبراهيم الرشيد، وكتاب التطريز النقيس باسم سيدي أحمد بن إدريس لمحمد الأمير العمراني الخلوتي السماني.

(2) محمد عبد الكريم السمان (توفي عام 1775م)، من علماء المدينة المنورة، ومسؤول الضريح النبوي. مزج بين الطرق الخلوتية، والقادرية، والنقشبندية، والشاذلية - التي كان يظفر بإجازاتها جميعاً - في قالب جديد عرف بالسمانية.

والسمانية - طريقة مستقلة وإن كانت رسمياً هي امتداد للخلوتية، بحسب مسلسلات الإجازة عند السمان. والسمان هو صاحب كتاب المناقب الكبرى، وخليفته من بعده كان صديق بن عمر خان. كتب عنه تقي الدين بن عمر الزرعة الحنفي المكي (توفي 1775م)، كتاب درة عقد جيد الزمان، وفيض مواهب الرحمن، في بعض مناقب قطب المعارف، سيدنا ومولانا المعارف، الشيخ محمد السمان.

محمود عبدالغني صباغ

ويذكر الشيخ حسن عجيبي⁽³⁾ (1639-1701م)، في مخطوطه "خبايا الزوايا أهل الكرامات والمزايا"، أنه بالقرن السابع عشر الميلادي، كان في مكة المكرمة وحدها ثماني عشرة زاوية أو مشهداً، وأربعون طريقة صوفية، ذكر أسانيدھا في كتابه المخطوط وأجازھا لرفيقه الشيخ أبوسالم العياشي من أهل تونس في خطاب مؤرخ في سنة 1664م، وذكرھا الشيخ العياشي في رحلته للحج.

وأطلق أحمد ابن إدريس طريقته في مطلع القرن التاسع عشر من مكة. وانضم إليه أبرز علماء مكة، على رأسهم، إمام المقام ومفتي الشافعية محمد صالح الرئيس⁽⁴⁾.

(3) الشيخ حسن بن علي بن يحيى بن عمر بن أحمد العجيبي (1701-1639م): يُسمى بأبي الأسرار، وأبي البقاء، واشتهر بـ[الصوفي الكبير]. من أهل مكة، على المذهب الحنفي. وهو محدث الحجاز، ومُستند مكة، وأحد الشيوخ الثلاثة الذين ينتهي إليهم غالب أسانيد من بعدهم من العلماء في الحجاز واليمن ومصر والشام (إلى جانب عبد الله بن سالم البصري المكي، والشيخ أحمد النخلي المكي). من شيوخه في الحديث في مكة: عيسى الثعالبي، ومحمد بن سليمان الروداني، وعبد الله وسعيد باقشير. كان قد تسلك (من سلوك الطريقة واتباعها) في كل الطرق التصوفية التي كانت معروفة بمكة المكرمة.

من مشايخه في الطريقة [العارف بالله] أحمد محمد القشاشي، الذي لقنه الذكر وألبسه الخرقة. والسيد [العارف بالله] عبد الرحمن بن أحمد المكتاسي الشهير بالمحجوب. له من كتب التصوف: خبايا الزوايا، ورسالة في معرفة طرق الصوفية، واتصال الرحمت الإلهية في المسلسلات النبوية، وإقالة العثرة في بيان حديث العثرة. وقد جمع أسانيد تلميذه تاج الدين أحمد الدهان بعنوان كفاية المستطلع ونهاية المتطلع. وبيت العجيبي من أشهر البيوتات العلمية المكية وأعرقها، كانوا من الشوافع فتحققوا، وكانت مساكنهم في شعب علي ثم انتقلوا إلى حارة الشامية.

(4) محمد صالح بن إبراهيم الرئيس (1773-1824م). من أهل مكة. مفتي مكة منذ عام 1800م.. اشتهر في التفسير والحديث والفقه الشافعي والعربية والتصوف. تسلك في طريقة أحمد ابن إدريس. اشتهر في الفقه الشافعي، وكانت له إحاطة عظيمة بالخلاف في الأصول والفروع. من مؤلفاته في التصوف: جزء ضخيم في كرامات الأولياء، وخطب في مولد النبي صلى الله عليه وسلم. دُفن بشعب الحجون. ومن تلاميذه الشيخ عمر عبد الكريم بن عبد الرسول، والشيخ صالح زواوي.

كان لتلك الزوايا وظائفها التعليمية والدينية، وكانت مدعومة بالأوقاف الجليّة التي تسد احتياجاتها، وبالندور والهدايا الطرقية التي يُقدمها الأهالي وأثرياء الحُجاج والعُربان وأمرء المقاطعات الإسلامية، وتُغني القائمين عليها ليتفرغوا للوظائف التعليمية والدينية المنوطة بهم.

وفي مكة المكرمة كانت أبرز الزوايا، زاوية السنوسي التي شيّدها محمد بن علي السنوسي على سفح جبل أبي قبيس في حدود عام 1828م. واشتهرت إلى جانبها الزاوية التابعة لمؤسسة الطريقة النقشبندية، التي شيّدها أيضاً في أبي قبيس عبدالله الأرزيجاني، وكان الشيخ سليمان أفندي النقشبندي قيماً عليها.

لقد ازدهرت في مكة، في تلك الفترة، ظاهرة الطُرق، فكان إلى جانب الطُرق السنوسيّة، والنقشبنديّة، الطرق القادريّة [الجيلانية]، الشاذليّة، الإدريسيّة، البدويّة [الأحمدية]، المرغنية، العلويّة، الرفاعيّة، والبكطاشيّة.

وبموجب تقارير من أمرء مكة، وحُجج، كانت تُمنح نظارات الزوايا، والخدمة في الأضرحة، إلى أفراد أو بيوت بعينها. فكانت زوايا السيّد البدوي بمكة، وخدمة ضريح العادلي موروثّة في بيت القدسي المكي

محمود عبدالغني صباغ

كان يقوم بها مفتي الشافعية في مكة العلامة محمد سعيد قدسي⁽⁵⁾ ثم خلفه في ذلك ابنه الشيخ علي قدسي (ت: 1878م). وكان مقر زاوية سيدي أحمد البدوي بالجودرية، وزاوية سيدي علي البدوي بشعب عامر أما ضريح الشيخ العادلي فكان بمحلة الشامية.

كان المكيون يتسلّكون في نهاية القرن التاسع عشر، في الطرق على أيدي مشاهير شيوخ الطرق، ومنهم من يحصل أن يشغلوا منصب علماء فقه بالمسجد الحرام. كانت الطريقة النقشبندية تُمنح من الشيخ محمد مطهر أو من الشيخ محمد الخاني الخالدي، والطريقة الخلوتية تُمنح من شيخها في مكة السيد أحمد نصر⁽⁶⁾ وشيخها الآخر السيد محمد بن علي الكناني⁽⁷⁾ والطريقة الشاذلية تُمنح من السيد إدريس بن سعد الظبياني أو محمد العربي، والطريقة الختمية تُؤخذ من السادة الميرغنية.

وقبلهم اشتهرت زاوية الشيخ المكي أبوسرير عند باب العمرة بالقرب من البازان. كانت الزاوية تُنشأ من قبل مشائخ يهبون حياتهم للتدريس في زوايا أو دور صغيرة يُنشئونها، أمثال الشيخ عمر أبوسرير

(5) الشيخ محمد سعيد قدسي الشافعي المكي (غير معروف- 1846م): مُفتي الشافعية في مكة. ولد بمكة. أخذ الطريقة من الشيخ أحمد بن إدريس في مكة. ومن مشايخه في مكة: الشيخ عمر عبدالرسول العطار الحنفي، والشيخ محمد صالح الرئيس. دُفن بالمعلاة.

(6) السيد أحمد نصر بن أحمد علي الشافعي (1820-1891م). قديم مكة عام 1848م، كان مُلازماً برواق باب إبراهيم.

(7) الشيخ محمد بن علي الكناني المكي الشافعي (1815-1891م). من طلاب الشيخ جمال شيخ من أوائل من عمل بالكتب في باب السلام مع آل الباز. كان ذا ثراء. وترك ابناً، هو الشيخ محمد بن محمد الكناني. وهم أرحام بيت مراد المكيين.

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

الشجري المكي، المتوفي في جدة عام 1629م، ويوجد له بها ضريح استحال مزاراً شهيراً.

وكان مفتياً في مكة المكرمة مثل السيد عبد الله بن صالح زواوي⁽⁸⁾ يجمع بين مشيخة الافتاء الشافعي، وهو أرفع منصب رسمي في الهرمية الفقهية التقليدية لمذهبه، وبين رئاسته لطريقة صوفية لها اعتبارها الروحي وأتباعها في المسلك.

ويذكر الرحالة الهولندي سنوك هورخروني⁽⁹⁾ الذي مكث في مكة منذ عام 1884م، توزع الجاليات الاثنية في مكة بحسب الطرق، فكانت الطريقة النقشبندية مثلاً شائعة بين حجاج وطُلاب التُرك والجاوة في مكة. كما شهد هورخروني⁽⁹⁾ إبان مكوثه بمكة عراقاً بين الشيخ سليمان أفندي مع خليل باشا حول الظفر بلقب مشيخة المؤسسة النقشبندية في مكة.

(8) الشيخ عبد الله بن محمد صالح زواوي (1850 - 1924): مفتي الشافعية في مكة. تقلّد في عهد الشريف حسين منصب رئيس مجلس شورى الحجاز، ثم رئيس مجلس شيوخ الحجاز، ثم رئيس عين زبيدة. كانت حلقته بالحرم في الحصوة خلف باب بني شيبه، وكان درسه في التفسير، ومن أبرز طلابه ابنه عبد الرحمن زواوي، وحسني كتيبي، والشيخ محمد علي التركي (من أهل عنيزة). أخذ أسانيد الشيخ السنوسي الكبير من والده الشيخ محمد صالح الزواوي.

(9) ترك سنوك هورخروني أحد أهم مصادر تاريخ مكة بالقرن التاسع عشر. وقد مكث سنوك (الذي تقمّص شخصية الحاج عبدالغفار) في مكة بين عامي 1884 و1885م. أما مدوّنته التاريخية المعنّية فقد صدرت بعنوان: Mekka: In the Latter Part of The 19th Century by Cnouch Hurgronje.

محمود عبدالغني صباغ

ومن أشهر الزوايا في مكة في القرن التاسع عشر:

- زاوية السنوسي (سفح جبل أبي قبيس).
- زاوية النقشبندي (سفح جبل أبي قبيس).
- زاوية عبدالقادر الجيلاني (حي المدعى). كانت تقع شرق المسجد الحرام من جهة المسعى ويُرجَّح أنها وُقفَت قبل عام 1664م، وهي سنة رحلة المؤرخ العياشي لمكة. كانت مُخصصة بدور وخلوات لسكن الفقراء، ومُستلحقة بأوقاف يصرف ريعها على أنشطتها.
- زاوية أبي بكر الصديق (حارة المسفلة). يُرجَّح أنها وُقفَت قبل عام 1734م.
- زاوية الجنيد (الشبيكة).
- زاوية الرفاعي (سوق المعلا بالجهة الشمالية بجانب مقسم عين زبيدة)، وقد ذكرها السيّد أحمد زيني دحلان في سالنامة الحجاز.
- زاوية البدوي.
- زاوية الميرغنية (الهجلة بحارة الأغوات)، أسسها السيد محمد عثمان الميرغني⁽¹⁰⁾.
- زاوية السَّمان (في باب الزيادة)، وقد ذكرها الدحلان في سالنامة الحجاز.

(10) [العارف بالله] محمد عثمان ميرغني الشهير بالختم (1793 - 1852م). وُلِدَ بمكة، وهو على مذهب الأحناف. كان شيخ الطريقة الميرغنية في مكة. دَرَسَ بالمسجد الحرام. ولأزم السيّد أحمد بن إدريس في مكة، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية ثم تسلك في طريقته الإدريسية. من تأليفه الصوفيّة: الأنوار المتراكمة وشرحها المُسمى فيوض البحور المتلاطمة، ومجموع صلوات: فتح الرسول ومفتاح بابه الدخول لمن أراد إليه الوصول.

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

- زاوية سيدي الحداد (جباد)، وقد ذكرها الدحلان في سائنامة الحجاز.
- زاوية الشيخ باقي (جبل أبي قبيس).
- زاوية الشيخ عبد الكبير (بالشبكة تحت قبة العيدروس).
- زاوية المغاربة (حارة المسفلة وتُعرف برباط سيدنا عثمان).
- زاوية الشيخ مسافر (الشبكة بجانب قهوة الحمارة)، وقد جدد هذه الزاوية سليم سلطان من تجار مكة، وبنى فوقها كتاباً في عام 1865م.
- زاوية القادري (بشعب عامر بسفح الجبل على يسار الذهاب الى المصايف).
- زاوية السيد علي البدوي المتوفي في مكة عام 1232هـ (أول شعب عامر قريب من سوق المعلا).
- زاوية القطبانية (أول المعابدة).
- زاوية أبوسرير (باب العمرة).
- قبر الشيخ محمود (جرول).
- مزار المساوي. (بمقابر الشبكة)، فيها ضريح الشيخ علي المساوي المتوفي منذ عام 1583م.
- رباط السادة - رباط البصري (حي السوق الصغير بزقاق الحمرة المحاذي للشبكة). استمد اسمه من اسم واقفه الإمام المحدث عبد الله بن سالم البصري، أحد محدثي الحجاز الثلاثة الكبار من أصحاب الأسانيد العالية، كما عُرف برباط السادة؛ لنزولهم فيه. وقد اشترط الواقف في وقفية رباطه أن يكون على

محمود عبدالغني صباغ

السادة آل باعلوي، فيما كان يلتصق بالرباط أوقاف البصري المشهورة.

- رباط الكوشك (حي المسفلة). وكان يحتوي على زوايا دراويش الأzbek القاطنين في مكة.
- كان انتشار الزوايا في تلك الحدود، يُشكل ظاهرة بارزة في مدن الحجاز، حيث كانت تفوق في أعدادها وتجهيزاتها المدارس، كونها كانت تقوم مقامها آنذاك، ناهيك عن أغراضها الروحية الأخرى.

أما في المدينة المنورة، نسبة إلى مخطوط وصف المدينة المنورة في عام 1303هـ⁽¹¹⁾ للشيخ علي بن موسى أفندي كانت من أشهر الزوايا الفاعلة في حدود عام 1885م :

- زاوية ابن علوان (بحارة ذروان).
- زاوية الشيخ الجنيد (وتتبع الشيخ الجنيد ومقرها حارة ديارالعشرة في دار أبي أيوب الأنصاري).
- زاوية السنوسي (العنبرية بالمناعة).
- زاوية الخياري (البرايبخ).
- زاوية الدسوقي (زقاق الطيار).
- زاوية الرفاعي (زقاق البدور).

(11) علي بن موسى أفندي: لا يُعرف تاريخ ولادته أو وفاته، ولكن السيد عبید مدني ذكر أنه كان حياً حتى سنة 1902م في رسالته وصف المدينة المنورة في عام 1303هـ - 1885م، المنشور ضمن مجموعة في رسائل في تاريخ المدينة المنورة، التي عُني بنشرها وتحقيقها الشيخ حمد الجاسر، وطُبعت عام 1972م.

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

- زاوية السعدية (بالساحة).
- زاوية السَّمَان (وكانت بالدار التي كانت تقابل باب النساء من الحرم الشريف وفيها محل غسل جنازة الصديق الأعظم، فيما يذهب الشيخ عبد القدوس الأنصاري أن مقرها الأصلي كان فيما سبق دار ريطه بنت العباس).
- زاوية السيّد البدوي (وهي زاوية السيّد أحمد البدوي وكانت تجاه باب الرحمة).
- زاوية السيّد عبد القادر الجيلاني (وهي للطريقة الجيلانية، ومقرها في سقيفة الأمير).
- زاوية شيخ المولوية (بالساحة).
- زاوية الصاوي (وهي للشيخ الصاوي ومقرها في زقاق المواليد بحارة الأغوات المعروف بزقاق رباط الشيخ مظهر النقشبندي).
- زاوية القُشاشي (بزقاق القشاشي المتفرع من زقاق الطيار).
- زاوية الشيخ عبد الباقي عاشور (ومقرها في سوق القفاصة، وكانت مُخصصة لتدريس طلاب العلم المجاورين).
- زاوية المحضار (مقرها باب قباء).
- زاوية الشاذلية (وهي مجموعة من الزوايا لصغيرة حول المسجد النبوي).
- زاوية الدندراوي (باب المجيدي).
- الزاوية التيجانية (باب المجيدي).
- زاوية الطريقة النقشبندية (ومقرها في بُضاعة).

وفي جدة يذكر الشيخ أحمد الحضراوي في **الجواهر المعدة** أسماء زوايا جدة التي صادفها: زاوية السادة الشاذلية (حارة اليمن) التي بُنيت عام 1882م، وراء القشلة من جهة البحر، وزاوية السنوسي، وزاوية الأسنوي (حارة اليمن)، وزاوية الميرغني (حارة اليمن).

وكان في جدة أيضاً: زاوية السيّد البدوي في محلة المظلوم قرب سوق الجامع، و"كانت تُعلّق فيها مسبحة من الخشب كبيرة، حجم حياتها مثل حجم البيضة وكان يُدعى أنها المسبحة التي كان يستخدمها السيّد البدوي للذكر، كما كانت هناك جبّة خضراء وعمامة عظيمة، وغيرها"⁽¹²⁾. وكان هناك في حارة المظلوم زاوية أخرى للطريقة القادرية، وفي حارة الشام زاوية للطريقة الجيلانية، وفي العيدروس قريباً من مستشفى جدة الحكومي العام زاوية العيدروس. كما كان في جدة الزاوية السّمّانية التي بناها أحد سلاطين أندونيسيا.

واشتهرت في جدة، كباقي مدن الشرق، مزارات الأولياء الصالحين، فكان هناك مزار الشيخ العلوي (بباب مكة)، ومزار الشيخ أبوسرير حيث يسجى ضريحه بزواية معروفة في آخر سوق الندي، ومزار الشيخ أبوحنة، ومقام للشيخ أبوعنبة، ناهيك عن الضريح الأشهر للإمام المعروف بالمظلوم.

(12) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز، ص 324.

وفي الطائف يذكر حسن المجيمي في مخطوط إهداء اللطائف

من تاريخ الطائف، الزوايا التاريخية التالية:

- قبر زيد بن ثابت (بالجبانة) خارج المسجد "اشتهر عندهم بقبر صاحب الراية وهو مشهور البركة".
- قبر الشيخ [العارف بالله] سيدي أبي العباس أحمد بن علي الميورقي من ناحية الباب الشرقي من مسجد سيدنا عبدالله بن عباس.
- زاوية السيد الولي أحد سادات اليمن وهو بالقرب من بستان الرقبة.
- ضريح السيد الهادي اليمني بقرية الهضبة. المتوفي في حدود 1640م.

ولم تكن ظاهرة الزوايا، وانتشار الوازع الصوفي حصراً على التجمعات الحضرية أو جماعات الأهالي في الحجاز.

لقد لاحظ هورخرونيه أن الطريقة التي تجد احتراماً شديداً في المدن الحجازية، وكانت تجري فيها بالتوازي مع سلطة التعاليم الدينية الأساسية - كانت في المقابل لدى بطون قبائل حرب وباقي القبائل البدوية بالحجاز تتفرد بالسلطة الروحية. حيث طبيعة البدوي التي تأنف من التعاليم الدينية الصارمة، فيجد مقابل ذلك في الطريقة السنوسية سلوى، حيث طلب "الشفاعة السنوسية لدى رجال قبيلة حرب هو الخلاص الروحي من الأحوال والذنوب الدنيوية، وهذا يتم فقط بالاعتراف بممثلي

محمود عبدالغني صباغ

الشيخ السنوسي في بلاد حرب". ولما كانت السنوسية تحظى باحترام شديد عند أبناء قبيلة حرب، وعلى الرغم من وعورة وخطورة السفر عبر أراضي الحجاز، كان "موكبهم السنوي المسمى (ركب الإخوان) يسير سنوياً بسلامة من مكة الى المدينة دون أي حوادث اعتداء"⁽¹³⁾.

والشيخ فالح الظاهري المهنوي (1840-1910م)، من عرب الطواهر، من أهل بدر، لما سمع عمه أمير الحرب في طريق المدينة الشيخ عباس بن أحمد الظاهري، بوجود [العارف بالله] الشيخ محمد بن علي السنوسي بالمدينة المنورة عند زاوية العنبرية، اجتمع به في العاشر من سبتمبر 1852م وأودع ابن أخيه بزاويته. ولأزم الشيخ فالح شيخه السنوسي الكبير حضراً وسفراً طيلة سبع سنوات، وحج معه ثلاث حجات، حتى ألبسه الخرقة، وسمّع عليه الكتب الستة، وسمّع عليه الحديث المُسلسل بالأولية⁽¹⁴⁾.

وكان لابن إدريس (شيخ الطريقة الإدريسية) مسجدٌ في حي المعابدة، سُمي باسمه بعد رحيله عن مكة في 1827م، وكان أحد مريديه يُسمى محمد شاويش [النفيعي]، ينتمي الى قبيلة عتيبة، يدير ذلك المسجد، وقد تسلمت عائلته من بعده مهمة إدارة المسجد، حتى سُمي لاحقاً على اسمهم: مسجد الشوشان.

(13) سنوك هورخرونيه، ص 56.

(14) التحق الشيخ فالح فيما بعد بالحركة السنوسية في المغرب، وتزوج بواحة الجفوي، ثم رجع إلى مكة سنة 1888م نزيلًا عند الشريف عون الرقيق، مدة ثلاث سنوات، ثم رجع إلى المدينة المنورة سنة 1891م، ودُفن بها عام 1910م. (الترجمة: من الدليل المشير للحبشي، ص 325). ولفالح بن محمد الظاهري المهنوي ثبت بعنوان حسن الوفا لإخوان الصفا، نشره وعلّق عليه وصححه الشيخ محمد ياسين فاداني.

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

كانت الزاوية مدرسة دينية وداراً مجانية للضيافة والمكوث. حيث يذكر قومندان حرس المحمل المصري عام 1901م، وأمير الحج أعوام 1903 و1904 و1908، شرحاً ضافياً في كتابه مرآة الحرمين لدور الزاوية التي وجدها في الحجاز: "هذه الزوايا تؤدي بها الصلوات الخمس جماعة بعد الأذان له و الإقامة، ويُقرأ في الصباح نصف جزء من القرآن وبعد الغروب يقرأ مثله وفي كل زاوية مكتب لتعليم القرآن، وفي الزوايا بساتين تحوي النخيل والعنب والتين، وأحسنها نخلة النجيلة، ولكل زاوية شيخ يكرم من مر بها من غني أوفقر ومصدر المال الذي عند الشيوخ من زكاة الإبل والغنم والحبوب الخ.. التي يقدمها العُربان للزوايا اختياريّاً لأنه حق شرعي" (15).

وانفسح في طول الحجاز عقد الزوايا السنوسية حتى وصل إلى بضع وعشرين زاوية مطردة يرجع لها أتباع كثر، كان لها تأثير شديد في الحياة العامة في الحجاز، كما لعبت بالقدر ذاته دوراً جوهريّاً في وحدة الثقافة والتجارة الحرفية وتدفقات البشر بين مراكز الحجاز وبقيّة المراكز في بلاد الشام ومصر والمغرب العربي، طيلة مسار القرن التاسع عشر وأجزاء من القرن العشرين.

كانت منشآت الزوايا السنوسية، ذات الهندسة المتقنة والساحرة، تشي بتنظيم شديد الفراسة، وملائمة مالية ووقفية متينة. لاحظ الحضراوي،

(15) إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، ص382.

محمود عبدالغني صباغ

تميّز معمار وهندسة الزاوية السنوسية بجدة، دون غيرها من الزوايا وكانت ملاحظته تتسجم مع باقي شواهد المنشآت المتناثرة على شريط الساحل الحجازي.

كان الحجاز، مُنطلق الحركة السنوسية، منذ عام 1828م، لمركزية الدينية والعلمية وموقعه الإستراتيجي الذي يجمع علماء وقيادات الهند بالمغرب. واختيرت مواقع الزوايا بعناية شديدة مدفوعة بأهداف سياسية ودعائية واضحة - تركت تأثيرها العميق في الثقافة والوجدان الحجازي.

كانت الزوايا تحتفل بعدة مواسم اعتاد الأهالي الاحتفال بها- هي من صميم الثقافة الحجازية.مثل: ليلة النصف من شعبان وليلة القدر، والإسراء والمعراج، وغيرها، علاوة على أيام خاصة بالطرق نفسها. وفي عام 1678م أمر قاضي مكة كوكبي زاده أصحاب الزوايا بضرب الدفوف، والخروج بالزفاف على ما جرت به العادة والقانون إلى المولد الشريف بعد منع سابق⁽¹⁶⁾.

يصف محمد علي مغربي طبيعة تلك الاحتفالات التي استمر قيامها إلى عهود متأخرة:

(16) الطبري، إتحاف فضلاء الزم (2 / 119).

"وكانت لهذه الاحتفالات شنة ورنة تذبج فيها الذبائح وتمد فيها موائد الطعام الكثيرة وتوزع فيها الحلوى ويمارس فيها شيخ الطريقة وأتباعه أسلوب طريقتهم، وتتخللها الأغاني التي ينشدها المنشدون وتسير فيها مواكب كبيرة يتقدمها شيخ الطريقة وأتباعه، ويشترك فيها الدهماء، والأطفال، وهم يغنون مايعتبرونه ذكراً، وفي مثل هذه التجمعات قد يحدث من المساوئ ما يبرأ منه الذكر الصحيح، وما لا يرضاه الخلق القويم"⁽¹⁷⁾ وإن من هذه الزوايا ما أنشئ للتربية الروحية للحياة الصوفية، كزوايا الصوفيين الذين ينقطعون فيها للعبادة، ومنها ما أنشئ لهدف تعليمي، ويغلب على ذلك زوايا العلماء الفحول، وساعدهم على ذلك أن بعض زواياهم كانت تستلحق بدور وخلوات ومرافق حضرية ومكتبات كبيرة.. مما جعلها مقصداً لطلاب العلم والمريدين والأتباع.

- الظاهرة السنوسية في الحجاز:

الحركة السنوسية حركة إصلاحية انطلقت من الحجاز، تعود فترة زهوها في الحجاز إلى ما بين 1828م إلى عام 1918م.

وحين عزم السنوسي تشييد باكورة زواياه بسفح جبل أبي قبيس، جُوبه بممانعة لأن الموقع الذي اختاره يرتفع مقدار طابق واحد أعلى من بناء الكعبة، لكنه مالبت أن أقنع الشريف المحلي، حتى أنه عرض عليه المساعدة في البناء، ولكن ابن السنوسي اكتفى بالاعتذار المتقدم والإذن له

(17) محمد علي مغربي، مصدر سابق، ص 324.

محمود عبدالغني صباغ

فقط بالبناء.. هذه القصة ساهمت في تعزيز هالة القداسة التي أحاطت بانطلاق الحركة منذ بواكيرها. لقد بدأ بناء زاوية أبي قبيس الاستفتاحية في نهاية 1242 هـ (الموافق 1827 م)، وخلص منه بعد عام من ذلك - أي في حدود عام 1828 م⁽¹⁸⁾.

كان محمد بن علي السنوسي (1787 - 1859 م)، مؤسس الحركة السنوسية، قد اتصل بالحجاز بدءاً من عام 1825 م، وهو ابن السادسة والثلاثين ربيعاً. ومكث فيه زهاء خمسة عشر عاماً (كانت هي فترته الأولى). درس فيها السنوسي على يد قاضي الأحناف في مكة ومفتيها آنذاك الشيخ عبدالحفيظ بن درويش العجيمي الذي أخذ منه الإجازة والأسانيد العالية، وقرأ عليه صحيح البخاري وموطأ مالك، وكان العجيمي يُلقَّب في مكة بأبي حنيفة الصغير. كما درس السنوسي على يد الشيخ المكي عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار، ومفتي الشافعية في مكة الشيخ محمد صالح الرئيس.

وفي مكة التقى السنوسي بمُرشد الأول [العارف بالله] أحمد ابن إدريس، الذي أخذ منه الحديث والسُّنة وأسانيد الطريقة الصوفية الإدريسية [كانت تُسمى: المحمدية الأحمدية]، ولم يستغرق الانضمام إليه

(18) تعيد بعض المصادر تاريخ انطلاق السنوسية إلى تاريخ 1837 م، وهو ذات العام الذي تمده أيضاً تاريخاً لافتتاح زاوية أبي قبيس، وهذا غير دقيق، فالزاوية افتتحت في منتصف عام 1828 م، لكنها بعد وفاة ابن إدريس في أكتوبر 1837 م بصيبيا، انفردت بمركزية احتضان الطريقة السنوسية. وكان عدد من طلاب ابن إدريس قد اختلفوا بعيد وفاته حول خلافته التي آلت للسنوسي، فخرج بعض الطلاب وأنشئوا طُرُقهم الخاصة، مثل محمد عثمان الميرغني من أهل مكة الذي أسس الميرغنية وانتقل بها إلى السودان، والرشيديّة التي أسسها إبراهيم الرشيد وهو من أهل السودان (وكان خليفته الدندراوي مؤسس الطريقة الدندراوية).

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

أكثر من خمسة عشر يوماً ليعتبر الأخير أن السنوسي هو "نائبه"، ويصدر إقراراً يقضي بخلافته له في إعطاء العهود وتلقين الذكر. حتى إن ابن إدريس قال للسنوسي وقتها، كما يذكر حفيده أحمد الشريف: "أنت نحن ونحن أنت" (19).

وفي مكة تسلك السنوسي الطريقة الخلوتية والعبسية من شيخه عبد الحفيظ العجيمي، وتسلك الطريقة النقشبندية والقادرية من عبد الله شاه، أما السهروردية فتسلكها من كل من معلمه ابن إدريس وعبد الله شاه. والسنوسي اتصل بالأسانيد العالية لعلماء الحجاز الكبار. إبراهيم الكوراني (توفي 1697م)، حسن العجيمي (توفي 1701م)، وصالح الفلاني (20) (توفي 1803م)، وهو كثيراً ما يذكر الفلاني والكوراني في مؤلفاته ومن المثير أن نرى أن كليهما كان مهتماً بقضية الاجتهاد.. تماماً مثل السنوسي، وقبله شيخه ابن إدريس.

وابن إدريس هو قاعدة مشروع السنوسي الإصلاحية الكبير. أخذ منه السنوسي مناولة في بطحاء مكة وكان من مرافقيه بعد أن طلب من ابن إدريس مغادرة مكة بعيد دعوته إلى فتح باب الاجتهاد والغاء التقليد المذهبي، منفياً مع أعوانه إلى صيبا عسير عام 1827م، حيث لازمه على فترات متقطعة انتهت بوفاة ابن إدريس في أكتوبر عام 1837م. وقد روى

(19) أحمد الشريف، الأنوار، ص 68.

(20) صالح الفلاني ثم المدني (توفي 1803م): من سادات علماء الحجاز. المشهور بالإسناد العالي. كان يجيز الأحاديث، ويمنح إجازة مكتوبة بخط يده. له ثبت أسماء (قطف الثمر في أسانيد المصنفات في الفنون والأثر) وآخر أكبر اسمه الثمار البانح. يروي مؤلفات [العارف بالله] الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي، ودلائل الخيرات عن الشيخ أحمد النخلي. (المصدر: من ثبت الكزيري للقاداني).

محمود عبدالغني صباغ

عن شيخه أحمد بن إدريس وهو في بندر الليث في منتصف طريقه إلى صيباً منفياً قوله "بوجود ابن السنوسي بمكة ما كأننا فارقناها".

لقد أطلق السنوسي دعوته الإصلاحية من مكة المكرمة إبان مكوثه الأول طيلة خمسة عشر عاماً حشد خلالها الأتباع والإخوان والمريدين، ولكنه أخفق في إنشاء دولته على أراضي الحجاز، مُكتفياً بدولته التي أنشأها في برقة بليبيا.

والحقيقة أن كلاً من الحركة الوهابية في نجد، والحركة السنوسية في الحجاز، تقاطعتا في عدد من السمات، منها الموقف المناهض للمركزية العثمانية، وطابع النزعة الإصلاحية إزاء تطبيق المعتقد "الصحيح" وبث الأخلاق "الحميدة"، وفي تطويع القبائل البدوية وتوطينها في هجر زراعية [زوايا في الحالة السنوسية]، وفي ذات تنظيم الإخوان الحركي وحث أبناء القبائل على الجهاد.. ولكنهما اختلفتا في تسامح السنوسية مع قبور الأولياء والاندراج في طقس طُرقي، كما أن السنوسية لم تلجأ إلى فصل الإمارة عن الإمامة، كما فعل محمد عبدالوهاب الذي تحالف مع أمير الدرعية محمد بن سعود. فيما الحالة السنوسية دمجت كلاً من الإمارة والإمامة في شخص السنوسي الكبير.

وبعد وفاة ابن إدريس، صعد زخم زاوية أبي قبيس، وأضحت مقصداً للعلماء ومركزاً وقاعدة للحركة السنوسية بالحجاز.

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

واستطاع السنوسي أن يبرم الخيط على طول الساحل الحجازي، وأن يُنظّم عقد الزوايا فيه. يقول بريتشارد: "من المفيد جداً أن نشير إلى أن السنوسية نالت مقاماً رفيعاً في الجزء الغربي من جزيرة العرب"⁽²¹⁾.

واضطّر السنوسي للرحيل عن مكة إلى برقة في 1841م، تاركاً خلفه معاونه عبدالله التواتي قيماً على زاوية أبي قبيس.

وحين عاد السنوسي إلى الحجاز في المرة التالية، مكث به ثماني سنوات حفلت بنشاط حركي واسع استهدف خلاله أبناء قبائل حرب وبنو حارث، والحجاج المارين بدروب الحج. فأسس زوايا عدداً تلك التي في أبي قبيس والمناطق الحضرية، في أنحاء قبائل الشمال.

ويلاحظ هورخرونيه: "أما في مقاطعات الحجاز التي تسكنها قبائل "حرب" وغيرها من الأعراب فإن السنوسية تحظى بأرفع التقدير، نظراً لأن دعوتها العملية قد نجحت إلى حد بعيد في أن تجلب أبناء الصحراء الذين ينفرون من كل سلطة كما أنهم بعيدون جداً عن الإسلام الصحيح، وضمّتهم تحت زعامتها"⁽²²⁾.

لقد كانت الزوايا السنوسية في واقعها كما يقول بريتشارد: "مدارس، ومحطات قوافل، ومراكز تجارية، ومراكز اجتماعية، وحصوناً،

(21) ايفانز بريتشارد، سنوسيو برقة، مصدر باللغة الانجليزية.

(22) هورخرونيه، ص56.

محمود عبدالغني صباغ

ومحاكم، ومصارف نقدية، ومستودعات، ومأوى للفقراء، ومواطن حمى ومدافن، كل ذلك أدى إلى كونها قنوات يسير فيها نهر البركة الربانية⁽²³⁾.

ووصلت الزوايا السنوسية في الحجاز إلى بضع وعشرين زاوية (ثمانية منها أنشئت في حياة السنوسي الكبير)، أشهرها :

1. زاوية أبي قبيس بمكة المكرمة، وهي أول الزوايا السنوسية على الإطلاق، تأسست عام 1828م مُلحقةً بمسجد ومدرسة للتعليم ومساكن لقبول الطلاب الزائرين والمسافرين. وكان أول شيخ لها العلامة عبد الله التواتي، ثم بعد مقتله، عُيِّن السادة: مصطفى الغماري، حامد غانم المكاوي، علي حامد، الشارف حامد، الصادق السنوسي حامد؛ على التوالي.
2. زاوية الطائف. ثاني الزوايا التي أسسها السنوسي (في عام 1836م)، وقد بناها أيضاً في مكان مرتفع على سفح جبل ابن منديل، تأسيساً بنمط بناء زاوية أبي قبيس، وعيّن عليها محمد بن صادق البكري من أهل الطائف⁽²⁴⁾. وسُميت الزاوية فيما بعد مسجد الريع، أو مسجد الطرابلسي.
3. زاوية المدينة المنورة، مقرها في العنبرية بالمنامة أنشئت عام 1849م، وكان أول شيخ لها هو العلامة محمد الشفيع، ومن بين من تولى مشيختها، العلامة مصطفى الغماري، ومحمد عبد الله الزاوي، وعبد السلام فركاش.

(23) إيفانز بريشارد، سنوسيو برقة، مصدر باللغة الانجليزية

(24) لاحقاً اقترب البكري كثيراً من السنوسي ورافقه إلى برقة، وتزعم زاوية جديد في تونس، وقام بالنيابة عن السنوسي في الاتصال بالمقاومة الجزائرية للاستعمار.

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

4. زاوية جدة.
5. زاوية ينبع النخل. بقرية السوق.
6. زاوية ينبع البحر.
7. زاوية بدر. أنحاء المدينة.
8. زاوية الحمراء. أنحاء المدينة.
9. زاوية العيص. أنحاء المدينة.
10. زاوية وادي الصفراء. أنحاء المدينة.
11. زاوية منى. أنحاء مكة.
12. زاوية جُمرانة. أنحاء مكة.
13. زاوية رابغ. ساحل الحجاز.
14. زاوية الليث. ساحل الحجاز.
15. زاوية أملج. ساحل الحجاز الشمالي.
16. زاوية ضبا. ساحل الحجاز الشمالي.
17. زاوية الوجه. ساحل الحجاز الشمالي.
18. زاوية الفارعة. شمال الحجاز. أنحاء تبوك.
19. زاوية صمد المفالحة. أنحاء وادي فاطمة.
20. زاوية الجموم. أنحاء وادي فاطمة.
21. زاوية الهنيّة. أنحاء وادي فاطمة.

كان السنوسي في عودته الثانية إلى الحجاز كمن يريد البقاء
أبداً. كان يقصد بنفسه زاوية أبي قبيس ليُدَرِّس الطلاب الفقه المالكي
والطريقة.. وهي ذات الفترة التي أَلَّف خلالها عدداً من الكتب منها كتابه

محمود عبدالغني صباغ

بغية المقاصد و خلاصة الراصد المسمى بالمسائل العشرة (1847م)،
ورسالة كتبت لمقدمة كتاب **موطأ الإمام مالك (1850م)**.

ولكنه بعد إلحاح زعماء برقة الذين صاروا يبعثون الوفود تلو الأخرى حثاً له للرجوع إلى ليبيا، رتب الأمور بالحجاز بعناية، وعيّن مشائخ للزوايا وزوّدهم بما رآه، وحثّهم على سلوك طريقته في إرشاد العباد، وأناب عنه في زاوية أبي قبيس الشيخ محمد إبراهيم الغماري، وأبقى ابنه (محمد المهدي، ومحمد الشريف) ووالدتهم وجدّهم في مكة، وأمر محمد الغماري، وأحمد البقالي بتعليمهم والاعتناء بهم (1858م).

وللسنوسية بُنيته المعرفة ورموزها الحركية، وقد حظيت في الحجاز بتنظيم هرمي رفيع، وبناء تنظيمي صارم، يعلوه رئيس جماعة، ويرافقه مجلس خواص الإخوان (شورى)، وشيوخ زوايا، وطبقة من الإخوان مهتهم التجنيد للحركة.. ناهيك عن فرق رفيعة للاستخبارات والاتصال والنيابة.

لقد جهر ابن السنوسي بتصوفه ناهيك عن أنه أخذ عن جل علماء المتصوفة في ذلك الوقت وتلقى معظم أسانيد طرقهم، ولكنه كما يقول الدجاني عنه، أنه أكسب "صوفيته طابع السنة ولجمها بحدود الشرع وأكسب فقهه طابع الروحية المتألقة"⁽²⁵⁾. كما أن كثيراً اعتبروا معلمه (ابن

(25) أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية.

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

إدريس)، بمثابة صوفيّ مُجدد (Neo-Sufi) لتتقيحه الطقوس الصوفية من كثير من الممارسات التي علقت بها - والسنوسي بطبيعة الحال سار على خُطاه.

لقد اكتسبت الطريقة السنوسية احتراماً شديداً في الوعي الجمعي الحجازي، وقد لاحظ هوروخرنيه في زيارته لمكة عام 1884م، أن السنوسية تحظى باحترام عميق بين الأهالي، إلى درجة أنها كانت تحتفل بمرور حَوْل على وفاته في تقليد سنوي، حتى بعد ثلاثين عاماً من رحيله⁽²⁶⁾، وحينما أطلق الشريف حسين بن علي ثورته العربية الكبرى عام 1916م، اتخذ من شكل معمار زاوية السنوسي بأبي قبيس شعاراً لدولته الجديدة⁽²⁷⁾، إما تفاؤلاً أو خشوعاً أو حتى التماساً للشعبية. والطريف أن الإخوان "الوهابيون"، حين دخلوا مكة، بعد كسوف عهد الشريف حسين، كان من أول أعمالهم، تخريب سقف مسجد أبي قبيس في 10 نوفمبر 1924م⁽²⁸⁾ ربما إعلناً عن عهد جديد.

(26) هوروخرونيه، ص55.

(27) محمد عمر رفيع، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص267.

(28) الغازي، إفاضة لأنام، 4 / 617.

- داخل المؤثرات الصوفية مع الموروث الاجتماعي لمنطقة الحجاز؛

تحضر المؤثرات الصوفية بشكل بارز -وعفوي- في الاحتفالات
والعادات الشعبية الخاصة بمنطقة الحجاز، كان احتفال المولد ينعقد في
مكة بشيء من التقليد الشعبي الراسخ:

في ظهر يوم الحادي عشر تُطلق المدافع إعلاناً لهذه المناسبة، ومع
صلاة المغرب التي هي بداية اليوم الثاني عشر من ربيع الأول يبدأ تجمع
الناس بأعداد خيالية وتأتي النساء بملابس العيد في كامل الزينة وكذا
الأطفال، فيحدث في ساحة المسجد [الحرام] الكثير من الصخب، وتوزع
الحلوى حتى في المسجد، وبعد الانتهاء من صلاة المغرب تُضاء المصابيح
في المسجد بأعداد متدفقة ويبقى الجمهور بعد ذلك قرابة نصف ساعة
في حركة دائمة يُحيي بعضهم بعضاً، والقليل منهم يستمع إلى الإمام يتلو
قصة المولد حيث يكون في مكان الصدارة شريف مكة والوالي العثماني مع
حاشيتهما. وحينما تنتهي قراءة المولد يحصل هرج كبير داخل المسجد
فالكل يريد أن يرى الشريف ورجاله حيث يمشون بخطى وثيدة ويحملون
القناديل المضيئة عبر أسواق القشاشية وسوق الليل إلى بناية القبة في
الشعب (شعب علي) حيث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النور لأول
مرة.

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

وأمام هذا الموكب يسير "الرئيس" وهو كبير المؤذنين ينشد المدائح النبوية، وعند الوصول إلى مكان الميلاد النبوي يدخل هذا الحشد إلى مكان المولد حيث وضعت هناك قبة، حتى أن من بنى القبة عين موقع إهلاله حين الولادة وجعل مكانه نقرة مجملّة بالمرمر يطيبها السادن، فيأتي الزوار يلمسونها بأكفهم تبركاً و يقرؤون الفاتحة وبجوار موضع المولد مكان يكون فيه بعض الدراويش من أهل الطرق الصوفية يقرؤون المولد و يقيمون حلقة الذكر والرقص، و يقرؤون شيئاً من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تقام صلاة الجماعة. وخلال الليل تقام حفلات السمر في حين يقوم المتصوفة بتكوين حلقات يرددون فيها بصورة جماعية قصائد "البردة" و "الهمزية" وأشعار المديح الأخرى⁽²⁹⁾.

فيما يتقدم شاب حسن الصوت فينشد الأشعار و يترنم بالمدائح وهم يرددون معه بعض الصلوات، نحو:

"صلى عليك الله يا علم الهدى ما حنّ مشتاق إلى لقياك"، ثم يقرأ قصة المولد حتى إذا بلغ: "وولده آمنة مختوناً" قام الجميع إجلالاً وتعظيماً، ووقفوا دقائق في إجلال وإكبار تخيلاً منهم وضع آمنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يؤتى بالمجامر وطيب البخور فيتطيب الكل، ثم تدار كؤوس المشروبات من "شربيت" وغيرها، ثم تقدم قصاع الطعام فيأكلون وينصرفون.

(29) هورخرونيه، ص 47 - 48.

ومن الأهلين (أي الأهالي) من يقيم في بيته تلك الليلة أو يومها حفلة يدعو إليها من يريد من أصدقائه، وعندما يتكامل جمعهم، يقرأ أحدهم قصة المولد، وأكثر القصص، قراءة وتلاوة، القصة التي رتبها كبير بيت البرزنجي⁽³⁰⁾ من علماء المدينة النبوية وهي قصة مسجوعة، وعند ذكر إهلاله في القصة يقوم الجميع وقوفاً، يرتلون كلمات الترحيب: "مرحباً يامرحبا جد الحسين مرحبا يانورعيني". ثم تُمد الموائد بما تهيأ من طعام، وينصرف بعد ذلك كل إلى شأنه⁽³¹⁾.

أما في المدينة المنورة، فكان المولد النبوي في العهد العثماني يُعمل بتقاليد بروتوكولية ذات ترتيب مختلف. فبعد طلوع الشمس صبيحة الثاني عشر من ربيع الأول يقوم أربعة من الأئمة في صحن الحرم الشريف فيرقى الأول على الكرسي المخصوص للقراءة، ويقرأ الحديث وينزل بعد أن يدعو للسلطان ثم يرقى الثاني فيقرأ عن المولد والولادة ويدعو وينزل، ثم يرقى الثالث ويقرأ الرضاع، ثم يدعو وينزل، ثم يرقى الرابع ويقرأ الهجرة ويدعو وينزل وينصرف الجميع بعد أن يشربوا "الشربيت" ويأخذوا "الحلاوة اللوزية"⁽³²⁾.

(30) مولد النبي صلى الله عليه وسلم لجعفر البرزنجي طبع أول مرة عام 1301 هـ، وله بغية العوام في شرح مولد

سيد الأنعام. وجاء في قصيدة البرزنجي:

وقد سن أهل العلم والفضل والتقى قياماً على الأقدام مع حسن إيمان

بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر بأي مقام فيه يذكر بالدان

(31) محمد عمر رفيع، مصدر سابق، ص 124.

(32) ابن موسى، رسائل في تاريخ المدينة.

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

إن طقس المولد، مثله مثل الزيارة الرجبية والشعبنة والاحتفال بليلة المعراج - طقوس اجتماعية خاصة بالثقافة الحجازية أكثر من كونها تعاليم مذهبية تتبع مرجعية تقليدية.

كان أهالي مُدن الحجاز، يخرجون في جماعات كبيرة في مواسم الزيارة، شهر رجب، وينخرطون في تجمع يُسمى "رَكَب"، وكان كل ركب من جدة أو مكة يصطحب مُنشداً -أو مُزهداً- ينشدُ في الطريق المدائح النبوية، مثل الهمزية، والبردة للبوصيري. وكان في كل مُدن الحجاز إلى بدايات العهد السعودي عادة "الترحيم والتذكير"، وصفة الترحيم أن يصعد المؤذن إلى أعلى المنارة العالية فيطلق صوته في جوف الليل قائلاً: "يا أرحم الراحمين ارحمنا" .. أما التذكير فهو نوع من الإنشاد الديني الرياضي الذي يحتوي على أسماء الله وصفاته العليا، يُذكرُ بها الغافلون السادرون في دنياهم، ويكون في أكثر ليالي الجُمع والأعياد، والمناسبات الدينية.

-تحولات الذهنية في الحجاز:

كانت البنية المعرفية في الحجاز تشهد مع بداية القرن العشرين عملية تحوّل قيمي من داخلها.

كان الشبان الحجازيون الذين تلقوا تعليماً حديثاً في الخارج، أو أولئك الذين نشئوا على صيحات النهضة العربية الكبرى في مكة، قد بدأوا

محمود عبدالغني صباغ

في تشكيل موقف مستقل من التاريخ، وشرعوا في التماس دروب المدنيّة، واقتباس روح العصر.

كان شابّ حجازي من رواد النهضة، هو عبدالرؤوف صبان، يُعبر عن ذلك الصعود في الوعي بين شبان الحجاز. لقد ابتعث الصبان، الذي يتحدر من أبرز عوائل مكة التجارية، إلى مصر في بعثة الخديوي عباس منذ سنة 1909م، وتخرّج من دار العلوم المرموقة، وحين عاد "كان ثائراً على ما تحفل به حياة المجتمع إذ ذاك من الخرافات نتيجة التأخر والجمود"⁽³³⁾. كان وهو يقضي الأماسي في مجلسه بدار الشيخ محمد حسين نصيف يتعرضان للمواكب الخاصة بمشايع الطرق ومريديهم يسفهن آراءهم ويحصّونهم بالحجارة.

ولم يكن الصبان سلفياً كصنوه النصيف، حيث عُرف بتصوفه "البلدي" البسيط الناقد لمظاهر الدروشة والغلو الطريقي.

يقول عمر عبدالجبار عن الصبان، إنه التقاه مرة "عند بئرزمزم بجبته القصيرة وعمته البيضاء ومسواكه الطويل متأبطاً محفظته وسجاده ويده مسبحة المثوية الطويلة وكان من طلاب الشيخ محمديوسف خياط فنشأ صالحاً تقيّاً متصوّفاً"⁽³⁴⁾ ومن ناحيته يُعدّد الشاعر الثائر محمد حسن عواد، في إضمامة أدب الحجاز (صدرت عام 1925م)، صفات

(33) مغربي، مصدر سابق ص323.

(34) عمر عبدالجبار، سير وتراجم ص159.

الحر العصري، من أبناء جيله، فيصفه بذلك "الشاب الذي لا تروّج عنده الخرافات الرشيدية ولا الترهات الشاذلية، ولا الألاعيب الرفاعية".

ويذكر شرف البركاتي- أحد قادة جيش الشريف الحسين في **الرحلة اليمانية** للقضاء على ثورة الإدريسي ضد الحكومة العثمانية المتحصّن في لواء عسير في 1911م، - مجموعة ملاحظات تؤكد سخريته من "الكرامات" الصوفية التي كان يلجأ لها الإدريسي (حفيد العلامة أحمد ابن إدريس) ويريد بها التأثير على عُربان تهامة وتطويعهم السياسي والعسكري، مستغلاً "اعتقادهم الصلاح والتقوى في سلفه وظنهم أنه على منوال آبائه ومما زادهم لأمره انقياداً وقوّاهم فيه اعتقاداً ما أظهره لهم من الألعاب التي حسبوها لبساطتهم كرامات، بل ظنّها الكثير منهم معجزات"⁽³⁵⁾ وذكر منها استخدامه صندوق الكهرباء المُحرّك للأعصاب عند المسّ، واستغلال جهل المحليين به، فحين تسري الكهرباء في أجسادهم، كانوا يصيحون من فرط بساطتهم "المدد يا إدريسي"، كما كان يستخدم النور المتصل بالتيار الكهربائي، وهو ذو لون أبيض بخلاف ضوء الغاز الذي يعهدونه، ليُفرر بهم ويوهمهم باتصال الوحي به.

ويذكر محمد علي مغربي، وهو شاب عصري، عمل سكرتيراً لزعيم الأدب الحديث في الحجاز محمد سرور الصبان (وزير المالية السعودي أيضاً) :

(35) شرف البركاتي، الرحلة اليمانية، ص 14.

"أدركت قبر السيدة حواء أم البشر بمدينة جدة في أوائل الأربعينات من القرن الهجري الماضي تتوسطه قبة عظيمة ومن أمام القبة وخلفها ممر طويل، ويدخل الناس والحجاج خاصة لزيارة أمنا حواء في الحجرة التي تعلوها هذه القبة وقد زينت هذه الحجرة بالسائتر، وأطلق فيها البخور ويتولى أحد المشائخ - وكان في ذلك العهد من بيت القاضي بجدة - إدخال الحجاج، وتلقينهم الدعاء للزيارة، ويتقاضى الشيخ المذكور من الزائرين النقود التي يدفعونها مكافأة له .

وحينما استولت الحكومة السعودية على الحجاز ودخل الملك عبدالعزيز مدينة جدة سنة 1344هـ / 1925م كان من أوائل الأعمال التي قامت بها الدولة السعودية هدم ما يسمى قبة حواء وقفل الزوايا المنسوبة إلى الطرق الصوفية وإبطال البدع التي كانت سائدة في ذلك الزمان، والتي كان يتقرب بها الناس كما يظنون إلى الله تعالى، ولقد سبق للدولة السعودية الأولى أن أزال قبة حواء ثم أعيد بناؤها في العهد العثماني في ولاية الحاج عثمان باشا القرملي الذي أسندت إليه ولاية الحجاز سنة 1257هـ/ 1841م وبقي في الولاية إلى سنة 1261هـ/ 1845م⁽³⁶⁾.

كانت ظاهرة الزوايا الصوفية في الحجاز، تجري في انسجام مع بقية مدن المشرق، حيث انتشرت الزوايا في القاهرة، دمشق، حلب، والقدس، وغيرها.. استمرت بها حتى مطلع القرن العشرين، حيث لعبت دوراً هاماً في تنظيم شؤون الناس.. لكنها أيضاً بدأت في الانحسار مع

(36) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز (3 / 138).

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

التحولات التي مسّت مجرى الثقافة السائدة وأخذتها نحو تبدل قيمي تبلور في شكل أجهزة الدولة الحديثة. وهو شكل وجد في أقتية التعليم النظامي، والصحافة، والأحزاب السياسية بديلاً لمؤسسات الطريقة والزوايا الصوفية.

كان الشاب المكي عقيل بن أحمد العطاس (مواليد عام 1903م)، يخضع للدروس التقليدية التي نشأ عليها أبناء جيله، ولكنه سيتسرب من درس العلامة السيّد [العارف بالله] عيدروس بن سالم البار، ليلتحق بمدرسة الفلاح الحديثة مع افتتاحها عام 1912م، ومضى يختلف إلى نادي الشيخ عبدالسلام كامل، وهي ندوة للشباب الحجازي الناهض كان يجتمع بها إبان الثورة العربية (1916-1918م) ليناقد قضايا الأدب الحديث والخطابة السياسية. وبدلاً من أن يترقى الشاب عقيل العطاس في مراتب طريقة السادة آل باعلوي، أصدر مجلته الخطيّة **الارتقاء**، وألحقها بمجلته **العصر الحديث**، التي كان يُحررها مع نخبة من ناشئة الأدب الحديث في الحجاز، يجهرون فيها بأراءهم المتحررة والعصرية ويعلنون رَغبات اللحاق بالنهضة المدنيّة الحديثة.

-عذابات الصوفية في العهد السعودي-

كان العهد السعودي في الحجاز، بمثابة عهد إبدال قيمي جذري، نتيجة اتباع الدولة السعودية المنهج السلفي ذي التعاليم الإصلاحية الصارمة، والمتصادمة في جوهرها مع المظاهر الصوفية والطرقية.

يقول الشيخ محمد العربي التبّاني: "وفي سنة دخول السعوديين لمكة المكرمة 1343هـ / الموافق 1924م رأيت عند الأشراف وأنا ذاهب الى المعلا رجلاً من أهل مكة خارجاً من المسعى من زقاق المليبارية الضيق قائلاً: اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد، وصادف نزوله جماعة من الغُطُفُط الى الحرم فالتفت اليه رئيسهم حيناً مشيراً اليه بعصاه قائلاً: (اذكروني ولا تعبدوني) أي (اذكروه ولا تعبدوه)، فبُهِت الرجل خائفاً منهم" (37) كان هناك شريف فاسي من أهل مكة يجلس عند مقام ابراهيم وكان يجلس إلى جانبه سعود العرافة من أعيان الإخوان، وكان إذا جاء ووجده قبله وصافحه ببشاشة واعتناء، وكان له ورد من الصلاة على النبي يقرؤه كل يوم، فلما تحقق أنه يصلي على النبي، أنكر عليه وقال لم لا تقرأ القرآن؟ فقال: إني أقرؤه في وقت غير هذا، فقال: ما أراك إلا تصلي على النبي، ومن يومها صار يقابله بفتور (38)

وقد فسح الاخوان للكتبيين في السنين الأولى من دخولهم الحجاز بجلب دلائل الخيرات غير المُهمَّش، فيما منعوا النسخة التي تحتوي على الهوامش. ثم منعوا جلبيه مهمَّشاً أو غير مهمَّش. وقد جلب منه الكُتبي المكِّي الشهير عبد الصمد فدا أربعمئة نسخة فألزموه بإرجاعها إلى مصر أو يتلفوها، فتركها لهم (39) وقد نشرت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إعلاناً بمكة حذرت فيه الناس من كتاب **دلائل الخيرات**. وفي سنة 1376هـ / 1956م نُشر في جريدة **البلاد السعودية**، تحذير مُبالغ في

(37) أبو حامد بن مرزوق، براءة الأشعرين، (1 / 179).

(38) أبو حامد بن مرزوق، مصدر سابق (1 / 180).

(39) أبو حامد بن مرزوق، مصدر سابق (1 / 180).

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

صياغته من **دلائل الخيرات** و"أنه أشد ضرراً على الأمة من كتب الزندقة والإلحاد وأن مؤلفه يهودي"⁽⁴⁰⁾ وبعد دخول مكة في العهد السعودي، في أكتوبر 1924م، جرت مناظرة بين كتلة علماء مكة وكتلة علماء نجد، في الأصول والفروع.. أرغم علماء مكة بعدها على إصدار بيان يُبطلون فيه "البدع" التي تُنافي التوحيد⁽⁴¹⁾.

وفي حدود عام 1928م، أمر رئيس هيئة مراقبة القضاء فضيلة الشيخ عبدالله بن الشيخ بحصر الزوايا التي بمكة، ثم دعا مشايخها بعد أن كان قد رتب لكل لزاوية رجلاً من أهل السلف، وقد حاول بعضهم مقاومة ذلك الإحلال، بذريعة تملكهم المباشر للزوايا، التي تلاصق دورهم فعلاً، وأنها ليست أوقافاً عامة.. ولكن ذلك لم يُجد نفعاً.

ومن ثم توجه الشيخ عبدالله بن حسن إلى المدينة المنورة يرافقه معاونه الشيخ محمد التركي ومحمد تقي الدين الهلالي، وانضم إليهم من المدينة الشيخ محمد عبدالرزاق المصري خطيب المسجد النبوي ومراقب الأمور الدينية فيه، للنظر في شؤونها الدينية ولتفقد دوائر الأوقاف والمعارف وغيرها، فقام بتنظيمها وترتيب كوادرها ووضع لجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نظاماً شرعياً يسيرون عليه. ثم التفت إلى مشائخ الطرائق، وكانوا قد تراجعوا في طقوسهم العلنية بالمسجد النبوي، بعد أن مُنعوا من ذلك وأُمرُوا أن يذكروا الله في أنفسهم تضرعاً.

(40) أبوحامد بن مرزوق، مصدر سابق (1 / 181)

(41) بيان علماء مكة، ومنهم محمد حبيب الله الشنقيطي، وعمر باجنيد، ودرويش عجمي، وأحمد النجار، وجمال المالكي، وحسين مالكي، وعبدالرحمن زواوي، وآخرون. (المصدر من: دعوة الشيخ ومناصروه، ص 38 - 40).

كانت أغلب الطرق قد تركت الاجتماع العلني إلا التيجانيين، فإنهم نقلوا وظيفتهم من المسجد إلى الزاوية وهو قصر بباب المجيدي، اشتروه بـ 140 ألف فرنك، تبرع بها أحد أثرياء الجزائر.

واستدعى الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، شيخ الطريقة التيجانية بالمدينة، الشيخ ألفا هاشم⁽⁴²⁾، وهو ابن أخ الحاج عمر الفوتي أحد أركان الطريقة، ودارت بينهما مناظرة نقلها الشيخ محمد تقي الدين الهلالي. وطلب آل الشيخ من ألفا هاشم التراجع عن أداء طقوس طريقته التيجانية⁽⁴³⁾، والتعهد كتابياً بإنكاره لعقائد طريقته في صحيفة، فطلب ألفا هاشم مهلة طالت عن ثلاثة أشهر بين التسويف والمراوغة والمماطلة، حتى إنه أشتكى عليه إلى أمير المدينة⁽⁴⁴⁾.

وفي أكتوبر 1926م، وصل فضيلة الشيخ عبدالظاهر أبوالسمح الحجاز، فعين إماماً وخطيباً بالمسجد الحرام. وكان به أئمة كثيرون، فألغوا جميعاً، ونُصّب وحده - وكان من أهل السلف. وكان أبوالسمح يخطب ارتجالاً حسب الأحوال والظروف، ومضى على ذلك قريباً من عام، ثم جاء الأمر من الملك بالتزام ديوان شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب⁽⁴⁵⁾.

(42) العلامة ألفا هاشم بن أحمد سعيد الفوتي (1865 - 1931م)، من مواليد السودان هاجر إلى الحجاز عام 1906م، كان زعيماً للتكارة في المدينة المنورة، وشيخ متبوع للطريقة التيجانية فيها، تخرّج على يده من أهل الحجاز: الشيخ حسن المشاط، والزعيم حسين باسلامة.

(43) وتتطوي طريقة التيجانية، على أوراد من ضرب: "اللهم صل وسلم على عين الحق"، "عين ذاتك العلية"، ووصف النبي بالأسقم وغير ذلك.

(44) محمد تقي الهلالي، مجلة الشهاب، العدد 151.

(45) زكريا بيلا، الجواهر الحسان، (1 / 364).

واندلعت أزمة كبرى في المدينة المنورة حين طلب رهطٌ من علماء الحنبلية الكلاسيكية من السيد أحمد الشريف السنوسي، المُجاهد الليبي الشهير، الذي كان قد انتقل للمكوث بالمدينة المنورة منذ عام 1924م طلبوا منه التبرؤ من أورد السنوسية ومن كتابات السيد محمد المهدي السنوسي، وإعلان التوبة منها⁽⁴⁶⁾، وقد شقَّ على أحمد الشريف ذلك، وهو المُجاهد الإسلامي والسياسي العربي الكبير، والمرجع الديني العريض، فأعلن عن رفضه للامتنال للتعاليم الوهابية، فما كان من مشائخ الحنبلية إلا تكثيف الطلب من الملك عبدالعزيز بإخراجه من المملكة، ولكن الملك عبدالعزيز تباطأ في الامتنال لرغبتهم، حتى جاء حتف السيد السنوسي صبيحة يوم الجمعة 10 مارس 1933م، وهو بالزاوية السنوسية بالمدينة المنورة، فدُفن ببقيع الفرقد.

أما ذروة الجفوة فقد تصاعدت مع الاقصاء الرسمي الذي تعرض له السيد محمد علوي مالكي عشية قرار هيئة كبار العلماء الصادر عام 1981م، الذي جاء فيه: بنشر المالكي "للضلال والبدع والخرافات والدعوة إلى السوء والشرك والوثنية"، واعتبار الصوفية رديفاً للإلحاد⁽⁴⁷⁾.

(46) رواية فحيفه راشد الزبير السنوسي لمحمد سعيد القشاش، وقد أوردتها في كتاب ليبيون في الجزيرة العربية، ص155.

(47) قرار هيئة كبار العلماء المرقم 86 في 11/ 11/ 1401هـ في الدورة السادسة عشرة المنعقدة بالطائف في شوال عام 1400هـ. وجاء فيه: "نظر مجلس هيئة كبار العلماء فيما عرضه سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مما بلغه من أن لمحمد علوي مالكي نشاطاً كبيراً متزايداً في نشر البدع والخرافات، والدعوة إلى الضلال والوثنية، وأنه يؤلف الكتب ويتصل بالناس، ويقوم بالأسفار من أجل تلك الأمور، وأطلع على كتابه الذخائر المحمدية، وكتابه الصلوات الماثورة، وكتابه أدعية وصلوات وقد تبين للمجلس صحة ما ذكر من كون محمد علوي داعية سوء ويعمل على نشر الضلال والبدع وأن كتبه مملوءة بالخرافات والدعوة إلى الشرك والوثنية". و"رأى أن يعمل على إصلاح حاله وتوبته من أقواله، وأن يبذل له النصح ويبين له الحق [...] لمواجهة بما صدر منه من العبارات الإلحادية والصوفية".

-المدرسة المكيّة؛

المدرسة المكيّة، مُسمى اصطلاحى يقصد مجازاة بنية التعليم الدينى الكلاسيكى الموروث فى الحجاز.

كان العلم فى مكة مطلع القرن العشرين قد انتهى فى العقيدة عند لحظة الأشعري والماتريدي، وفى السلوك عند لحظة الغزالي. أما الطريقة فقد آلت إلى طريقتي السادة العلويّة، والسادة الخلوتيّة. وفيما انفتح الفقه على مذهبي المالكية والشافعية أولاً، ثم مذهب الحنفية ثانياً، ومن بعدهم الحنبلية، ظلت المدرسة المكيّة رهينة معرفة فقهية تقليدية فرقيّة ومذهبية، ومعرفة صوفية طرقية، اكتنفهما التمسك بقيم التقليد والاتباع وهيمنت عليهما طبائع السمع والطاعة، وادعى أهلها "تفوّقاً" على الآخرين، وانخرطوا فى (باراديغم) علمي يقتصر على: الوازع الدينى مع روافد علمية ضعيفة (كمبادئ الرياضيات والفلك).

وفى تفكيك خارطة الإجازات العلمية التي انتهت لدى المتأخرين من علماء الحجاز، نكتشف أن المدرسة المكيّة كانت فى صميمها مدرسة حديث شريف. يُعزى ذلك، لجهود ثلاثة علماء مكين مسندين نشطوا فى أثناء القرن السادس عشر الميلادى فى تحصيل الإجازات، إلى حد أنه ينتهي إليهم غالب أسانيد من بعدهم من العلماء فى الحجاز (وطائفة كبيرة من علماء اليمن ومصر والشام)؛ وهم حسن بن علي العجيمي المكيّ

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

(توفي عام 1701م)، وعبدالله بن سالم البصري المكي (توفي 1722م)،
وأحمد بن محمد النخلي المكي (توفي 1717م).

وتتوزع مكّونات المدرسة المكيّة على عدة مراتب.

في عام 1884م لاحظ هرورخرونيه: "كانت هوية أغلب مشائخ
مكة العلمية تتوزع على عدة مراتب: فهو شافعي المذهب الفقهي، أشعري
العقيدة، قادري الطريقة الصوفية"⁽⁴⁸⁾.

وفلسفة التصوف، في المدرسة المكيّة، تؤكد على الاشتغال بالفقه
أولاً، ثم التصوف ثانياً. بمعنى أن "مبناها العلم والعمل" - كما في تعبير
أحمد زيني دحلان. لذا يغلب على علماء مكة لقب فقهاء الشافعية أو
المالكية، لا أولياء الصوفية ومُرشدي الطرق. فهم شافعيّة (أو مالكيّة)
أولاً، ومن ثم يشتغلون بالأوراد والأذكار، ويتسلّكون الطريقة.

وأبلغ من يشرح فلسفة التصوّف بحسب المدرّسة المكية، هو
رئيس مدرّسيّ مكة بالقرن التاسع عشر أحمد زيني دحلان، الذي يقول:
إن "الطرق الموصلة إلى الله تعالى كثيرة.. كلها مبنية على الاستقامة
والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وتهذيب النفس بتزكيتها وتطهيرها
من الأخلاق الذميمة وتحليتها بالأخلاق الجميلة حتى تُشرق عليها الأنوار
وتتجلى لها الأسرار ... وذلك يحتاج بعد امتثال المأمورات واجتناب

(48) هرورخرونيه، مصدر سابق، ص 193.

المنهيات إلى كثرة العبادة والمجاهدات ومُخالفة النفس بترك الشهوات مع كثرة الذكر والفكر". على "أن أهل الطرق لهم كفاءات في تدريج السالكين بالأذكار والأفكار إلى أن يصلوا إلى مرتبة العارفين بالله". .. على أن "ذلك لا يكون إلا بملازمة شيخ مرشد ناصح صالح عارف بأمراض النفس ودسائسها وشعب الطريق وعوارضها، فيه روح السالك وينقله من حال إلى حال حتى يبلغ مراتب الكمال"⁽⁴⁹⁾.

في القرن السابع عشر كان كبار المتصوفين من علماء الحجاز: أحمد بن محمد القشاشي (توفي 1660م) وإبراهيم الكردي الكوراني (توفي 1691م)، قد لعبا دوراً تأسيسياً في مزج تعاليم الطرق الصوفيّة الهندية (مثل الشاطرية والنقشبندية)، بتعاليم الطرق الصوفيّة المصرية (عند مشائخهما زكريا الأنصاري وعبد الوهاب الشعراني)، وتجذيرها في التربة المكيّة والحجازية المحلية.

فيما كانت الطريقة المستحوذة على غالبية المشهد المكي منذ القرن الثامن عشر الميلادي (وإلى اليوم) هي مزيج بين الطريقتين العلويّة

(49) مرويات وإجازات أحمد بن زيني دحلان، مخطوط.

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

والخلوتيّة، كما أسّسها أحمد زيني دحلان، برأسماله الرمزي الكبير، التي هي عنده "أحسن الطرق التي استمر أهلها على الاستقامة"⁽⁵⁰⁾.

ويمكن تنزيل التيار الصوفي في الحجاز راهناً في مسارين اثنين.

هناك مسار الأهلين القدامى (المدرسة المكيّة): وهم رموز ورواد وورثة المدرسة المكيّة. وأبرز من يُمثلها مدرسة آل علوي مالكي، التي جمعت رايات كل الشيوخ القدامى، وفئات السادة آل باعلوي القدامى. وهي مدرسة تقتبس الغزالي، ومن ثم لا تتعصب لأي منهج طريقي، فهناك استعارات من العلويّة، والخلوتيّة والشاذليّة، والإدرسيّة. وهي مدرسة تُعلي من شأن الفقه، قبل التصوف، وتشرطه كمدخل للأخير.

وثمة تيار آخر، أقل حضوراً وتجذراً، يتشكل من المتأخرين، المتأثرين بالطرق التيجانية والشاذليّة، التي تريد استئناف نشاطها من جديد في التربة الحجازيّة، وهؤلاء يقدمون التصوف على الفقه. وهم على عكس تعاليم المدرسة المكيّة. ومن أبرز رموز هذا التيار الطريقي، الشيخ الحافظ النحوي [الموريتاني]، والعلماء الشناقطة.. وهي مغرية للشباب

(50) والطريقة العلويّة، كما يراها أحمد زيني دحلان: "مبناها على العلم والعمل على حسب ما شرحه الإمام حجة الإسلام الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين ... وعند هذه الطريق: الأذكار التي جمعها قطب الحقيقة والإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، في كتابه المسمى مفتاح السعادة". أما الطريقة الخلوتيّة، بحسب الدحلان: "مبناها أيضاً على العلم والعمل، أيضاً على ما شرحه الإمام حجة الإسلام الغزالي .. وقد قسّم أهل هذه الطريقة النفس باعتبار ترقّيها في المقامات إلى سبعة أقسام فقال النفس الأولى الأمّارة، والثانية اللوامة، والثالثة الملهمة، والرابعة المُطمئنة، والخامسة الراضية، والسادسة المرضيّة، والسابعة الكاملة" .. وجعلوا أذكّارا مُختلفة لكل مرتبة .. "وقد شرح طرف من ذلك العلامة الشرفاوي في كتابه المُسمى بربيع الفوائد في ترتيب صلوات الطريق والأوراد". (المصدر: مرويّات وإجازات أحمد بن زيني دحلان، مخطوط).

محمود عبدالغني صباغ

المُستعجلين لنتائج "الكرامات". وينكر رواد المدرسة المكيّة التقليدية على هذا التيار، مستعينين بمقولة الإمام مالك: "من تصوّف ولم يتفقّه فقد تزندق، ومن تفقّه ولم يتصوّف فقد تفسّق، ومن تفقّه وتصوّف فقد تحقّق"⁽⁵¹⁾.

- جينالوجيا المدرسة المكيّة :

- أحمد زيني دحلان (1816م-1886م) - أب المدرسة المكيّة :

هو الحافظ الفقيه، إمام الحرمين الشريفين، مفتي الشافعية وفقهه وشيخ علماء الحجاز ورئيس المدرسين⁽⁵²⁾ في عصره. لم يحلّ بينه وبين لقب مفتي مكة سوى مذهبيته التي لم تكن على المذهب الحنفي الرسمي. كان يُدرّس التفسير والحديث والفقه وأصوله والتصوّف. وقد درس وتخرج على يديه معظم علماء الحجاز في عصره، وكثير من علماء المسلمين درسوا أو أخذوا منه. كان دوره ريادياً كواسطة بين جيلين، وتأسيسياً في بعث التعليم المدرسيّ بشكل أكثر ازدهاراً في مكة. منه انبثق المشهد العلمي العريض في مكة المكرمة.

اشتهر بدرايته العظيمة بالتاريخ، حتى عدّه يوسف شاخ مؤرخ مكة الأول في القرن التاسع عشر. كان يُعد شخصية معرفية كبيرة، وحين

(51) مقولة الإمام مالك من حاشية العلامة علي المدوي على شرح الإمام الزرقاني على متن المزيه في الفقه المالكي. وشرح عين العلم وزين العلم للإمام ملا علي قاري.

(52) حين انتهى الدحلان من طباعة كتابه الفتوحات الإسلامية، قرّطه تلميذه عبدالحميد بن فردوس الأفغاني المكي:

أعني رئيس العلم في مكة .. مُفتي الأنام اللودعيّ الأريب

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

افتتحت أول مطبعة حديثة في مكة عام 1882م، [المطبعة الميرية]، تم تعيين الدحلان قيماً عليها. عُرف بنقده الشديد للوهابية⁽⁵³⁾ وميله إلى التصوّف.

الدحلان هو لحظة التقاء الطريقة العلوية الحضرية، بالطريقة الخلوتية المصرية⁽⁵⁴⁾ وقد قام بدور تأسيسي في "توطين" الطريقتين العلوية والخلوتية وبثهما بين أجيال مكة الصاعدة. هو أول شيخ محلي يخترق سلسلة الدم الحضرية في مكة، ويتلقف الطريقة العلوية، ويُنزّلها بدوره الزعاماتي إلى أعداد لا تُحصى من المكين على اختلافاتهم المذهبية والطرفية، واختلاف أصولهم العرقية - وهي طريقة علوية بنسختها المتداخلة مع الطريقة الخلوتية، التي تحصل عليها بدوره من تأثير السادة الدميّاطية الذين لعبوا أدواراً علمية هامة في فراغات الحرم المكي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي.

والدحلان هو عمدة الإسناد في التصوف بمكة على زمانه. فيه تجتمع روايات محمد حسين الحبشي (مفتي الشافعية بمكة المتوفى عام 1864م)، وعبدالرحمن بن علي السقاف، ومنهما إلى عبدالله بن علوي الحداد مع روايات عثمان الدميّاطي، ومنها إلى: الشيخ محمد الأمير

(53) له في ذلك: الدرر السنية في الرد على الوهابية.

(54) أخذ أحمد زيني دحلان الطريقة العلوية عن: محمد بن حسين الحبشي (مفتي الشافعية بمكة المتوفى عام 1864م)، وعن عبدالرحمن بن علي السقاف. والأول يروي عن عبدالله بن حسين باعلوي، والثاني يروي عن والده الحبيب علي بن عمر السقاف بسلسلة سند تتصل إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم. أما طريقة السادة الخلوتية فأخذها دحلان عن شيخه المباشر عثمان بن حسن الدميّاطي (جاء إلى مكة عام 1832م) وعن الشيخ أحمد الدميّاطي (مفتي الشافعية في مكة المتوفى عام 1853م)، وكلاهما أخذ عن الشيخ عبدالله الشرفاوي بسلسلة تتصل بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. (من مخطوط: مرويات وإجازات الدحلان).

محمود عبدالغني صباغ

الكبير المالكي، و[القطب] محمد بن سالم الحفني، ومحمد الشنواني،
وعبد الله الشرقاوي.

وقد ألف السيّد دحلان كتباً كثيرة في شتى فروع المعرفة وصلت
إلى نيف وعشرين مؤلفاً، كان أشهرها في التاريخ المكي. ومن مؤلفاته في
التصوف والسير:

- السيرة النبوية والآثار المحمدية / جزءان.
- بيان المقامات وكيفية السلوك.
- الأنوار السنية بفضائل ذرية خير البرية.
- النصائح الإيمانية للأمة المحمدية.
- رسالة جواز التوسل.
- تلخيص الرسالة القشيرية.

ومن أشهر ما يُروى عنه في الحديث: الأربعين النووية، وكتب
الحديث المشهورة للشيخ محمد سعيد سُنبل المكي.

ومن مشاهير تلاميذ أحمد زيني دحلان في مكة المكرمة، ممن
أصبح مفتياً، أو عالماً، أو إماماً، أو مُدرّساً بالمسجد الحرام: محمد سعيد
بابصيل (مفتي الشافعية بمكة)، الشيخ عبدالرحمن سراج (مفتي مكة
وشيوخ علمائها)، الشيخ محمد بسيوني، السيّد بكري شطا، السيّد حسين
الحبشي (مفتي الشافعية بمكة)، عباس بن صديق (مفتي الأحناف بمكة)،
محمد حسين المالكي (مفتي المالكية بمكة)، محمد سعيد يمانى، السيّد

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

أحمد زواوي، الشيخ عبدالقادر شمس، السيّد أحمد بن حسن عطّاس، عبدالقادر مشّاط، عبدالملك الفتني، أحمد بن أمين بيت المال، السيّد علوي السقاف (شيخ السادة بمكة)، عبدالله الرّيس، عبدالحميد قُدّس، صالح بافضل محمد صباغ، الشيخ أحمد العطار، عبدالرحمن عجيّمي، السيّد عثمان شطا، السيّد عمر شطا، علوي صالح بن عقيل، أحمد بن عبدالله بن جعفر فقيه، أحمد قنق، أحمد بافقيه الشافعي، حسن بن زهير المالكي، الشيخ حسن عرب، السيّد سالم العطاس، السيّد سلطان داغستاني، صالح كمال، سليمان العتيبي الحنفي عبدالحميد بن فردوس، عبدالرحمن جمال، عبدالقادر صابر، عبداللطيف عطية، عبدالله باروم، عبدالله الخضري، عبدالله زبير، عبدالملك داود، علي خرّاز، علي قُدّس، علي كمال، السيّد عمر عبدالله السقاف السيّد عمر العطاس، محمد نور الجبرتي، محمد حيوتي، محمد مكي كتيبي. وطبقة تلتهم لا تُحصى.

وقد وقفنا على إجازة بخط يد السيّد أحمد زيني دحلان، يمنح فيها إجازة كاملة للطريقتين العلويّة والخلوتيّة للإخوة عمر وعثمان وبكري شطا في 1282 هـ / الموافق 1865م، ومن ثم وقعنا على إجازات من الأخوين عمر وبكري لطبقة تالية متفرقة من بينها إجازة للشيخ حسن بن عبدالرحمن العجيّمي⁽⁵⁵⁾.

(55) مرويات وإجازات أحمد زيني دحلان، مخطوط.

-آباء موازون:-

-الشيخ رحمة الله بن خليل العثماني(1811-1890م)،

أسس مدرسة الصولتية بمكة المكرمة (عام 1876م) وهي أقدم مدرسة نظامية بالجزيرة العربية لا تزال قائمة إلى اليوم. وبخلاف تأسيسه للصولتية، أخرجت حصوته لتدريس الفقه الحنفي خلف المقام الحنفي صباحاً، حشد من أعلام مكة منهم: الشريف الحسين بن علي (ملك الحجاز)، أحمد أبو الخير مرداد (شيخ الأئمة والخطباء بالمسجد الحرام) الشيخ عبدالرحمن سراج (مفتي الأحناف)، أمين محمد مرداد، عبدالرحمن حسن عجيبي، عبدالله الغمري حسن عبدالقادر طيب، عبدالرحمن دهان، أسعد دهان، حسن كاظم، عبدالله أبو الخير مرداد، عبدالحميد بخش، حسن دحلان، محمد حسين خياط، عابد بن حسين مالكي، أحمد نجار، محمد حامد (مدير الفلاح) محمد سعيد بابصيل (مفتي الشافعية)، محمد سليمان حسب الله، عبدالله زاوي، محمد زين العابدين محمد صالح كمال، محمد علي كمال، درويش عجيبي، وبكر رفيع.

-الشيخ جمال عبدالله بن شيخ عمر الحنفي (غير

معروف - 1868م). الشهير بالشيخ جمال. مفتي مكة وشيخ علمائها. محدث وفقهه ومفسر. لم يكن أفقه منه في زمانه في الفقه المالكي. ولد بمكة ولزم الشيخ عبدالله سراج. له الفتاوي الجمالية، ورسالة في فضائل ليلة النصف من شعبان، ومناقب السادة البدرين،

**ومناقب عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، والمنهج الأعدل في
مناقب السيّد علي الأهدل...**

تخرّج على يده طبقة كاملة من علماء المسجد الحرام، مثل:
عبدالرحمن بن عبدالله سراج، عبدالله محمد صالح مرداد، الشيخ حسن
طيّب، عبدالملك الفتيني، عبدالرحمن عجمي، والشيخ عبدالقادر شمس.
-الشيخ محمد بن سليمان حسب الله الشافعي المكي (1828-1917م).
يُلقَّب بـ[الحبر العلام، والبحر الطمطم]. أحد روافد الطريقة الخلوتيّة في
الحجاز. اتصل بالشيخ عبدالغني الدميّاطي المكيّ، وعنه يروي عن الأمير
الكبير.

الطبقة التالية :

-السيّد حسين الحبشي (- 1912م). مفتي الشافعية في مكة،
وابن مفتيها العلامة محمد بن حسين بن أحمد الحبشي. تلميذ أحمد زيني
دحلان. كان يُدرّس أصول الفقه والحديث والتفسير والتصوّف. ويمنح
إجازات في ذلك، ومن تلاميذه الشيخ عبدالحميد قدّس المكيّ.

والحبشي يروي **عقد الجواهر الثمين** في أربعين حديثاً
من أحاديث الرسول عن السيّد أحمد بن عبدالله البار، عن العلامة
عبدالرحمن الكزبري (توفي 1806م)، عن العلامة أحمد بن عبيد العطار

محمود عبدالغني صباغ

(توفي 1813م)، عن إمام الحجاز اسماعيل العجلوني. وهو يُرادف الدحلان في هذا.

-قاضي القضاة عبدالرحمن عبدالله سراج (1833-

1896م). جمع منصبَي مفتي مكة وشيخ علمائها في عهد الشريف عبدالله أمير مكة. ينحدر من عائلة مكيّة عريقة تصدّرت العلم والإفتاء والتدريس والقضاء على المذهب الحنفي الرسمي في العهد العثماني⁽⁵⁶⁾ كان والده الشيخ عبدالله سراج شيخاً مكيّاً مرموقاً من الطبقة التي تلت أحمد زيني دحلان. أخذ عن الشيخ جمال شيخ (تلميذ والده)، وعن الشيخ أحمد زيني دحلان، وعن الشيخ رحمة الله الهندي، وأجازوه بسائر مروياته الخاصة والعامّة. له ولدان من علماء مكة: الشيخ محمد علي، والشيخ عبدالله. كان الطلاب يقصدونه من الهند وجاوا، واعتُبر مع أحمد زيني دحلان، ذروتي العلم في مكة في القرن التاسع عشر. من تلاميذه الشيخ أحمد النجار (قاضي الطائف) الشهير. نُفي إلى مصر من قبل الشريف عون الرفيق، وتوفي بالمنفى. وهو ملتصقٌ بتيار التصوّف، يروي **دلائل الخيرات** و**شوارق الأنوار** بسلسلة متصلة إلى مؤلفه [ولي الله] الجزولي، ومنه أُجيز **المشهد المكي**.

- العلامة السيّد أحمد بن حسن العطاس (1857-1916م).

صاحب الأوراد الكبرى. من أهل حضرموت. يرد ذكره هنا لرمزية تتلمذه

(56) وكانت الموائيل الحجازية التي تسنمت الإفتاء والإمامة والقضاء على المذهب الحنفي: آل مرداد، وآل القطبي، وآل بن صديق في مكة.

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

ومصاهرته للشيخ أحمد زيني دحلان. ويُعد لذلك ذروة توثيق أوأصر التمازج بين المدرستين المكيّة ومدرسة آل باعلوي الحضرية. كانت دفعات الطلاب الحضارم قد تقاطرت إلى مكة المكرمة وجدة منذ القرن السادس عشر الميلادي، حتى كان لهم نقيب للسادة في مكة، وحظوة كبرى مع الحكام، وخُصصت لهم مقبرة باسم حوطة السادة آل علوي في مقابر المعلاة⁽⁵⁷⁾. ولكن رمزية العطاس تأتي من لقائه ومصاهرته لزعيم المكيين المتقدمين في العصر الحديث أحمد زيني دحلان.

وُلد العطاس في حُرَيْضة بحضرموت، وأخذ من كبار مشائخها، ثم قصد الحجاز للحجّ وطلب العلم الشريف، فالتزم درس شيخ مكة الأكبر أحمد زيني دحلان، الذي زوّجه على بنت أخيه، حباً له، فسطع نجمه في سماء المشهد العلمي بمكة، وكان يُنِيب شيخه الدحلان في الدرس إذا بدا له عُذر، كما يُنِيبه في الصلاة. وكان أحمد زيني دحلان يقول له: "أنت خليفتي في مكة، وباليتمك مكاني"⁽⁵⁸⁾. وكان من مشائخه بمكة أيضاً السيّد محمد بن حسين الحبشي، مفتي الشافعية. ويُعرف العطاس في المدرسة المكية، في أسانيد أسيّاخها، بلقب "المُرشد الحبيب".

- السيّد بكري شطا (1850-1893م). زعيم مُعلمي التصوف

في مكة والمسجد الحرام. فقيه شافعي. من أبرز تلاميذ أحمد زيني دحلان وأهم من ترجم له في نفحة الرحمن في مناقب سيدنا ومولانا

(57) وكانت كبار العائلات المكيّة تملك حوطات باسمها في مقابر المعلاة. مثل حوطة بيت مرداد، وحوطة الطبريين،

وحوطة آل الميرغني، وحوطة الشيخ عبد الوهاب الفتني، وحوطة الشيخ محمد صالح الرّيس.

(58) عمر عبد الجبار، مصدر سابق، ص 70.

وأستاذنا وشيخنا المرحوم السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان. كان يُدرّس في الحرم المكيّ الأصليين والنحو والمنطق وصحيح البخاري والتصوّف والرسالة القشيرية ومنهاج العابدين وإحياء علوم الدين وحواشي أم البراهين وشروحها المتداولة.. ويدرّس الطريقة الخلوتية في داره. وهو صاحب الكتاب الشهير: **إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين**. ومن مؤلفاته في التصوّف: الشرح المسمى **كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء**، وعلى المنظومة المسماة هداية الأذكياء إلى طريقة الأولياء. من طلابه في مكة، ممن أصبحوا علماء بالمسجد الحرام؛ السيّد عمر العطاس، وأحد قنق الحنفي المكي، وجمال مالكي، ودرويش عجمي وصالح بافضل، وصالح سروجي، وعباس مالكي (جد محمد علوي مالكي)، وعبد الحميد قدّس، وعبد القادر منديلي، وعبد اللطيف البصري، وعبد الله أزهرى، وعبد الله صدقة دحلان (ابن أخت السيد بكري شطا) وعبد الله بن عثمان الحنفي المكيّ، وعبد الله لبنى، ومحمد مرزوقي أبوحسين، ومحمد الكنانى، ومحمد بن عبد العزيز المالكي، ونور اسماعيل منكابو الخالدي.

حاصل على إجازة في الطريقة الخلوتية من أحمد زيني دحلان منذ عام 1865م.. ويُعد امتداده الموضوعي.

وقد تحصّل بكري شطا على إجازة الطريقة العلوية من أحمد زيني دحلان وهو في سن الخامسة عشرة. ثم أخذها من الحبيب [العارف بالله] عيدروس بن عمر الحبشي الذي أعطاه إجازة شاملة كاملة مكتوبة بخط يده خصّها إلى كل من عمر وبكري أبناء محمد شطا "في سائر علوم

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

الأذكار النبوية والأحزاب السلفية في كل الأوراد المنسوبة إلى المشائخ الأمجاد كما أجازني بذلك عدة من العلماء الأعيان بأسانيدهم الثابتة القوية الحسان المتصلة بأرباب الأثبات في الأئمة الثقات فمن أشياخنا سيدي عمر بن عيدروس عليه رحمة الملك ... والشيخ الإمام ذو المعارف والعوارف والأسرار عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار والشيخ الإمام الحبر الرئيس إمام المقام ومفتي الشافعية على مذهب ابن إدريس محمد صالح الرئيس رضي الله عنهما". (بتوقيع عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي علوي في تاريخ الأربعاء عشرون من شوال عام 1306 هـ - الموافق 19 يونيو 1889 م)⁽⁵⁹⁾.

- السيد علوي بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف (1839-

1917 م). شيخ السادة العلوية بمكة. وُلد بها ونشأ وتربى في حجر مفتي الشافعية بمكة الحبيب السيد محمد الحبشي. درس على يد أحمد زيني دحلان ولازمه ملازمة تامة وأكثر قراءته عليه. لبس الخرقة من السيد أبي بكر بن عبد الله العطاس في 1882 بمكة، وولي منصب السادة العلوية بمكة في عام 1909. له مؤلفات عدة منها: الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة السادة الشافعية، وعلاج الأمراض الردية بشرح الوصية الحدادية، ورسالة في زيار قبر النبي المعظم.

(59) من مخطوط: إجازة عيدروس بن عمر الحبشي إلى عمر وأبي بكر بركري أبناء محمد شطا. وعيدروس الحبشي مؤلف بعنوان عقد اليواقيت الجوهريه وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادة العلوية. وهو يُلقب بقطب الواصلين وإمام المارفين الحبيب [المعارف بالله]. ومن أجازهم الطريقة في شيوخ الحجاز: بكرى وعمر شطا، محمد بافضل، وحسن عبد الرحمن المعجمي.

- الشيخ محمد علي بن حسين المالكي (1870-1948م). يُلقب

في المدرسة المكيّة بـ "خاتمة المُحقّقين". وهو عالم أصولي، تولى إفتاء السادة المالكية، بعد وفاة أخيه العلامة محمد عابد المالكي، كما تولى مشيخة دار العلوم الدينية عقب افتتاحها مباشرةً، وقد تخرج منه عدد كبير من الطلاب.. وهو زعيم حجازي معروف تقلد في عهد الحكومة العثمانية عضوية مجلس التمييز، ورئاسة مجالس التقارير الرسمية الأولى، وفي عهد الحكومة الهاشمية.

تولى منصب وزير المعارف، وعضوية مجلس الشيوخ، وعضوية مجلس شورى الخلافة، وعضوية مجلس التدقيقات. كان يُدرس صحيح مسلم، والنسائي، وصحيح البخاري، وسُنن أبي داود، وموطأ مالك وزاد المسلم بشرحه فتح المنعم، وتفسير الخازن، وابن كثير، وجمع الجوامع بشرح المحلّي في الأصول وجمع الجوامع بشرحه همع الهوامع في النحو للسيوطي، وشرح الجلال المحلي على جمع الجوامع في الأصول، ومنهاج الأصول للبيضاوي بشرح الإسنوي، وحاشية الشيخ بخيت المطيعي، والرسالة الولدية في آداب البحث والمناظرة، وتحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي المكي.

- الشيخ محمد سعيد يمانّي (1854-1935م). وُلد بمكة

وتتلمذ على أحمد زيني دحلان، وتلميذه بكري شطا كما أخذ عن أحمد بن حسن العطاس، وحسين بن محمد الحبشي المكي. أُجيز بالتدريس فتصدر له بالمسجد الحرام، كانت دروسه في التفسير. وكان يُدرّس شرح

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

الروض، والإقناع. وأبرز تلاميذهم: أبنائه صالح وحسن (وكان مُقرِّئه) ومحمد علي، وعبد الحميد الخطيب، وأحمد ناضرين، ومحمود زهدي، وغزالي محمد يوسف الخياط، وعلي بنجر، وأحمد قُستي، وصالح كلنن. له رحلة معروفة إلى اندونيسيا عام 1929م رافقه فيها أبناءه.

- الشيخ محمد سعيد بابصيل (1829-1912م). مفتي

الشافعية بمكة. كان مُعلما للطريقة العلوية والطريقة الخلوتيّة في مكة. قام بكتابه ردود على الشيخ محمد بن عبد الوهاب. له مؤلفات عديدة وتُدّرس كتبه في مجالس العلم المكيّة. كان يُدرّس تفسير الخطيب الشربيني. وهو من رموز الصوفيّة المركزيّة في مكة.

- الشيخ عبدالرحمن دهان (1866-1919م). عالم مكة في

عصره، والمنتهى إليه في وقته⁽⁶⁰⁾. أخذ عن الشيخ رحمة الله العثماني، أغلب العلوم، وأخذ التصوّف من الشيخ إسماعيل نواب، وتخرّج من مدرسة الصولتية. كان يعقد حلقة دراسية أمام باب السليمانية وكان دروسه في التفسير والحديث والفقه، كما كان يُدرّس بالصولتية. تخرّج علي يده أبرز علماء مكة المتأخرين: حسن المشاط، ومحمد العربي التّبّاني وحسن سعيد يمانني.

- العلّامة عُمر حمدان المحرسي (1876-1949م). من

المدينة المنورة. ويُعرف بِمُحدّث (وُمسند) الحرمين في عصره بلا منازع.

(60) والعبارة من صياغة تلميذه حسن المشاط في الثبت الكبير، ص 108.

محمود عبدالغني صباغ

كان يُدرّس الحديث في حصوته بين الصفا والمروة، وفي المدرسة الصولتية. رجل متصوّف زاهد، شديد البراءة، حدّ أنه كان يُوصف بطفل كبير. صاحب المُسلسلات الكبرى، التي ورّث أغلبها إلى محمد ياسين الفاداني.

كان يُدرّس: كتاب الصحاح الستة، وموطأ مالك، والجامع الصغير للإمام السيوطي مع شرحه فيض القدير للمُناوي، وبلوغ المرام في أدلة الأحكام، والشفاء في حقوق المصطفى، وجمع الزوائد للروداني، وكتاب الأشباه والنظائر في الفروع الفقهية للسيوطي، والمواهب اللدنية، والسيرة الحلبية.

له ميول سنوسية تأتت من اتصاله بالشريف أحمد بن محمد علي السنوسي بزواية أبي قبيس.

- الشيخ عمر باجنيد الشافعي المكيّ (- 1935 م). من

أخلص تلاميذ أحمد زيني دحلان، ومنه يتصل بالشنواني الشافعي في الحديث والطريقة الخلوتية. كان يُدرّس تفسير الجلالين، وفتح الوهاب شرح منهج الطلاب لذكرى الأنصاري، والافتاح شرح متن أبي شجاع في فقه الشافعية، وشرح ابن قاسم لمتن الغاية والتقريب، وروضة الطالبين للنووي، ومغني المحتاج للخطيب الشربيني، وحاشية العالمين قليوبي وعميرة على شرح المحلّي لمناهج النووي، وتحفة المحتاج، وجمع الجوامع في أصول الفقه، ومتممة الأجرومية في النحو، وابن عقيل، ويُدرّس في التصوّف كتاب

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

عوارف المعارف [للعارف بالله] الإمام السهروردي. كانت داره بباب الوداع عامرة بطلاب العلم وراغبى الإجازة.

الذروة - رواد باب الزيادة :

يُمكن - مجازاً- أن نحصر مصبّ علم المتقدمين في الحجاز في عالمين، يمثلان خطين متداخلين حد التماهي: الشيخ حسن المشاط، والسيد محمد العربي التباني. والمفارقة أن كليهما كان يُدرّس في برحة باب الزيادة، على حصوتين متقابلتين.

-الشيخ حسن بن محمد المشاط (1900-1979م). شيخ أصولي، وفقه مالكي، أحد كبار المدرسين بالحرم المكي، ورئيس المدرسين بالمدرسة الصولتية بمكة، ونائب رئيس المحكمة الشرعية الكبرى لفترة. أستاذه كان عالم مكة في زمانه، فضيلة الشيخ عبدالرحمن الدهان. أخذ إجازة في الحديث من ثلاثة عشر شيخاً من الحجاز، وآخرين من خارجها. يتصل بأحمد زيني دحلان عن طريق شيخه بكري شطا، ومحمد عابد المالكي. وأخذ من الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي أثبات محمد علي السنوسي: البدور الشارقة، في أثبات سادتنا المغاربة والمشاركة ومختصرها البدور السافرة، والمنهل الروي الرائق، وسوايغ الأيد في مرويات أبي زيد. له إنارة الدُجى في السيرة النبوية، وكتب أخرى في مصطلح الحديث. أخذ الإجازة في الحديث عن عمر بن حمدان المحرسي، وعبدالحى الكتاني، وألفاهاشم الفوتي، والشيخ عبدالقادر

محمود عبدالغني صباغ

شلبي وعلي الطيب، وغيرهم. وأخذ الطريقة الخلوتية من عمر باجنيد في 1935م⁽⁶¹⁾ كما أخذ الطريقة السنوسية من أحمد بن محمد السنوسي الذي التقاه مع الشيخ الطيب المراكشي في زاوية أبي قبيس⁽⁶²⁾.

كان يُدرّس في الفرائض: التحفة السنية، والفوائد الشنشورية. ويُدرّس في التصوّف: إحياء علوم الدين للغزالي وشرحه للحافظ السيّد محمد مرتضى الزبيدي، وحكم ابن عطاء السكندري.

كانت له جلسة معتادة من عصر كل يوم، يأتيه طلابه ومحبه فيستقبلهم في دكته أمام بيته في حي النزهة.

من تلاميذه الذين أعقبوه: زكريا بيلا (وكان له مجلس علم شهير بالعزيزية استمر حتى وفاته عام 1993م)، الدكتور عبد الوهاب أبوسليمان (أستاذ الفقه)، الدكتور محمد ابراهيم أحمد علي (أستاذ الفقه المقارن)، والدكتور قاسم الأهدل. ولتلميذه زكريا بن بيلا بدوره طلاب أبرزهم: أحمد علي أدماوي، السيّد حامد الكاف، محمد عثمان الكنوي، أحمد بلو، ومحمد عدنان بن حكمة الله. (

(61) حسن المشاط، الثبوت الكبير، ص 139.

(62) مصدر سابق، ص 198.

- السيد محمد العربي بن التبانى (1897 - 1970م)، شيخ مكّي شهير من أصل جزائري. وكل ما هو موجود في الحجاز اليوم، إنما يمتُّ بنسبٍ أصيل إلى العربي التّبّاني. لقد تصدر التبانى التدريس بالمسجد الحرام، وبمنزله، حتى أخذ منه علماء أعلام، كانوا هم وطلابهم الامتداد الذي انتهى عليه المشهد العلمي المكّي. كان الشيخ التّبّاني إلى جانب تلامذته -ويطلق عليهم أيضاً في الذاكرة الجمعية بالفرسان الثلاثة- هم الذين احتوا أكثر طلبة العلم في مكة: السيد علوي مالكي، والسيد محمد أمين كتبي، والشيخ محمد نور سيف.

كان التّبّاني يُدرّس في الحرم المكّي: موطأ الإمام مالك، والصحيحين، وسيرة ابن هشام، وعقود الجمان والإتقان في علوم القرآن للسيوطي. ترك أكثر من ثلاثة عشر مؤلفاً في التاريخ، والتفسير، والفقه المالكي والأدب.

وعلى الرغم من أنه من مواليد الجزائر، إلا أن شيوخه من الحجاز.

ارتحل من تونس إلى المدينة المنورة قبيل الحرب العالمية الأولى، فدرس على العلامة أحمد بن محمد خيرات الشنقيطي، ولازم دروس شيخ المدينة الأكبر المحقق حمدان بن أحمد الونيسي، والعلامة المحقق عبدالعزيز الوزير التونسي، الذي أخذ منه الفقه المالكي. ثم بعد أن خرج من المدينة في السفر برلك [هجرة أهل المدينة]، عاد إلى مكة في أبريل

محمود عبدالغني صباغ

1918م، وأخذ من الشيخ المكي عبدالرحمن الدهان. وبدأ التدريس في مدارس الفلاح، مع إجازته للتدريس في الحرم.

ألّف كتاباً مرجعياً في علم الكلام وأصول الدين في عام 1967م هو **براءة الأشعريين من عقائد المخالفين**، نشره باسم مستعار [أبو حامد بن مرزوق]. وهوورد على عقيدة ابن تيمية عند الوهابيين. استعرض فيه التّباني عقائد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومُقلديه المتمثلة في ثلاث مسائل جوهرية هي: تشبّه الله سبحانه وتعالى بخلقه، توحيد الألوهية والربوبية، وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم، وتكفير المسلمين.. وفنّدها بالأدلة والبراهين بلغة اختلاف تحيد عن الإسفاف والتبخيس.

ويروي تلميذه محمد علوي مالكي، أن السلطات حين أرادت التعرف على مؤلف الكتاب عرفوا أنه الشيخ محمد العربي بن التّباني، فقاموا بإصدار أمر باعتقاله، ولكنه قبل صباح ذلك اليوم الموعود أسلم روحه لبارئها. دُفن الشيخ بمقبرة المعلاة، وقد أحاطته هالة من التوقير والتقدير، ظلت قائمة الى اليوم.

له ترجمة كتبها بنفسه في تصدير كتابه **اتحاف ذوي النجابة** مع تعليق لتلميذه محمد أمين كتبي. وعُرف عن الكتبي قوله: "من أراد أن يفتخر فليفتخر بشيخه التّباني".

الفرسان الثلاثة ،

من جبة الشيخ محمد العربي التباني خرج **الفرسان الثلاثة**:
محمد أمين كتيبي في النحو وشعر المديح (باب الزيادة)، علوي مالكي في
التفسير والفقه المالكي والتصوف (باب السلام)، ومحمد نور سيف في
الفقه والفقه المقارن والتفسير (باب العمرة). هم الذين احتووا أكثر طلبية
العلم مع شيخهم الشيخ محمد عربي التباني. ومنهم انبثقت أغلب المجالس
العلمية التي تستحوذ على المشهد العلمي الراهن بمكة والحجاز.

- السيد علوي بن عباس مالكي (1910-1971م). سليل

بيت المالكي الشهير، بمكة المكرمة، فوالده السيد عباس، وجده الشيخ
عبد العزيز، وأبو جده ومن فوقه كل واحد منهم عالم فاضل بالمسجد
الحرام. درس بالفلاح، ودرس بها منذ عام 1929م، وأجيز بالتدريس في
المسجد الحرام أيضاً في نفس السنة، وكان من أجل العلماء. أخذ من والده
الشيخ عباس المالكي، ومن محدث الحرمين الشيخ عمر حمدان المحرسي
ومن محمد حبيب الله الشنقيطي، ومحمد علي بن حسين المالكي، وجمال
مالكي، ومحمد العربي التباني. وقد ذكر مشائخه وترجم له وذكر أسانيد
ابنه محمد علوي مالكي في كتاب **العقود اللؤلؤية بالأسانيد العلوية**
وإتحاف ذوي الهمم العلية. كان شخصية مُعتبرة، اشترك في عدة
عضويات رسمية، وترك مجموعة من المؤلفات.

كان يُدرّس: الأجرومية، وشرح ابن عقيل على الألفية، ولب الأصول، واللمع لأبي إسحق الشيرازي والتنوير في إسقاط التدبير.. وكان الأمين على أثبات كبار علماء الحجاز: الكوراني، والبصري والنخلي والفلاني، ومن خارجه: الشوكاني، والأمير.

- السيد محمد أمين كُتبي (1909-1983م). أبرز شعراء التصوّف والمديح في الحجاز الحديث. كان مُدرّساً مُعتمداً بالمسجد الحرام يعطي دروس النحو واللغة، كما كان له مجلس ذكر دائم ضحى كل جمعة بداره المجاورة للمدرسة الباسطية. كان من أعمدة تيار التصوّف في مكة والحجاز، وعد قيماً على شعر المديح النبوي، وهو القائل في أحد قصائده: **"أنا الأمين على مدح النبي إذا = نادى المنادي وقال المصطفى هات"**، وقد وضع الكُتبي في المديح النبوي مؤلّفين هما: **ديوان المحب الأمين في مديح سيد المرسلين، ونفح الطيب في مدح الحبيب.**

وحين تحوّل السيد محمد أمين كُتبي من داره في باب الباسطية مع مشروع توسعة الحرم، كان تحولاً خطيراً في حياته، فقد كان الشيخ لا يسלוه ولا يطيق البعد عنه ولا يمل الطواف حول الكعبة أو الجلوس إليها. فلما أبعد مرغماً إلى داره الجديدة في أجباد، انعكس ذلك على نفسه وجسمه، ثم أخذ الشيخ يبتعد عن الناس، ويختار حياة الزهد والعزلة، حتى اختار الانفراد المطلق، والاقتصار على العبادة والتلاوة، وقلما كان يسمح لأحد بزيارته.. ومشى على نظام انعزالي صارم، لا يزور المسجد إلا في الأوقات التي تقل فيها الحركة، ويختار من زواياه رُكناً لا يكاد يبين.

كان يخصّ الشيخ الزيني بويان بقصائده في مديح النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم، فيصدق بها الأخير في مجالس مكة.

- الشيخ محمد نور سيف بن هلال المكي (1906-1982م):

فقيه مالكي. كان من أساتذته من علماء الحجاز: محمد العربي التباني، والمُسند عمر حمدان المحرسي، والشيخ أحمد ناضرين، والشيخ علوي مالكي. وهو أحد الفرسان الثلاثة في مكة الذين خرجوا من جبة الشيخ التباني. تنقل بين مكة ودبي، وأخرج مئات الطلاب في المدينتين. افتتح درساً أسبوعياً في داره بمكة في أخريات سني عمره، في التفسير لكبار الطلبة.

طبقة المتأخرين: وهم امتداد خط العربي التباني والفرسان

الثلاثة.. نذكرهم لقرب عهدهم وتأثيرهم المباشر في مآلات المشهد المكي الراهن:

- الشيخ حسن بن محمد سعيد يمانى (1894-1971م). إمام

الفقه الشافعي في عصره بلامنازع. ولد بمكة، تلقى على والده ثم على نخبة من علماء مكة، والتحق بالمدرسة الصولتية وتخرج منها، ولازم الشيخ عبدالرحمن الدهان ملازمة تامة وتخرج على يديه، وأجيز بالتدريس في المسجد الحرام عام 1911م، فتصدر للتدريس بحصوة باب المسئلة. التف حوله عدد من طلاب العلم، وتخرج على يديه كثير من طلبة العلم في المسجد الحرام وفي منزله. ومن تتلمذ عليه محمد علوي مالكي، الذي لازمه أحد عشر عاماً قبيل وفاته. استجازه ما روى عن كبار علماء مكة، مثل

محمود عبدالغني صباغ

العلامة محمد سليمان حسب الله، وهو بروايته عنه يساوي السيد الدحلان. كما يروي عن الإمام [العارف بالله] أحمد بن حسن العطاس، ومفتي مكة الإمام حسين الحبشي، وفقه الشافعية ومفتيهم محمد سعيد بابصيل. وقد جمع له محمد علوي مالكي ثباً بشيوخه وروايته، وخرج أسانيده إلى كُتب الحديث. كما تتلمذ عليه: الحبيب سالم الشاطري، وابنه أحمد زكي يمانى⁽⁶³⁾ ومن تلاميذه الشيخ إبراهيم الشنقيطي المدني.

- الشيخ محمد ياسين الفاداني (1918-1990م). اجتمعت لديه الكثير من الأسانيد فكان هو "مسند العصر" و"مُحدث الحجاز"، وللfadاني أكثر من 400 شيخاً روى عنهم. منهم: محمد علي بن حسين بن إبراهيم المالكي، وقد طالت ملازمته له، وجمع له أسانيده في جزء سماه **المسلك الجلي في أسانيد فضيلة الشيخ محمد علي**، وضمّنه ترجمة موسعة للشيخ. وأخذ من المُحدّث عمر بن حمدان المحرسي، الذي جمعه ثباً ضخماً سماه **مطمح الوجدان من أسانيد عمر حمدان**، ثم اختصره في **إتحاف الإخوان**، وأخذ منه مُسلسلات الشيخ فالح بن محمد الظاهري المهنوي، ومُسلسلات الشيخ علي بن ظاهر الوتري المدني، ومُسلسلات عابد السندي، والمُسلسلات العشرة للخطابي السنوسي، ومُسلسلات الحبيب حسين الحبشي، والأمير الكبير ومُسلسلات عبد الباقي اللكنوي بأعمالها.

دَرَسَ الفرائض والتصوّف على الشيخ حسن مشاط. كما درس الفقه الشافعي على مفتي الشافعية بمكة عمر باجنيد. ولازم الشيخ محسن

(63) وزير البترول السعودي في ما بعد، وهو كان مُقرّنه في حصوته.

علي المساوي ملازمة تامة، وقرأ عليه الفقه الشافعي وأصول الفقه وجمع له في ترجمته وأسانيده **فيض المهيمن في ترجمة وأسانيد السيد محسن**. وقرأ على العلامة والمؤرخ عبد الله غازي المكّي، جملة وافرة من الأثبات، خاصة ثبتته الكبير **تنشيط الفؤاد من تذكّار علوم الإسناد**، والثبت الذي جمع فيه أسانيد شيخه الجبيب حسين الحبشي، المسمى **فتح القوي**. وتلقى عنه مسلسلات ابن عقيلة بأعمالها القولية والفعلية. وأخذ من علوي عباس المالكي الأثبات الكبرى، ومن محمد بن أمين الكتبي، ومن المقرئ الشهاب أحمد المخللاتي الشامي ثم المكّي، وقد جمع أسانيده وترجمته في مجلد سماه **الوصل الرّاتي في أسانيد وترجمة الشهاب أحمد المخللاتي**.

كان للفاداني همّة عليّة في جمع الأسانيد والمسلسلات، والحصول على علو الإسناد والإجازات. وكان صاحب عناية فائقة بفن الرواية تحصيلاً واستحضاراً وتحقيقاً. وله مؤلفات تزيد عن خمسين مؤلفاً. وقد ترك ثبناً ضخماً ترجم فيه لكل مشائخه بعنوان **"بغية المريد من علم الأسانيد"**.

وفي آخر حياته كان يذهب الى أندونيسيا ويجيز الطلاب فرداً فرداً، الطلاب يصطفون في صفوف طويلة وممتدة، في شكل مسرحي نادر وعجيب.

- الشيخ اسماعيل الزين (1933-1992م) . من فقهاء الشافعية

في مكة. من شيوخه في مكة: الشيخ محمد العربي التباني، والشيخ حسن مشاط، والشيخ يحيى أمان والشيخ حسن سعيد يماني، والعلامة الشيخ علي المالكي، والشيخ محمد أمين كتيبي. درّس بالصلوليتية منذ عام 1962م، في القسم الثانوي الديني والقسم العالي للتخصص لمدة ثلاث وعشرين سنة. وأقام مجلساً علمياً شهيراً بداره، كما سيأتي ذكره، وأجيز بالتدريس في الحرم المكي.

- الشيخ عبدالله سعيد اللحجي المكي (1924-1989م).

مفتي الشافعية بمكة في زمانه. من مشائخه رؤاد باب الزيادة: محمد العربي التباني، وحسن المشاط، والفرسان الثلاثة: السيّد علوي مالكي، ومحمد أمين كتيبي، ومحمد نور سيف. أبرز طلابه: السيّد محمد بن علوي المالكي، ومفتي دبي السيد أحمد عبدالعزيز الحداد. أجيز بالتدريس في المسجد الحرام، وكانت حصوته بين باب الندوة وباب الشامي. درّس بالصلوليتية زهاء ثلاث وعشرين عاماً. ترجم له تلميذه أحمد عبدالعزيز الحداد في نشوة الشجي في ترجمة شيخنا اللحجي، وترجم له السيّد محمد بن علوي مالكي، في مقدمة كتاب اللحجي مُنتهى السهول شرح غاية الوصول إلى شمائل الرسول (أربعة مجلدات).

- الشيخ محمد أمين مرداد المكي (1907-1990م) . آخر أئمة

المقام الحنفي. كانت حصوته للتدريس تقع بباب السلام. يُعد آخر روافد المذهب الحنفي في مكة المكرمة. هو سليل عائلة آل مرداد العريقة في البلد

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

الحرام، التي تسلسلت فيها مشيخة الخطباء والأئمة بالمسجد الحرام، كما اشتهر أفرادها بالعمل في القضاء والتدريس على المذهب الحنفي. منهم الشيخ عبدالله بن محمد صالح مرداد، شيخ الخطباء والأئمة (ت: 1855م)، وحفيده الشيخ عبدالله أحمد مرداد أبو الخير، مؤلف كتاب **نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة** (ت: 1924م)، والشيخ عبدالله بن عبد الرحمن مرداد، شيخ الخطباء والأئمة (ت: 1841م) وابنه الشيخ عبد المعطي مرداد، شيخ الخطباء والأئمة (ت: 1862م)، والمحدث عبد المعطي بن محمد بن محمد صالح مرداد (ت: 1845م)، والشيخ محمد صالح بن سليمان مرداد، إمام أمير مكة الشريف يحيى بن الشريف سرور (ت: 1864م)، والشيخ عبدالعزيز مرداد، شيخ الخطباء والأئمة في مكة (ت: 1859م)، والشيخ أمين بن محمد علي بن سليمان مرداد (ت: 1924م)، المدرّس بالمسجد الحرام.

ومن أشهر تلاميذه: السيّد علي البار، الشيخ عبدالله خياط (إمام المسجد الحرام)، علي خياط عبد الرحيم بسيوني، فضل البار، حس نبدي، محمد غفوري، سعيد مكّاوي، محمد زيني بويان محمد إبراهيم أحمد علي، وأخيراً عبدالعزيز عرفة.

كانت منازلهم الشهيرة بباب الدريّة. ولهم حوطة خاصة بالمائلة بمقابر المعلاة، كما أسس أحد أسلافهم المحدث عبد المعطي بن محمد بن محمد صالح مرداد، رباطاً شهيراً بحارة الباب.

المدّ الأخير.. القابضون على العلم المكي،

- السيد محمد علوي مالكي (1943-2004م). من اجتمعت له

كل رايات المشائخ المتقدمين في مكة والحجاز.

اعتبر في حياته ذروة العلم المكي، وخلاصته، والأمين عليه. مارس دوراً أشبه بالمرجعية العلمية لشتات المدرسة المكيّة خصوصاً بعد خفوت دور الحرم المكيّ العلمي، ورحيل أعلام الطبقة التي سبقته في سنوات متقاربة. كان أول من طوّر المجالس العلمية المكيّة بطريقة تشبه المعاهد النظامية. خلف مدرسة عريضة في الحجاز وخارجه، ومن أبرز تلاميذه الفاعلين اليوم: الحبيب علي الجفري وأحمد بن عبدالعزيز الحداد في الإمارات، والشيخ نبيل الغمري، وأسامة منسي، والشيخ فريد أبوزبيبة، وابن أخيه السيد علوي بن عباس مالكي، وابنه السيد أحمد بن محمد علوي مالكي في مكة، والسيد عبدالله فدعق في جدة، والشيخ حمزة يوسف هانسون في الولايات المتحدة الأمريكية.

منذ يفاعته كان نجماً صاعداً..سافر إلى الهند مبكراً دون العشرين من عمره، تلبية لدعوة الشيخ محمد علي زينل علي رضا في مقر إقامته التجارية ببومباي الذي طلب بانتداب من يكون فلاحياً ابن فلاح فيتم اختيار محمد بن علوي، وسيف الدين ابن الشيخ محمد نور سيف- وكلاهما فلاح ابن فلاح. ذهبا بالباخرة من ميناء جدة إلى الهند لمقابلة الشيخ محمد علي زينل، وقابلاه وجلسا عنده في قصره

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

المنيف بيومباي مدة شهرين.. وكان الشيخ يرغب أن يبقيا عنده لتعلّم اللغة الانجليزية واكتساب العلوم العصرية وخاطب والديهما في ذلك، ولكن الرد جاء بعدم الموافقة، فعاد المالكي ورفيقه إلى مكة، ومن ثم قصّد الهند مرة أخرى منفرداً للتعلّم في جامعة دار العلوم ديوبند الشهيرة، وأنهى دورة علمية في علوم الحديث لمدة خمسة أشهر، وألحقها برحلة لطلب العلم والمعرفة متنقلاً بين بومباي وحيدر آباد وديوبند وسهارنפור وكراتشي وأخذ عن جملة كبيرة من علماء تلك البلاد. والمالكي درّس في جامعة محمد علي السنوسي بليبيا، وفي جامعة الأزهر وهو دون العشرين.

كان المالكي شخصية مرموقة في المجتمع المكّي، بما شكّله من امتداد لقيمة والده الشيخ علوي في إحياء مجالس العلم بمكة. شارك محمد علوي بمحاضراته في المواسم الثقافية برابطة العالم الإسلامي، وكان رئيساً للجنة التحكيم الدولية لمسابقة القرآن الكريم بالمملكة عدة سنين (1401/1400/1399هـ) وفي عام 1970م عُيّن دكتوراً بجامعة أم القرى، وبعدها بعام تسلم مقعد والده للتدريس بالحرم بعيد وفاته قبل أن يصطدم بتيار الغلو بالمؤسسة الرسمية وتقع واقعة محنته الشهيرة.

اشتهر المالكي مُحدثاً، فأخرج العديد من الأثبات والفهارس، وتنتهي إليه غالبية الأسانيد العالية في مكة وفيه يصب 286 شيخاً أغلبهم من مكة. ومن كتبه في الحديث وأصوله: **عناية الأمة بالسنة، كشف الغمة، المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف.**

محمود عبدالغني صباغ

وللمالكي اهتمام كبير بالتصوّف وبسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله، ومن مؤلفاته في هذا: **محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل، تاريخ الحوادث النبوية، الذخائر المحمدية، مفاهيم يجب أن تصحح شفاء الفؤاد في زيارة خير العباد، وهو بالأفق الأعلى، القدوة الحسنة في منهج الدعوة ضرورة الرجوع إلى السنة النبوية .**

كما نشر عدداً من الأبحاث حول مشروعية الاحتفال بالمولد، كما قام بتحقيق وطبع عدد من الموالد منها مولد الشيخ علي القاري، ومولد ابن الديبع الشيباني.

وكان على طريقة الإمام أبي القاسم الجنيد في التربية والسلوك والتصوف، فشرح ووَضَح وصحح الكثير من المفاهيم الشائعة. وله كتاب **المختار من كلام الأخيار** في الرسالة القشيرية، وهو جمعٌ لكلام أهل القوم، وتأکید على منهج جمع الشريعة والطريقة، وتقديم الفقه على التصوف. والتصوف لدى المالكي هو التصوف الأخلاقي العملي، وليس التصوف الفلسفي.

وفي كتاب **أبواب الفرج** جمع محمد علوي مالكي، الأوراد الصوفيّة المكيّة في قالب مرجعي، لم يُسبق إليه في كتاب جامع للأوراد

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

والأذكار، بتحقيق يفرد ذكر الأدلة، وبيان كيفية تلك الأذكار والأدعية، وأسرار ترتيبها وأعدادها⁽⁶⁴⁾.

- الدكتور عبدالعزيز عرفة السليمانى (1955 - إلى الآن)،

شخصية علمية عالمية، يبرز أنياً كأحد أبرز ورثة المدرسة المكيّة، وهو مُزجى بمشارب مبرقشة تأت من ارتحاله الطويل إلى المغرب (شيخه في الحديث مغربي، وشيوخه في الفقه مكيون، و شيخه في الطريقة الصوفية سوداني). ينتمي تاريخياً لعائلة مكيّة التزمت بالمذهبيّة الحنفيّة، والطريقة القادرية، وقد أثبت الشيخ عرفة، بعد استقراره الأخير في الحجاز، أنه ما زال محافظاً على إرثه المكي، بالرغم من غربته الطويلة.

هو حامل لواء السادة الغمارية التي تلقّفها من يد العالمين الكبيرين؛ عبدالعزيز الغماري والسيد عبدالله الغماري، وقد وصل لمرحلة "الحافظ" (يحفظ أكثر من مائة ألف حديث). وهو متخصص في مصطلح الحديث، وإن كان لا يميل إلى التقليد المذهبي. له مجلس علمي في جدة، ودروس متفرقة في عدد من المجالس بمكة وجدة، كما يُدرّس بالمدرسة الصولتية. ألف أكثر من أربعين كتاباً في الجرح والتعديل والحديث والفقه. له أتباع كثر في السودان، حيث مقر شيوخ الطريقة في السودان.. وينافسه على لواء السادة الغمارية، السيد حسن السقاف (بالأردن).

(64) فهو يروي دعاء الفرج والرزق لأبي الحسن الشاذلي، ودعاء الفرج للرفاعي، وحزب النصر للإمام الشاذلي، وأدعية يس للحبيب عبدالله الحداد، ولسيدي أحمد بن إدريس، ودعاء ختم القرآن للإمام أحمد بن إدريس، ودعاء اللطف لسيدي أحمد بن إدريس، وأدعية اللطف السنوسية، وفوائد للإمام التيجاني، واستغفار جامع للإمام الحداد، والاستغفار الكبير للإمام أحمد بن إدريس، وأدعية جامعة واستغفارات للرفاعي، وأدعية التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، وصلاة الاستغاثة حسب الطريقة الإدريسية.

وكان قد لازم في مكة الشيخ محمد أمين مرّداد وقرأ عليه أكثر كتب الفقه الحنفي. وقد أجاز بالتدريس في الحرم ودرّس فيه الحديث وأصوله، ومن مشائخه بالحرم المكيّ الشيخ محمد نور سيف، الذي قرأ عليه **فتح المقيت**. ثم انتقل إلى امتداده من المشائخ: الشيخ ياسين الفاداني والشيخ عبدالله سعيد اللحجي، والشيخ اسماعيل الزين. كما قرأ على الشيخ محمد علوي مالكي بأمرم نالشيخ حسن مشاط. وكانت رحلته العلمية إلى طنجة صوب الزاوية الصديقيّة عند السادة الغمارية وقد انفرد المؤلف أنّه درّس على الكواكب الثلاثة عبدالله وعبد العزيز وعبدالحى تلامذة [البحر العميق] الحافظ أحمد بن الصديق، فدرس عليهم حتّى تمكّن من التذوّق العلمي في فن الحديث والأصول. كما درس التصوف على يد الشيخ عبدالله بن يوسف المكاشفي في السودان.

يعتبر نفسه أنه "ينتمي لمسلك العلماء في التصوف الشرعي ويكره انحرافات أدعياء التصوف الدخلاء الذين شوّوها سمعته ورونقه بالخرافات ومخالفة الشريعة".

هذه السلسلة من العلماء تنزل في هيكل تنظيمي تشد عَراه شبكة معرفية من إجازة وإسناد ورواية تربط فيما بينهم بشكل عضوي، بما يُشكل بنية مُستقلة (ومركزية إسلامية)، كما تفسح لهم المجال لتمثيل الامتداد الموضوعي لمركزيّة علماء العصر الوسيط.

كانت حصيلة المدرسة المكيّة الفقهية تُشكل المراجع الأساسية في النُظم القضائية والتدريسية بالحرمين وعموم الحجاز - قبل أن تتعرض بنيتها للإزاحة لأجل البنية الحنبلية الكلاسيكية - وانفراد الأخيرة بالسلطة الأيديولوجية الرسمية.

وكان يشرف على تسلسل المدرسة المكيّة هيئات تنظيمية وإشرافية؛ في عهد الدولة العثمانية كان أمر إجازة التدريس بالمسجد الحرام مناطاً بشيخ العلماء، حتى قامت مقامه هيئة مُنتخبة لإجازة التدريس بالمسجد الحرام، كان منها في لحظة من اللحظات: أحمد زيني دحلان وياسين الشامي ورحمة الله العثماني ومحمد صالح زاوي. ثم جاءت طبقة تلتهم تكونت من: محمد سعيد بابصيل، وعمر باجنيد، ومحمد سعيد يماني، وعبد الرحمن وأسعد دهّان.

كما لعبت الوظائف الرسمية في مكة دوراً في حفظ صدارة التمثيل لبنيتهم ومنح سلاسلهم أسباب الشرعية والاستمرارية والذبوع.

كان من الوظائف الرسمية المحصورة في مخرجات بنية المدرسة المكيّة: مفتي مكة، شيخ العلماء بالمسجد الحرام، شيخ الخطباء والأئمة، قاضي القضاة، مفتي الشافعية، مفتي الأحناف (وهو غالباً مفتي مكة أيضاً)، مفتي المالكية، مفتي الحنابلة، أئمة المقامات الأربعة، وشيخ السادة. كان تعيين مفتي الأحناف من اختصاص مفتي الدولة العثمانية

محمود عبدالغني صباغ

بالإستانة، فيما يجري تعيين مفتيي باقي المذاهب الفقهية من اختصاص الشريف المحلي.

- خارطة مجالس الذكروالمجالس العلمية بالحجاز عام 2011، تُعد هذه المجالس، التي تقوم على أساس المبادرة الأهلية الصرفة، الامتداد العضوي، والورث الشرعي للمدرسة المكيّة.. على مستوى البنية المعرفية والحصيلة الفقهية، والمناهج والمصادر، وسجّلات الاتصال والتراكم البشري، ومصبّات الإجازات المُتسلسلة، ومآلات الأسانيد العالية الخاصة بعلماء الحجاز المُتقدمين.

ويتنازع جناحان في مكة المكرمة راهناً صدارة التعليم المنتظم وفق مناهج المدرسة المكيّة؛ هنالك آل المالكي (المذهب المالكي)، وآل الزين (المذهب الشافعي).

1. مجلس آل المالكي: يعود إلى بيت المالكي العريق بمكة المكرمة، وهو قائمٌ منذ كان مقرّه الأصلي بباب السلام، ومن ثم في تنقله إلى النقا، والعتيبة، وأخيراً إلى مقره الأخير بحي الرصيفة. يديره راهناً السيّد أحمد بن محمد بن علوي بن عباس بن عبدالعزيز مالكي.

ومؤسسه في نسخته الحالية، هو الشيخ محمد علوي مالكي، الذي يُعد المؤسس الثاني للمدرسة المكيّة الحديثة، وأحد أبرز فُرسانها. حيث تلقف حالة التشظي والتشرذم والانقسام التي

كانت سائدة، ووحدتها في مجلس علمي تربوي له نظام وبرامج ومناهج ومُخرجات واضحة.

وينقسم الطلاب المنضمون إلى مجلس آل المالكي إلى: أبناء الأهالي من أهل مكة، والطلاب الداخلين: يأتون مبتعثين من أندونيسيا، وماليزيا، وتركيا، وحضرموت. يمكث فيها الطالب خمس سنوات، يتم إيواءه خلالها في سكن داخلي. ويرتبط بمجلس آل مالكي عدة معاهد تناهز الـ 45 معهداً متفرقة في جزائر الملايو وجاوه.

ومن أبرز طلاب السيد المالكي وأعيان مجلسه من المكيين: من الطبقة الأولى: عبدالله بصنوي سرور باسلوم، عربي مغربي، أحمد موسى، يوسف نشار، الدكتور عاصم حمدان، محمد نور قاري، أحمد عرفة، وعبدالحليم تركستاني. ومن الطبقة الوسيطة: السيد عبدالله فدعق، إبراهيم شعيب، محمد العيدروس، سمير برق، نبيل غمري، عادل أبو العلا، محمود اسكندراني، محمد أمين مقصود، محمد أمين قاري، هاشم فلاتة، محمد بن هلال، الدكتور صبغة الله غلام، الدكتور محمد طاهر ولي، نبيل خوندنة. ومن الطبقة المتأخرة: محمد فريد أبوزبيبة، طارق مهيوب، سمير سبهاني، أسامة منسي، عدنان مالكي، معن الدباغ، حسين شعيب، أحمد جمل الليل، ميسر جمل الليل، أحمد الزغير، ومحمد أمين العطاس.

والقيّم على مجلس آل المالكي راهناً: السيد أحمد بن محمد علوي مالكي (التفسير)، ويعاونه مدرسون كانوا مُلازمين لوالده: مثل

السيد أيوب الأهدل (علم المنطق)، والسيد عيدروس العيدروس، والشيخ محمد فريد أبوزيبيبة. ويؤتمن القيم على هذا المجلس على أسانيد الراحل محمد علوي مالكي التي تصله بـ 122 شيخاً حجازياً في ثلاث طبقات بعد والده السيد علوي، وتصل إلى حوالي 405 سندا عالياً.

2. وثمة فرع آخر لبيت المالكي، بقيادة السيد علوي بن عباس بن علوي المالكي (ابن أخ السيد محمد علوي مالكي)، مقره بالسيتين. مُختص بتدريس الفقه المُقارن. وهو من أبرز المجالس العلمية بمكة راهناً.

3. مجلس آل زين: على المذهب الشافعي. هو الجناح الثاني في الحجم والمكانة في راهن مكة: موقعه أيضاً بحي الرصيفة (وقديماً في حارة المسفلة)، وهو امتداد لمجلس الشيخ الراحل اسماعيل بن عثمان زين. وهو مجلس حاشد يحضره عدد كبير من التلاميذ من أهل مكة ومن الطلبة الأندونيسيين المبتعثين. ويقود مجلس آل زين حالياً ابنه محمد بن إسماعيل الزين (من مواليد 1973م)، وهو حاصل على الدكتوراه من جامعة أم القرى بكلية الشريعة تخصص فقه وأصول الدين. ويعاونه مجموعة من طلاب أبيه كالشيخ أحمد جمهوري البنجري.

كان الشيخ الراحل إسماعيل الزين يُدرّس الرسالة القشيرية في التربية الروحية والتصوّف، وإحياء علوم الدين للغزالي في السلوك.

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

ومن مخرجات مجلس الشيخ إسماعيل الزين:

حسين بن راجح، الدكتور قاسم الأهدل، الشيخ صالح ناضرين،
الشيخ عبدالعزيز أكرام الدكتور فؤاد سندي، أحمد عبدالعزيز حداد
(مفتي دبي)، محمد علي يمان، صديق لشكر أحمد جمهوري بن
جري، عبد الله شافعي، الدكتور إبراهيم ركة، الدكتور عبد الله العبادي،
وداعة الله حسن الأهدل، والشيخ محمد فريد أبو زبيبة، والشيخ أحمد
بن بازاري (من علماء إندونيسيا) والشيخ محمد نور الدين مريو بن
جر (من علماء أندونيسيا)، وطيفور وفاء.

ومن المجالس في مكة:

4. مجلس آل البار: من أعرق المجالس العلمية في مكة، وإن خُفّت
دوره التربوي؛ وآل البار عائلة علمية مكية عريقة. يعود تاريخ
تأسيس المجلس إلى العشرينيات الميلادية من القرن الفائت
ويُعزى تأسيسه إلى السيّد عيدروس سالم البار (1873-1947م)،
وهو أمين عام "الكتب خانة" في عهد الشريف حسين⁽⁶⁵⁾، وأعقبه
في قيادة المجلس أخوه السيّد أبوبكر سالم البار (1884-1963م)
المدرّس بالمسجد الحرام برواق الباسطية وباب العتيق (وكان
يروى بالإجازة عن [المُرشد] أحمد بن حسن العطاس).. وعُرف
مجلس آل البار العلمي بالسبتية، والثلوثية، كما عُرف بـ "منتدى
السادة العلويين"، وكان مقرّه بدار السادة آل البار بجبل الكعبة،
ثم انتقل بانتقالهم إلى جرول خلف مسجد سيدي محمود، ثم

إلى حي الرصيفة، ومنه إلى المقر الحالي بساحة إسلام. وتناوب على احياءه: السيّد علي بن عيدروس البار، وعبدالله بن علي بن عيدروس البار، والسيّد فضل بن عيدروس البار، وبكري بن أبوبكر البار، وحسين عبدالقادر سالم البار، ونفّر من أصهارهم من آل زمزمي. ويشرف عليه حالياً السيّد علوي بن فضل البار، والسيّد عيدروس بن فضل البار. ويقتصر المجلس على قراءة كتب السادة آل باعلوي مثل **النصائح الدينية والوصايا الإيمانية** للسيّد عبدالله باعلوي الحداد، وعلى نشاط الذكر، وقد استحال إلى ما يُشبه نشاط الروحة.

5. مجلس [الحبيب] عمر بن حامد الجيلاني. فقيه شافعي، له مكانته العلمية الكبرى. ويُعد مجلسه بالحمراء (انتقل حالياً إلى حي السُّبْهاني) أحد أضخم المجالس العلمية القائمة في مكة المكرمة اليوم. يختلف إليه كثير من أبناء العوائل المكيّة العريقة والحضارم.

6. مجلس أبوبكر العطاس بن عبدالله الحبشي (من أبناء حضرموت النازحين إلى أرض الحجاز). مجلس مختصر، ورثه عن والده.

(65) وردت ترجمة مُفَصَّلة عن المَلّامة [العارف بالله] السيّد عيدروس بن سالم البار المكيّ لدى أبوبكر الحبشي في كتابه الدليل المُشير، ص 330 - 337، أوصل عدد مشايخه إلى تسعة وعشرين شيخاً، وقد ذكر أنه "حضر مجالسه العلمية، واستفدت الجَمّ من فوائده البهية واقتطفت كثيراً من ثماره الجنية، وطلبت منه الإجازة فأجازني في العشر الأواخر من رمضان سنة 1341هـ [1923م]..". ويروي السيّد عيدروس البار عن شيخه [العارف بالله] محمد معصوم بن عبدالرشيد الدهلوي المدني والشيخ عبدالغني بن أبي سعيد الدهلوي المدني وعن الشيخ صديق بن محمد صالح النهاوندي، عن الشريف [العارف بالله] محمد بن علي السنوسي، وعنه يتصل بعلماء الحجاز: عمر بن عبدالكريم العطار المكي، والشيخ عبدالحميد بن درويش العجمي. (مصدر السلسلة: النفحة المسكية في الأسانيد المتصلة بالأوائل السنبلية للشيخ محمد ياسين القاداني).

ومن المجالس المنبثقة عن مجلس آل مالكي، والتي لا تزال في طور التشكّل وتبلور الملامح:

7. مجلس السيّد نبيل الغُمري، (أم الجود) وهو أستاذ القراءات العشر والحديث، وأحد أبرز تلاميذ الشيخ الراحل محمد علوي المالكي، كتب **الأسوار المشرقة على مشيخة وأسانيد شيخ مكة** وهي ثلاثة مجلدات عن صاحب مُسند مكة السيد محمد علوي مالكي، نشرها بعد مرور سنة من رحيله. يحضر مجلسه جمعٌ غفير من الطلاب والمرتادين من شباب مكة والطلاب المجاورين. والشيخ الغمري عازف عن الظهور الإعلامي، متأسياً بطريقة بعض علماء مكة في أن "الظهور يكسر الظهور".
8. مجلس أسامة منسي، (الرصيفة) وهو من تلاميذ الشيخ محمد علوي مالكي، وهو إمام مسجد الشيخ علي أبو العلا، وأستاذ قراءات.
9. مجلس حامد بن علوي الكاف، (الخالدية). وهو من كبار تلاميذ الشيخ محمد ياسين الفاداني، ومن تلاميذ الشيخ زكريا بيلا.
10. درس الدكتور عبدالعزيز عرفة، وهو درس أسبوعي يتنقل بين منزل السيّد فؤاد أزهر ومنزل نايف أكبر... وهو درس في مصطلح الحديث.
11. وكذا دروس السيّد أحمد الرقيمي ودروس الشيخ علي جابر، ودروس الشيخ طارق سردار.

أشخاص اشتغلوا بالتعليم من دون مجالس تربوية. منخرطون في الحقل الأكاديمي-أو الإداري- بجامعة أم القرى، ويحملون مكانة وحظوة كُبرى:

- على رأسهم معالي الشيخ عبدالوهاب أبوسليمان (عضو هيئة كبار العلماء)، ويُروى عنه أنه قال: "إن محمد علوي مالكي كفانا -مشكوراً- مؤنة التربية والعمل على إخراج أجيال الطلاب". وهو خلاف تدريسه لتلاميذه المباشرين بالجامعة، يعمل على تقديم استشارات التحقيق، كما فعل مع علوي بن عباس مالكي، حين حقّق له رسالته في الفقه المقارن في البيع، وعلى تقديم الإجازات في الحديث بشكل ضيق ومحصور جداً، كما فعل مع الدكتور عاصم حمدان. وللدكتور أبوسليمان دور إحيائي للتراث والتاريخ المكي، وله في ذلك جهود تأليفية واضحة، ناهيك عن نشاطه التطوعي في إعادة فهرسة مكتبة المولد بسوق الليل، الذي يداوم عليه كل يوم اثنين، بمعاونة الدكتور عبدالله شاوش، وموقعه المركزي كاستشاري وباحث في موسوعة مكة المكرمة التي تشرف على إصدارها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ويديرها الدكتور عباس طاشكندي.
- الدكتور قاسم الأهدل (أستاذ الشريعة بجامعة أم القرى)، وهو أيضاً إمام مسجد الشيخ حسن مشاط في أم الجود ومن أبرز تلاميذ الشيخ حسن المشاط، لازم شيخه منذ كان في التاسعة من عمره طيلة عشرين عاماً. دَرَس بالأزهر، وكلية الشريعة بمكة.

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

- الدكتور محمد طاهر نور ولي (أستاذ الفقه والشريعة في جامعة أم القرى والأستاذ المساعد بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث).
- الدكتور صبغة الله غلام نبي.
- الدكتور فؤاد سندي. يُلقَّب بـ "شعراوي الحجاز" .. عالم لغوي، وناظم لشعر التصوف، مُلتصق بالمنظومة العلمية المكيّة، ومُلتصق بتيار التصوّف.

- نشاط المدرسة الصولتية العلمي،

الصولتية هي أول مدرسة نظامية بالجزيرة العربية (تأسست في مكة عام 1876م). تاريخياً لعبت دوراً محورياً في رحد الحركة العلمية بمكة المكرمة، إلى جانب دروس الحرم المكي، ومدارس الفلاح، ودار العلوم الشرعية. أما راهناً تتفرد المدرسة بمسار تقليدي، مُلحق بمنهج ضخم في سائر العلوم الشرعية من المراجع الأصلية. وتُدرس في الصولتية المذاهب السنية الأربعة على خلاف السائد الرسمي.. وهي بمثابة (أزهر) مُصغّر في مكة لطلاب المراحل قبل الجامعية. انتقل مقرّ المدرسة راهناً إلى حي الكعمية، بعد إزالة مقرها التاريخي بحارة الباب نتيجة التوسعة الأخيرة (2009م). ويديرها ويُشرف عليها السيّد ماجد رحمة الله، وهو أحد أحفاد مؤسسها الشيخ رحمة الله العثماني الحنفي المكي.

وإلى وقت قريب كان يُدرّس في الصولتية، أسماء لها ثقلها في المشهد العلمي، مثل: حسن المشاط (رئيس المدرسين)، ومحمد العربي

التبّاني، والمُحدّث عمر حمدان المحرسي، والسيد محمد أمين كُتبي وعبدالرحمن الدّهّان، ومحسن المساوي، وسالم شفي، وعيسى الرّوّاس، وهاشم عبدالله شطا. وأعقبتهم طبقة تالية، تكونت من: اسماعيل الزين، وعبدالله اللحجي (الذي درّس فيها زهاء ثلاث وعشرين عاماً حتى إنه وضع كتاباً اسمه **إيضاح القواعد الفقهية لطلاب المدرسة الصولتية**)، ومختار مخدوم، وزكريا بن عبدالله بيلا (ووضع كتاباً بعنوان **مجل تاريخ المدرسة الصولتية**). وجاءت الطبقة التي بعدها: السيد أحمد الرقيمي، وأيوب الأهدل. وحالياً يدرس فيها الشيخ عبدالعزيز عرفة، والسيد أحمد بن محمد علوي مالكي، والسيد عبدالله فدعق، والشيخ طارق سردار، والشيخ محمد مكّي الهندي، والشيخ محمد عوض منقش، ومحمد عدنان أمفنان.

المعل العلمي الآخر في مكة الذي تقاسم مع الصولتية، العرافة والريادة والصولة والمد العلمي، هو مدرسة الفلاح المكيّة⁽⁶⁶⁾، لكنها انحسرت عن أدوارها، وتحولت بشكل كامل لاقتباس المنهج الرسمي التابع لوزارة التعليم. ويقع مقرّها الحالي في ساحة إسلام، ويديرها الدكتور عبدالعزيز سرحان من أهل مكة.

وكان هناك مدرسة أخرى، في مكة، لعبت دوراً في رقد الحياة العلمية المكيّة، اسمها: دار العلوم الدينية. وكان شيخ المدرسين فيها:

(66) أسسها تاجر اللؤلؤ الحجازي: محمد علي زينل علي رضا في مكة المكرمة عام 1912م، بعد أن كان قد أسس فرعها الأول في جدة منذ عام 1905م.

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

العلامة محمد علي المالكي، ودرّس فيها القاضي المكّي ابراهيم داود فطاني. أسسها في 1935م، كل من: محمد ياسين الفاداني، والسيد محسن المساوي، وزير الفلّفلاني، وثلاثتهم كانوا مُدراء لها بالتعاقب، آخرهم محمد ياسين الفاداني.

ويقتصر نشاط التأليف والنشر والتوزيع لكتب التراث المكّي والعناوين المذهبية المختلفة وعناوين التسلّك الصوفي راهناً على (المكتبة المكّيّة) بالعزيزية.. التي أسسها غسان مظهر نويلاتي، في عام 1994م ويشاركه فيها حالياً السيّد سمير برقّة، ويحيى خوجة. ولقصة تأسيسها قصة شهيرة، تمثلت في رفض وزير الإعلام الأسبق علي الشاعر، التصريح لها باسم (المكّيّة)، قبل أن يوافق عليه فوراً، عقبه الوزير فؤاد فارسي. ومن إصدارات الدار الخارجة عن السائد: **عوارف المعارف** للسهروردي، وكتاب **المستخلص في تزكية الأنفس** لسعيد حوى.

مجالس الذكر القائمة في مكة مع مطلع عام 2011:

1. مجلس السيّد عباس بن علوي مالكي (الستين).. هو أبرز- وأعرق- المجالس المكّيّة القائمة والسيّد عباس يُلقّب بـ(مُنشد الحجاز)، وهو أبرز رواد فن الإنشاد والذكر والتصوف والمديح في الحجاز. يُتلى في مجلسه أورد من دلائل الخيرات، وفيه الصلاة على النبي، وإنشاد المجّسات على الطريقة المكّيّة التقليدية لقصائد المديح للبرعي، والبوصيري، ومحمد أمين كُتبي، وابن الفارض،

محمود عبدالغني صباغ

وعبدالغني النابلسي، والحبيشي، والشاطري، والحميدي، والبزار والدنجلوي، وسفينة الفلك.

2. مجلس السيّد حسن فدعق (الرصيفة)، وهو من أعرق مجالس الذكر في مكة. يُعقد كل أربعاء للأوراد والأدعية، وهو مجلس مكّي عريق، أقامه الشيخ حسن فدعق منذ عام 1924م ويُسمى بالـ(الروحة)، وكان يُعقد في حارة الباب بمكة المكرمة، ومن مؤسسيه أيضاً السيّد محمد بن عبدالله العيدروس، والشيخ عمر اليافعي، والشيخ زيني بويان المقرئ المكّي الشهير وكان من رواده أيضاً الشيخ عبدالله دردوم، إبراهيم مجلد، سالم باحشوان، عمر عديد عبدالكريم فلمبان، عبدالرحيم ملاه وغيرهم. ويديره راهناً أبنا السيد حسن فدعق؛ طه فدعق وعُمر فدعق.. ويعاونهما إخوانهم عثمان وأحمد وعلوي وإبراهيم.
3. مجلس السيد جعفر شيخ جمل الليل (الرصيفة).. ويديره حالياً ابنه اللواء محمد جمل الليل.
4. مجلس حُسني سابق (العُمرَة).
5. مجلس عبدالرحمن شلي (الستين).
6. مجلس زيني بويان (الششة).
7. مجلس محمد كلنتن (النوارية).
8. مجلس إبراهيم الصائغ (الستين).
9. مجلس ذاكر خوج (النزهة).
10. مجلس إبراهيم الأسطة (الستين)، ومن أبرز رواده الشيخ عبدالعزيز عرفة.

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

11. مجلس عبدالرحمن خوقير (الزاهر)، ترتفع فيه القصائد والمدائح والدانات يحييها المنشد محمد ملا.

مجالس العلم وروحانيات الذكر في جدة مطلع عام 2011،

1. مجلس الحبيب عبدالقادر السقاف (1913-2010م). مفتى حضرموت سابقاً، استقر في جدة بعد مضايقات الاشتراكيين للنشاط الصوفي في سيئون. وافتتح مجلسه العلمي في جدة منذ عام 1971م، بحي النزلة الشرقية، يُدرّس فيه الحديث والتصوف والسير والأدب الظاهر والباطن. وقد تعرض المجلس لمضايقات هددت استمراره، حتى تحوّل لمجلس خاص للمُدرسة، ينوب فيه عنه أولاده بعيد رحيله. ومن أبرز مُخرجات المجلس: الحبيب أبوبكر العدني المشهور، الحبيب علي الجفري، الحبيب محمد عبدالرحمن السقاف.

كان الحبيب السقاف، يستحوذ على المشهد الصوفي في جدة حصراً منذ السبعينيات، وأتباعه وتلاميذه مزيج من الحضارم والأهالي. لعب الحبيب السقاف دوراً قيادياً، فكان يتنقل بين مجالس الأحباب، ومجالسهم في الحجاز متعددة. ولمدرسته امتدادات في ملايو: في كقرسيو جاكرتا والصولو وسوربايا وفاسروان.

ولمجلس السقاف مواسم واحتفالات للموالد الشريفة، سواء في مجلسه أو مجالس غيره في جدة وفي مكة المكرمة أو المدينة المنورة

أوفي الطائف. وقيمون في شهر رمضان "روحة" يومية تعقد في
فتاء البيت يقصدها جماعات بأعداد كبيرة للأخذ والاستمداد.
2. مجلس السيّد عبدالله فدعق (مجلس الروحة) .. فقيه شافعي،
وداعية إسلامي معروف. لازم شيخه محمد علوي مالكي طيلة
ثلاث سنوات وأخذ عنه الأسانيد العالية، كما لازم جده السيّد
حسن فدعق، الذي جعله يتصل بمشائخ الحجاز المتقدمين:
عيدروس البار، حسين الحبشي، ومحمد بابصيل، والشيخ عمر
حمدان المحرسي، والشيخ عمر باجنيد.
دشن مجلسه في جدة في عام 1998م، ويُعقد كل يوم أحد في مُجمّع
البيوتات السكني بحي الشاطئ، ويُدرّس فيه الفقه الشافعي،
والحديث، والسيرة النبوية، كما يقوم بدور إحيائي للمنظومة
العلمية الحجازية. يحضر مجلسه جمّع غفير من أبناء العوائل
المكيّة النازحة إلى جدة، كما يحضره جمّع كبير من الشباب
الحجازي المثقف والمحترف مهنيًا، ويتميّز بأنه أول المجالس التي
تتفتح بشكل دوري على جمهور مشترك من الرجال والنساء.
ومن أبرز طُلّاب السيّد الفدعق: هاشم حسين مراد رضا، ماجد
الشيبي، أحمد منسي، علاء عطار عبدالله كامل، رضا حريري،
عزت زيني، عبدالله جمبي، بدر رضوان، مروان ركن، محمد
عرب، ومحسن الشيباني.
يحضر في مجلسه الإنشاد عن طريق المنشد والمُقرئ على الطريقة
الحجازية: هاشم باروم.

- يبرز السيد عبدالله فدعق في استقطابه للشرائح الاجتماعية الصاعدة والمتعلمة والنخب، ويتميز بحضوره الإعلامي الواسع كداعية يملك حظوة تتخطى حدود الجغرافيا المحلية.
3. مجلس الشيخ عبدالله بن بيه (حي مشروع الأمير فواز). وزير العدل الموريتاني السابق، رئيس المركز العالمي للتجديد والترشيد، ونائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين خلف الشيخ القرضاوي، والمحاضر بجامعة الملك عبدالعزيز. له درس كل أربعاء يُطلق عليه "درس العلماء"، يحضره صفوة علماء الحجاز من أمثال الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، الدكتور عادل قوته الدكتور هاني عبد الشكور، الدكتور حسان فلمبان، الدكتور أحمد الزمزمي، والسيد عبدالله فدعق.. ويُدرس فيه فقه المعاملات.
4. مجلس الدكتور عبدالعزيز عرفة. وهو درسه ببيت التركستاني في جدة. ومن أبرز طلابه: صادق السنوسي، وموفق السنوسي، وغالي العطاس (وقد أخذ التحقيق منه)، ومجموعة من الطلاب البخارية، حيث يعمل عرفة مسؤولاً عن أوقاف البخارية في مكة. وللدكتور عرفة نشاط تدريسي مواز في جدة بسكن الجامعة لتدريس بعض أساتذة جامعة الملك عبدالعزيز.
5. مجلس الدكتور عمر عبدالله كامل (التحلية). وهو مجلس لتحضير الطلاب. والدكتور كامل مُتخصص في علم المنطق وعلم الرجال، وله إنتاج غزير في علم الكلام والمنطق والفرائض والسلوك. وهو من عائلة تجارية معروفة في الحجاز، يملك نفوذاً وتغللاً بين الطبقات التجارية والأسر الحجازية. يعينه في

- التدريس الشريف عبدالله فراج الشريف العبدلي، في تخصص أصول الفقه. ولكامل نزعة طُرقية مُعلنة في التسلك النقشبندي.
6. مجلس الدكتور هاشم مهدي (حي مشروع الأمير فواز).. وهو القيم على المجلس العلمي للمهندس عادل محمد فقيه.
7. مجلس عدنان بن علي بن [الحبيب] أحمد مشهور بن طه الحداد. يُدرس فيه الفقه الشافعي يومين في الأسبوع.
8. محمد عبدالرحمن السقاف. الحضرمي مولداً، الحجازي نشأة. أخذ العلم من الحبيب عبدالقادر السقاف، والحبيب أحمد مشهور الحداد، وأبو بكر العدني المشهور. له نشاط علمي دولي واسع. يشتهر أكثر بإقامته لعصريات طيلة شهر رمضان.
9. مجلس آل بترجي (صاري). يديره الدكتور فهد الخياط.
10. مجلس الأحدية. وهو مجلس مُتَنَقِّل بشكل دوري بين بيوت محمد عجاج وواصف أحمد فاضل كابلي، وعبدالملك نمكاني، ويوسف بشناق، وأحمد سمباوة - كان يعقد برئاسة للشيخ المكي الراحل: عبدالعزيز بن محمد خليل طيبة، وهو مستمر بدونه.
11. مجلس الشيخ عبدالقادر خرد. وهو من المجالس الممتدة منذ كان في مكة - أوقف أخيراً.
12. ثمة دروس فردية أيضاً للشريف أحمد العرضاوي، وللشيخ غسان القين، وهو من أهل القصيم أصلاً، ومن سُكان المدينة المنورة قبل انتقاله إلى جدة ومن تلاميذ الشيخ حسين أيوب.

13. مجموعة من الأهالي والأعيان يقيمون مواسم للذكر والسيرة النبوية والموالد النبوية، من أبرزهم: حامد فايز، أحمد زكي يمانى، صالح كامل، زكي مصطفى إدريس، محمد عبده يمانى (مجلس البدرية)، بيت الدباغ: مجموعة الطيّب الدباغ، ثم مجموعة عدنان الدباغ، بيت أبوزنادة ماجد طيّب، أجواد الفاسي، أحمد عقاد، الدكتور عاد لأبوالعلا، عبد الله باهيثم، عبد الحميد بشناق وعادل بخش - وغيرهم.

مجالس العلم وروحانيات الذكر في المدينة المنورة مطلع عام 2011 :

1. الحبيب زين بن ابراهيم بن سميط. فقيه شافعي، مجاور في المدينة المنورة منذ ما يزيد عن ثلاثة عقود. كان له درس شهير في مسجد قباء، ثم تعرض لتضييق شديد. تَوَسَّلَ له في الآونة الأخيرة الشيخ محمد عبده يمانى، وكفله لدى السلطات أمين العاصمة المقدسة السيّد أسامة بن فضل البار. يشغل بالدرس والذكر في مجالس متفرقة بالمدينة.
2. الشيخ خليل ملا خاطر، فقيه شافعي كبير، أصلاً من أهل الشام. وهو عالم سيرة نبوية متخصص في فضائل المدينة المنورة. كان من رُوّاد مجلس السيد محمد علي الحلبي للذكر بمقره بزقاق الطوال عند مرقد عبد الله بن عبد المطلب. يُدرس علم الحديث بجامعة طيبة. مقرّه الحالي بحي الأزهرى (النسيم) بالمدينة المنورة.

3. مجلس الشيخ محمد عوامة الحلبي، وهو من كبار المحدثين. لديه مركز خدمة السنة والسيرة النبوية لتحقيق كتب السيرة النبوية، مثل كتاب "إتحاف المهرة"، كما أسس مكتبا لتحقيق التراث الإسلامي، الذي يموله رجل الأعمال صالح كامل.
4. الشيخ ابراهيم الإبن. وهو مُحَدِّث، وعالم فقيه يعتمد المذهب المالكي. تجاوز التسعين عاما وقد انعزل عن المشهد العلمي قبل فترة وجيزة.
5. الشيخ محمد محمد المختار الشنقيطي (من مواليد 1966). من علماء المالكية في الحجاز. مُدَرِّس في الحرم النبوي، وعضو هيئة كبار العلماء في تشكيلته الأخيرة (2009-2-14م). تتلمذ على يد والده، المدرس بدوره بالمسجد النبوي، يعتمد مذهب المالكية في التقرير والتفريع. كانت له ثلاث مجالس يُقَرَأُ فيها الفقه، في جدة ومكة إلى جانب المدينة المنورة حيث يُدَرِّس كتاب **عمدة الأحكام**.

6. مجلس أبناء السيّد محمد صالح المحضار المدني، وكان والدهم الشيخ محمد صالح المحضار من علماء الحديث، ومن كبار مقيمي الموالد النبويّة بالمدينة المنورة. وجدُّهم لأُمهم هو الشيخ حسن الشاعر، شيخ المقرئين، ووالد [معالي الشيخ] علي الشاعر، وزير الاعلام السعودي الأسبق. لديهم درس كل رمضان في صحيح البخاري، بالحرم النبوي. ومجلسهم امتداد لموالد آل محضار وآل الشاعر الشهيرة في دورهم المتلاصقة بباب المجيدي،

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

- وكان والدهم يقيم موالد شهيرة خارج المدينة؛ في مكة (فندق الخوقير)، وفي الهدا بالطائف.
7. مجلس بيت الشقرون .. وهو التقاء الطريقتين الشاذلية المدنية، والرفاعية في المدينة المنورة.
8. الشيخ المحدث مالك بن العربي بن أحمد الشريف السنوسي.. يُعتبر مسندا في الحديث ويستقبل في داره طلاب الرواية بشكل دوري.
9. الشيخ عدنان السقاف. مُحدث ولديه إسناد عالي. وهو من تلاميذ [الحبيب] أبوبكر العدني المشهور.
10. حضرات عبدالعزيز بن عبدالرحمن كمكي. وهي امتداد لموالد والده عبدالرحمن كمكي الشهيرة منذ كانت تقام في فناء حوش المنّاع.
11. حضرات تقام في مجلس الشيخ عبدالعزيز المكوار.
12. حضرات تقام في منزل الشيخ عبدالوهاب بن إبراهيم فقيه، ببستان آل الفقيه.
13. حضرات بيت الميمني. يقيمها حالياً فريد بن عبدالستار الميمني، وأخوه يوسف، ومقرها بباب العوالي.
14. حضرات بيت أحمد غلام.
15. حضرات رضوان شيخ. امتداد لمجلس جده أحد علماء المدينة. مقرّها بالحرّة الشرقية.
16. مجلس أبناء محمود كظلي. وهم يتبعون الطريقة الشاذلية.

17. مجلس البدرية، ويشرف عليه أحمد الدبابش، ومقره عند بير جروان. وهو فرع لمجلس البدرية الذي كان قائماً في مكة حتى عهد قريب، وكان يشرف عليه في نسخته المكية، حسن عايش القرشي، وحامد فتّة.

18. ومن رموز الإنشاد الصوفي بالمدينة المنورة: عبدالله فرج الزامل (وهو رجل مُعمر) يحظى بشعبية جارفة، كانت والدته: سعيّدة أم خلف، سيدة تحظى بـ "كرامات" - كما في الوعي الشعبي.

-بقايا الطرق الصوفية في المدينة المنورة:

- الطريقة السّمّانية، التي انطلقت من المدينة المنورة منتصف القرن الثامن عشر الميلادي وامتدت الى العالم الإسلامي، كان آخر ظهور مُعتبر لها في وطنها مع قيّمها الشيخ محمد سعيد السّمّان المدني (1913-2006م)، وإن كان قد تلاه الشيخ عبدالقادر إبراهيم محمد زين سَمّان - وهو من وجهاء المدينة المنورة.

وكان قيّم النقشبندية في المدينة المنورة إلى عهد قريب الشيخ الخالدي - وتلميذه الشيخ منظور هندي انتقل إلى مكة، واستقر في حارة الفلق، وتلمذ على يده السيّد أمين عطاس والشيخ محمد عبده يمانى.

أما التيجانية، فشيخها كان محمد أبو الفيض إبراهيم، وهو سوداني الأصل، عمّر إلى فوق المائة، وتلاه أحمد سعد المجلّد.

- الطريقة الشاذلية، التي كانت ذات الشعبية الأكبر في ستينيات القرن الماضي بين عوائل المدينة المنورة كان قيّمها الشيخ يوسف باشلي، وكان شيخاً مهيباً استطاع أن يحفظ للطريقة وهجها واحترامها، وكان صاحب مواهب قيادية مكنته من ضبط حركة مجلسه الحافل حينها بشكل مسرحي عجيب. توفي في حدود عام 1964م.. وتلاه في الطريقة الشيخ محمد شقرون، والشيخ هاشم شقرون، والشيخ محمد علي خيمي وعبدالله مبروك. والطريقة الشاذلية تكاد أن تتلاشى إلا من تواجد رمزي في مجلس بيت الشقرون، الذي يديره محمد حفيد الشيخ هاشم شقرون.

- الطريقة الرفاعية، كان آخر قيّم مُعتبر لها السيّد حمزة الرفاعي، وأعقبه ابنه أحمد الرفاعي. وكان للرفاعية في المدينة المنورة، فرع آخر بقيادة الشيخ عبدالله الرفاعي، ثم أعقبه إبراهيم ولي، وهي "رفاعية أفريقية" .. كان مقر قراءتهم في رباط عزت باشا، ولهم قصائد مديح خاصة بهم مستمدة من ديوان **الوسائل المتقبلة** للفازاوي. وأغلب المنتمين إليها من فئة الـ "تكارنة" المستوطنين المدينة المنورة منذ عهد الدولة العثمانية. بيد أن الرفاعية الأفريقية التأمت مع الشاذلية المدنية في مجلس رفاعي واحد يقوم حالياً في مجلس بيت (شقرون). ومن المفارق أن يكون أغلب حافظي التراث المدني العريق من دلائل الخيرات والبردة الهمزية هم من أحفاد وأعقاب فئة "التكارنة".

وتقوم الطريقة العيساوية راهناً في المدينة المنورة لدى بيت أبو الذاكور، وهم من حاضرة المدينة المنورة من جذور مغاربية قديمة. أما الطريقة السنوسية، فثمة محاولات لإحيائها عبر الشيخ المحدث مالك العربي السنوسي، الذي يُعد شيخ الطريقة السنوسية بالمدينة المنورة.

-امتدادات المدرسة المكيّة حول العالم:

امتدت الروافد المكيّة كأزمة من الضوء لتنشط الحركة العلمية في أصقاع العالم الإسلامي. وانفردت المدرسة العلمية المكية بحزمة امتدادات عضوية توالى أصبح ظهورها في كل من أندونيسيا وحضرموت والإمارات العربية المتحدة.

كان كتاب مثل إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين للسيد بكري شطا (1850-1893م)، يُدرّس في لحظة واحدة بالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، وبالشرق الأقصى وحضرموت.

وحين عاد السيد أحمد حسن العطاس من مكة إلى حضرموت، وكان قد تتلمذ فيها على يد السيد أحمد زيني دحلان والسيد حسين الحبشي، قد ترك بدوره مدرسة عريضة من الأعلام الذين سيحضر في تكوينهم المعرفي المكي منذ تلك الوهلة، منهم: العلامة عبدالله بن علوي العطاس، والعلامة محمد بن عوض بافضل، والعلامة أحمد بن عبدالرحمن السقاف، والعلامة محمد بن عثمان بن يحيى العلوي والعلامة

المسبار

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

علوي بن طاهر الحداد، وأخيه العلامة عبد الله بن طاهر الحداد، والعلامة حسين بن أحمد الكاف، والعلامة عبد الله بن محمد بن عقيل العطاس، والعلامة حسن الكاف، والعلامة أحمد بن بكر بن سميط. كل هؤلاء خلفوا من بعدهم طبقات من العلماء والدعاة الذين اتصلوا بالأسانيد العالية في الحجاز⁽⁶⁷⁾.

وفي دار المصطفى للدراسات الإسلامية، بتريم، قاعدة مدرسة آل باعلوي بحضرموت، نلاحظ حضوراً كثيفاً للمناهج المكيّة في مقرر الدراسة المعتمد مثل كتاب **فيض الخبير شرح منظومة التفسير** للسيد علوي بن عباس مالكي وهو مكي، وفي الحديث كتاب الحبيب عمر بن حفيظ⁽⁶⁸⁾، بتأثير من شيخه الذي منحه الإجازة في الأسانيد، مُسند الحجاز محمد ياسين فاداني، وهو أيضاً مكي. أما في مصطلح الحديث فيُدْرَس كتاب **القواعد الأساسية في علم مصطلح الحديث** للسيد محمد بن علوي المالكي، وهو مكي والمنهل اللطيف للسيد محمد بن علوي المالكي. وفي العقيدة تدرس **منظومة العقيدة للعوام** للشيخ أحمد المرزوقي المالكي⁽⁶⁹⁾، وهو مكي.. وفي السيرة يدرس **تاريخ الحوادث والأحوال النبوية** للسيد محمد بن علوي المالكي.

(67) ومن تلاميذ العطاس المباشرين من المكّيّين: السيد عباس بن عبدالعزيز مالكي، والشيخ عمر باجنيد المكي. (68) [الحبيب]عمر بن محمد سالم بن حفيظ، هو مؤسس دار المصطفى للدراسات الإسلامية بتريم، منذ عام 1994م. مشايخه في الحجاز منذ مطلع الثمانينات كانوا: الإمام [العارف] الحبيب عبد القادر بن أحمد السقا، و[العارف] أحمد مشهور بن طه الحداد، و[العارف] أبو بكر العطاس بن عبد الله الحبشي، وأخذ الإجازة في الأسانيد عن مسند مكة الشيخ محمد يس الفاداني، ومحمد علوي المالكي وغيرهم (69) الشيخ أحمد المرزوقي المالكي المكي (1205 - 1864م) .. من أهل مكة، ومن آثاره: بلوغ المرام لبيان ألفاظ مولد سيد الأنعام (طبع في بولاق سنة 1286هـ. [1869م]).

وأسّس الشيخ محمد نور سيف بن هلال (1906-1982م)، مكانة معرفيّة مركزية في إمارة دبي، شكلت امتداداً متجذّراً للمدرسة المكيّة الأم. كان الشيخ محمد نور سيف، وهو أصلاً من دبي، قد نشأ في مكة وتعلّم كبقية أبناء جيله في حصوات الحرم المكي، وتخرّج من الفلاح المكيّة. كان الزعيم الحجازي المعروف، وتاجر اللؤلؤ الأكبر في زمانه الحاج محمد علي زينل علي رضا، مؤسس عقد مدارس الفلاح بالعالم الاسلامي، قد انتدبه لاستلام فرع مدرسة الفلاح في دبي التي افتتحها في عام 1928م، فظل بها زهاء عشرين عاماً. وفي نهاية عام 1948م، عاد الشيخ محمد نور سيف إلى مكة من جديد، فتعيّن معلماً بالفلاح المكيّة علاوة على قيامه بالتدريس بالحرم المكي، حيث بقي إلى أن توفّي بها عام 1982م. كان الشيخ محمد نور قد أسس في أحد روحاته إلى دبي أول معهد ديني بها في عام 1962م، وضع له منهاجاً مسائراً منهاج المدرسة المكيّة. ومن أبرز تلاميذ الشيخ محمد نور سيف، في الإمارات الشيخ أحمد حمد الشيباني [العجمي].

وقد تلقّف الراية منه في دبي ابنه الدكتور أحمد بن محمد نورسيف، المدير السابق لدارالبحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بإمارة دبي، الذي عمل على إخراج مشروع الفقه المالكي بالدليل، الذي اشترك في عضويته شيخ مكّي آخر هو الشيخ عبدالوهاب أبوسليمان عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية.

وكان للدكتور أحمد بن محمد نورسيف درس أسبوعي عامر في المسجد الحرام، حيث يُدرّس ألفية الزين العراقي في المصطلح بشرحها

فتح المغيث للسخاوي، ثم درس في بيته في مكة للطلاب المتخصصين، وأكثرهم من طلاب الدراسات العليا بجامعة أم القرى.

وظلت العلاقة بين المدرسة الرسمية في دبي وسليبي المدرسة المالكية جوهريّة ومُتداخلة. وحين عقدت دارالبحوث في دبي مؤتمرها العلمي الأول في مارس 2003م، بغرض إثراء المذهب المالكي شارك زهاء مائتين وخمسين عالماً ومفكراً من أقطار العالم الإسلامي، لكن الشيخ محمد علوي المالكي كان زعيم الحضور ودُرّته. كان قد ألقى ورقة شهيرة بعنوان: **الفقه المالكي وأحواله في ظل الفقه الحنبلي بمكة المكرمة في القرن الرابع عشر**، وهو آخر ما كتبه قبل رحيله، وعبر فيه عن جانب مهم من التاريخ المعاصر للمذهب المالكي في الحجاز.

كما ينشط الشيخ عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري، الشخصية النافذة في الأوقاف والشؤون الإسلامية في إمارة دبي، ومدير عام كلية الإمام مالك للشريعة والقانون، وله مجلس شهير في المديح والذكر، وقد درس الشيخ بن مانع الإجازة في الكتاب والسنة بجامعة أم القرى المالكية، وهو محدّث أخذ الأسانيد العالية من الشيخ محمد علوي مالكي.

أما مفتي دبي الحالي السيّد أحمد عبدالعزيز الحداد، فهو خريج -وابن- المدرسة المالكية.

استقر الحداد في مكة منذ عام 1975م، والتحق بالشيخ عبد الله سعيد اللحجي المكي، الذي رعاه تربيةً وتعليمًا ونفقةً. ودرس على يد الشيخ محمد نور سيف، واتصل بالشيخ حسن المشاط، وأخذ الإجازة من مُسند الحجاز محمد ياسين الفاداني، ودرس على يد السيّد محمد علوي مالكي، الذي بارك له جهوده في الإفتاء، والشيخ إسماعيل الزين. وكان قد التحق بالقسم الديني بالمدرسة الصولتية. حصل من جامعة أم القرى على درجات البكالوريوس والماجستير (1989م) والدكتوراة (عام 1993م)، وكانت رسالته في الدكتوراة عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة. وقد التحق بدائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بإمارة دبي- بدعوة من مديرها عيسى بن مانع.

كما يبرز في أبوظبي، الحبيب علي الجفري، وهو أحد الطلاب المباشرين للشيخ محمد علوي مالكي.. يتحلق حوله كتيبة من الأحباب آل باعلوي، ممن يحملون خلفية معرفية مختلطة يحضر فيها المكوّن المكي بشكل بارز.

وتأثر جنوب شرق آسيا بالتصوّف المكي منذ القرن السابع عشر، نتيجة جهود أفواج وطبقات الطلاب الأندونيسيين العائدين من مكة، حاملين لسلاسل وأعقاب الشيخ إبراهيم الكردي الكوراني في الطريقة الشاطرية [النقشبندية].

وفي القرن الثامن عشر، اكتسحت الطريقة السَّمانية (نسبةً لمحمد بن عبد الكريم السَّمان)، المشهد الجاوي. كانت السَّمانية أول طريقة تجد تقلباً شعبياً طاعياً في جنوب الشرق الأقصى. وكان عبد الصمد بالمبانغي هو من نقل السَّمانية إلى أندونيسيا، عن شيخه السَّمان الذي اتصل به في المدينة المنورة. أما تلامذة خليفة السَّمان؛ صديق عمر خان، فقد عملوا على ترسيخ السَّمانية في البنية الشرقية، تحديداً في جنوب جزيرة بورنيو، وباتافيا، وسامباوا، وجنوب جزيرة سيليبس [سولاوسي]، وشبه جزيرة ملاي. وقد اندمجت السَّمانية بالخلوتية، في طريقة فرعية كانت حصراً على العرقية البوقسية المحلية⁽⁷⁰⁾.

وارتفعت السَّمانية إلى أعلى مراتب الحركات الصوفية في البلاد، خصوصاً في إقليم سومطرة، حتى أن سلطان بالمبانغ (جنوب سومطرة) قد ساهم في تمويل بناء الزاوية السَّمانية في جدة، وفي تمويل نقل كتاب **حكايات الشيخ محمد السَّمان إلى اللغة الملايوية**⁽⁷¹⁾.

ومع دخول القرن التاسع عشر، انحسرت السَّمانية لصالح طريقتين استحوذتا على المشهد الجاوي بشكل كاسح، كلاهما للمفارقة، جاء من الحجاز أيضاً، ولكن من مكة المكرمة هذه المرة.

(70) برنسن. الطريقة الخلوتية في جنوب سيليبس، مصدر أجنبي.

(71) بواداكسي، ص 335 - 336. مصدر أجنبي.

أولاً: الطريقة الخالدية. عن طريق إسماعيل ميناانفكابو [منكابو] الخالدي⁽⁷²⁾، الذي قدم من سومطرة إلى مكة مع والده صغيراً فنشأ بها، وأخذ الطريقة النقشبندية من مفتي الشافعية في مكة الشيخ محمد سعيد قدسي ثم عاد إلى جاوا ونقل إليها الطريقة النقشبندية (فرع الخالدية) في منتصف القرن التاسع عشر وكانت قاعدته مقاطعة رياو بأندونيسيا وسنغافورة. وانتشرت زوايا الخالدية في كل أرجاء أندونيسيا، نتيجة لجهود الإرساليات المكيّة التي قادها أتباع الخالدية في مكة: سليمان القرمي، وسليمان زهدي⁽⁷³⁾، والشيخ علي رضا.

أما الطريقة الثانية، فهي الشاطرية التي مزجت بين النقشبندية والخلوتية - وأسسها الشيخ المكي أحمد الخطيب بمكة، وكانت قاعدته في سلطنة سامبوا، غرب كلمنتن، فيما انطلق إشعاعها على طول الأرخبيل الملايوي. وتعد اليوم القوة الأكبر تأثيراً في أندونيسيا الحديثة. كان أحمد الخطيب صاحب المكانة المركزية لطلاب أندونيسيا في مكة. وتمتعت طريقته بأتباع كثر كون طريقته رشّدت من غلواء طقوس الطريقة النقشبندية ومظاهرها الطرقية الحادة.

(72) إسماعيل منكابو: توفى بمكة في حدود 1868م ودُفن بالمعلاة. ترك عقبه ابنين عالمين: أزهرري (وله ابنان إسماعيل وسالم)، ومحمد نور وذريته تعيش في مكة إلى اليوم، وتعد عائلة (منكابو الخالدي) من بيوت مشايخ الجاوة القديمة في مكة، أصحاب ثروة وأوقاف وأملاك.

(73) سليمان بن حسن زهدي الخالدي النقشبندي المكي (توفي 1891م). تسلك في الطريقة النقشبندية في مكة على الشيخ الأريزيباني. كان يُدرّس الهندسة والفلك في الحرم المكي. توفى في مكة ودُفن بالمعلاة. وخلف عقبه ابن واحد هو علي تسلك بدوره في الطريقة النقشبندية الخالدية. (الترجمة من نشر النور والزهر، ص 207).

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

ولعبت الشاطرية أدواراً جوهرية ومعروفة في الجهاد المحلي ومقاومة الاستعمار، ابتداءً من عام 1888م في بنتن بجاوا.

والشيخ أحمد بن عبداللطيف بن عبدالله الخطيب (1860-1916م) .. هاجر جدّه عبدالله من الحجاز، بعد دخول آل سعود إلى مكة عام 1803م، إلى بلدة كوتكرغبجاوا، فعُيّن إماماً وخطيباً فيها، حتى صار يطلق عليه لقب (خطيب نكري)؛ أي خطيب البلدة، وترك أولاداً منهم عبداللطيف الذي أنجب أحمد الخطيب. وحين عاد الجد عبدالله إلى مكة للحج، احتفل أصدقاؤه وأقرانه المكيون بعودته وأقاموا له حفلات تكريم حضرها علماء مكة وأعيانها، فاشترى لأسرته منزلين بمكة وتركهما، وسافر إلى سومطرة، وقد عمّر بها إلى فوق المائة وترك ثلاثمائة حفيد.

أما أحمد الخطيب⁽⁷⁴⁾ فقد نشأ بدوره في مكة وتعلم القرآن واللغة الإنجليزية بها، كما درس الفقه والطريقة على يد السادة عمر شطا، وعثمان شطا، وبكري شطا. وقد تزوج لاحقاً من ابنة الثري المكي محمد صالح الكردي وهو أحد جلساء الشريف عون الرفيق، قبل أن يُعيّن مدرسا بالمسجد الحرام.. حيث كان يعقد درسه برحبة باب الزيادة - وكان يقصدها مئات الطلاب من أندونيسيا الذين يعودون إلى بلادهم للدعوة والتفرغ لنشر العلم - وكان من ثمرة تعليمه جهود تلاميذه الدكتور

(74) وأحمد الخطيب، هو والد عبدالملك أحمد الخطيب الذي كان رئيس تحرير جريدة القبلة المكية عام 1916م، وكان مُعتمد الشريف الحسين في مصر، ووالد الشيخ عبدالحميد أحمد الخطيب أحد أعضاء الحزب الحجازي الوطني ومؤسس جمعية الشبان الحجازيين في مصر، وصاحب كتاب الإمام العادل. وآل الخطيب في مكة من أعرق الأسر، وأثرى الأعيان مطلع القرن العشرين، ولا تزال سلالتهم حاضرة إلى اليوم بين مكة وجدة.

محمود عبدالغني صباغ

عبدالكريم أمرالله وهو زعيم حركة الإصلاح بسومطرا الوسطى، والحاج أحمد دحلان (غير أحمد زيني دحلان) وهو مؤسس الجمعية المحمدية في جاوا الوسطى⁽⁷⁵⁾.

ولأحمد الخطيب ستة وأربعون مؤلفاً لا تخلو منها مكتبة بأندونيسيا .. منها: **النفحات**؛ **حاشية الورقات**، **والجواهر النقية في الأعمال الجيبية**، **وتنبية الغافل بسلوك طريقة الأوائل** فيما يتعلق بطريقة النقشبندية .. ومن مؤلفاته بالجاوية الرياض الوردية في الفقه الشافعي وضوء السراج في كيفية المعراج، وفتح المبين لمن سلك طريق الواصلين، ومسلك الراغبين في طريقة سيد المرسلين، وقد أورد قائمة بمؤلفاته الستة والأربعين الكاملة عمر عبد الجبار في فهرسته الشهيرة: **سير وتراجم**⁽⁷⁶⁾.

كان خليفته بعد وفاته عبدالكريم البننتي، وعيّن مرشداً أعلى للطريقة الشاطرية في مكة. وكان من رموز الطريقة في أندونيسيا شخصيات نافذة مثل: كياي طلحة في سيبرون، وماديورسي كياي أحمد حسب الله.

ولعب مجموعة من المشائخ أدواراً مدرسية لافتة في تعزيز الاتصال بين مكة وجاوه.

(75) عمر عبد الجبار، مصدر سابق، 40.

(76) عمر عبد الجبار، مصدر سابق، 41 - 44.

الصوفية والمجالس العلمية في الحجاز الحديث

لا يمكن إغفال الشيخ داود بن عبد الله الفطاني الجاوي (ت: 1845م) صاحب الرحلة الطويلة إلى مكة والمدينة، وسجل شيوخه ممتلئ بمشاهير العلماء في عصره، وما يزال يلقي اهتمام الباحثين بسبب اهتمام حفيده بميراثه العلمي الذي وصل إلى مائة وواحد من الكتب في شتى فروع العلوم الشرعية، عثر على ستة وستين أصلاً منها حتى الآن؛ حيث أسس مطبعة خاصة بذلك في كوالالمبور سهلت على الباحثين مهمة مراجعة إرث الفطاني، وتتبع تلامذته الذين من بينهم علماء معروفون، حتى إن شهرته بلغت أن ينشر البعض كتباً باسمه لنشر كتبهم، وقد عقد مؤتمر لدراسة آثاره بولاية كلنتان لمدة يومين في عام 2002م.

ومن روافد الثقافة المكيّة في الشرق الأقصى، يبرز أيضاً الشيخ محمد بن عمر نووي الجاوي البننتي (1814 - 1898م)، وهو مُفسر متصوف، من فقهاء الشافعية. هاجر إلى مكة وعمره خمسة عشر عاماً وتوفي بالمدينة المنورة ودُفن بالبقيع. وكان يُعرف في جاوة بعالم الحجاز. له مصنفات كثيرة، منها **نور الظلام في شرح قصيدة عقيدة العوام** لأحمد المرزوقي، وفي التصوّف **مرقاة صعود التصديق في شرح سلم التوفيق** لابن طاهر. أخذ الروايات والإجازات في الحديث والطريقة، من أحمد زيني دحلان ومن شيخه أحمد الدميّاطي. كما درّس في مكة الشيخ عباس مالكي والشيخ إبراهيم البيجوري مفتي مصر. وله أكثر من ثلاثة وعشرين كتاباً بالملايوية.

ومع صعود الهوية الوطنية الحديثة مطلع القرن العشرين، فقدت الطُرق الصوفية، وهجها الاجتماعي ووظائفها السياسية، وبدأت في الأفول. وإن كان تيار من الطلاب الأندلسيين والماليزيين لايزالون يتقاطرون مُبتعثين من مقاطعات بلدانهم صوب مجالس العلم المكيّة خصوصاً لدى مجلسي آل مالكي، وآل الزين في مكة.

- هل (الصوفية) هوية تمايز حجازية؟

يعود صعود نجم الصوفية في فضاء السجلات الوطنية، لتقديمها كقطبيّة مُغايرة من قبل الفعاليات الداخلية، في خطاب مابعد سبتمبر 2001 وتلقف الإعلام الغربي لذلك الصدى وتحويله، عبر التكرار الناشئ من الاعتماد على ذات المصادر، إلى حقيقة نافذة في الوعي السياسي- الغربي لواقع التعددية الثقافية في السعودية.

كان صعود (الصوفية) كقطبيّة حجازية، تصطف جنباً لجنب مع القطبية السلفية الكلاسيكية الرسمية والكتلة الشيعية الجعفرية الأقلويّة المتواجدة بالمنطقة الشرقية، مسألة مُجحفة في حق الكتلة الحجازية - حتى وإن كان صعوداً مدفوعاً بالنوايا الحسنة.

لقد رفع كثير من رموز الحراك الحجازي، بعد سبتمبر 11، شعار "الصوفية" باستعجال. أرادوا استخدامه كطوق نجاة يلوذون به من غلواء

الصوفيّة والمجالس العلميّة في الحجاز الحديث

الأحادية السلفية على مستوى المؤسسة والوظائف الرسمية والمناهج وحركة النشر والإفتاء والدعوة والمرجعية الفقهية، ويضغطون به مقابل كسب إصلاحات سياسية وطنية أكثر شمولاً.

جرى ذلك دون الفطنة للمغالطة المعرفية والتاريخية الذي تجري من وراء اختزال الكتلة الحجازية في مرجعية دينية، ومن ثم اختزال تلك المرجعية الدينية في مكّون (الصوفية) وحده.

ولا تبرز الصوفية حاضراً كمركزية استقطاب، كونها تفتقر لمسوغات ومؤهلات صعودها كبنية مرجعية.

ليس ذلك تبرؤاً من الصوفية، أو تنازلاً يفرضه أي امتثال للدعوات الأيديولوجية المضادة التي تغلو وتوغل في تجريم السلوك الصوفي حد إظهاره كدليف للهرطقة والخرافة والبدعة الشريكية.

هذا الوعي المتأخر نسبياً بات يُرصد بكثافة لدى أغلب النخب الحجازية سواء كانت مدنية أو دينية تحتمه بداهة أن التصوف، يأتي كمكّون واحد من عدة مكّونات تحفل بها البنية الدينية الموروثة في الحجاز- التي تعلّي من شأن الفقه، دون أن تستبعد التصوف.

يقضي الإنصاف الاعتراف بكتلة مدنيّة في الحجاز أكثر تبلوراً وأوسع قاعدةً للبروز في قطبيات الحوار الوطني. لكن والحديث عن نمط

ديني مُتنوّع، يُراد بالحجاز تقديمه انسجماً مع دعوات إثراء التنوع في الخطاب الديني.. فالأدعى استدعاء النمط الأصيل في الحجاز... ألا وهو بنية المدرسة المكيّة - بكل حصيلتها وتراكمها المعرفي ومعالمها وتسلسلاتها وتنوعيّتها الجوهرية، المذكورة في هذه الدراسة لأ اختزال البنية الدينية الحجازية في تيار التصوف - الذي سيتنفس الصعداء كتحصيل حاصل بعد الاعتراف الرسمي بمرجعية دينية مكيّة كرافد مواز وشريك بالمؤسسة الدينية الرسمية.

- نماذج من تغطية الصحافة العالمية للصوفية الحجازية بعد الحادي عشر من سبتمبر؛

شكل النشاط المؤسسي والدعائي الواسع، الذي اضطلع به الدكتور سامي عنقاوي⁽⁷⁷⁾، كمُحدث عن التنوع المكيّ الزائل، والثقافة والآثار الحجازية التي كانت تتعرض لعملية مستمرة من الإزاحة التاريخية، مقدمة لانبعث أجددة شبه-منظمة لمطالب ثقافية بالحجاز، قدمت المكوّن

(77) الدكتور سامي محسن عنقاوي: من أبرز الشخصيات الحجازية المعاصرة. بروفيسور في هندسة العمارة، ومؤسس مركز أبحاث الحج في الثمانينات الميلادية، الذي عني بتوثيق التراث الحجازي ودراسة ظاهرة الحج بكل أبعادها وأغراضها الحضارية. كان لظهوره بعد الحادي عشر من سبتمبر كمُنّافح عن الثقافة الحجازية "المُهْمّشة"، بمثابة انبعث للخطاب الحجازي في السياقات الوطنية. وقد شكلت شخصيته الكاريزماتية، ومظهره التقليدي بالعمّة الفباني والحبّة المكيّة، ناهيك عن دارته (دار المكيّة) بطرازها العمراني المكيّ التقليدي بجدة، مدعاة لتعلق كثير من النخب والشباب من حوله، والانخراط معه في تدوير ومباركة نشاطه الاجتماعي (مُنْتدى المكيّة)، وحضوره الإعلامي المحلي والغربي.

الصوفي كأحد روافدها. وقد نشرت هنا نموذجان باكران في النيويورك تايمز مقالتين عنه⁽⁷⁸⁾.

أما ذروة صعود الصوفية بالحجاز كقطبية وطنية، تُقارع القطبية السلفية الكلاسيكية الرسمية، ومرجعية الأقلية الشيعية بالمنطقة الشرقية، في الخطاب الإعلامي الغربي، ما كتبه فاييزة أمبا، مُراسلة واشنطن بوست في جدة وقتها⁽⁷⁹⁾ وما كتبه ستيفن شوارتز في الويكلي ستاندردين الصوفية في الحجاز وعن مراسم التأبين الأسطورية التي رافقت وفاة رمز المدرسة المكية الكبير الشيخ محمد علوي مالكي⁽⁸⁰⁾.

Jidda Journal; Where the Prophet Trod, He Begs, Tread Lightly (78)

February 15, 2002 - By ELAINE SCIOLINO - New York Times

.A Movement in Saudi Arabia Pushes Toward an Islamic Ideal, and Frowns on the U.S

December 9, 2002 - By CRAIG S. SMITH - New York Times

In Saudi Arabia, a Resurgence of Sufism; Mystical Sect of Islam Finds Its Voice in More (79)

Tolerant Post-9/11 Era

.Faiza Saleh Ambah; the Washington Post; May 2, 2006

Getting to Know the Sufis (80)

Jan 28, 2005, Vol. 10, No. 20 • By STEPHEN SCHWARTZ

The Weekly Standard

المسبار

الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل

ياسر بن محمد باعامر(*)

شكّل منتصف أيار (مايو) 2003 منعطفا مهما في تاريخ الدولة السعودية الحديثة المرتبط بالعمليات المسلحة التي شنها "تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية"، على أهداف حيوية مدنية وعسكرية، وهو ما أعطى لأركان المؤسسة السياسية العليا إشارات مهمة، استلزمت في حينها بلورة أو إعادة ما يعرف "بتشكيلات الأمن الاجتماعي القومي السعودي"، وتدعيم روافته عبر خاصية الحوار المدني مع الآخر، ليصدر بعدها قرار حكومي رفيع المستوى وبأمر مباشر من العاهل السعودي الراحل الملك فهد بن عبد العزيز في 24 تموز (يوليو) 2003 بإنشاء مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، لتوفير البيئة الملائمة الداعمة للحوار بين كيانات المجتمع وفئاته، حاملة في جعبتها العديد من الأهداف، على رأسها تكريس الوحدة الوطنية في إطار العقيدة الإسلامية وتعميقها عن طريق الحوار الفكري الهادف⁽¹⁾.

(*) باحث وصحفي سياسي.

(1) المنشورات الرسمية لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.

الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل

تهدف الدراسة إلى توصيف واقع الصوفية التطبيقي⁽²⁾، ومساراتها الداخلية، وعلاقاتها البيئية في المملكة العربية السعودية، ورموزها، وأثرها التمكيني، وسيناريوهات واقعها المستقبلي في ظل غياب رموزها المؤثرين.

وواجهت الدراسة صعوبات عديدة تتمثل في : ندرة المراجع العلمية والدراسات التي تتحدث عن هذه القضية، بشكل تفصيلي بعيد عن "الصبغة الإيديولوجية"، بالإضافة إلى إشكالية أخرى تضاف ضمن قائمة "إشكاليات الدراسة"، تتعلق برغبة العديد من المصادر من "مختلف الأطياف" في عدم الإشارة إلى أسمائهم الصريحة، نظراً لحساسية الطرح الموضوعي لمثل هذه القضية، حيث لم يوافق على نشر أسمائهم سوى القليل، وهذا ما سبب عبثاً على الكاتب في نسب بعض المعلومات إلى أشخاصها.

ويمكن اعتبار دراستين (دراسات سابقة) تم الاعتماد عليهما في الدراسة : الأولى تعود لمؤسسة راند الأمريكية بعنوان (شبكات الإسلام المعتدلة)، والثانية محلية تعود لموقع أهل البيت بعنوان (شبكة العلاقات العامة في بلاد الحرمين وأدواتها: دولة، وهوية، وخصوصية وثقافة الحجاز)⁽³⁾.

(2) وفقاً للموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الصادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي فإن الصوفية : حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية
(3) وهما دراستان منشورتان في عام 2007، وسيأتي ذكرهما لاحقاً.

أرجو أن تكون المادة المقدمة نواة لدراسات مستقبلية أوسع، يمكن أن تبحث في تشكيل ملف لم يأخذ طابعه المتوقع، خاصة في المحورين "الاجتماعي والسياسي"، واكتفي بالنظر إليه في مربع "الثقافة والمناصفة العقديّة" فقط، مع العلم أنه يحمل "درجة كبيرة من الحساسية"، التي لم تناقش إعلامياً وعلمياً - إلا بشكل يسير - وبحيادية بعيدة عن "الاستباق الإيديولوجي".

تأثير الحوار الوطني على الصوفية

يعتبر الحوار الوطني مهماً في رسم ملامح واقع "الإسلام الصوفي السعودي"، فبعد ثمان سنوات من تأسيس المركز الوطني، ورغبة رجل الدولة في تضيق مساحات الهوة بين فرقاء المذاهب والتيارات (بما فيها مستوى العلاقة مع المتصوفة)، عُقد لقاءه الوطني الثاني في معقل متصوفة الحجاز، بمكة المكرمة، في أواخر ديسمبر (كانون الأول) 2003، وبمشاركة رموز الصوفية في الداخل فكان من أبرزهم الراحلون السيد محمد علوي المالكي⁽⁴⁾، والدكتور محمد عبده يمان⁽⁵⁾ والدكتور سامي عنقاوي⁽⁶⁾،

(4) محمد علوي المالكي الحسني المكي (1367 هـ - 1425 هـ)، عالم دين مسلم يُلقب بمحدث الحرمين، ينحدر من أسرة علمية عريقة، مما جعله يتوجه تلقائياً إلى تحصيل العلوم الإسلامية حتى أضحت من أهم علماء الحديث في عصره. تنقل بين الكثير من الحواضر العلمية في العالم الإسلامي ليأخذ العلوم الإسلامية عن كبار العلماء، ولم يكن على وفاق دائم مع المؤسسة الدينية داخل السعودية، إلا أنه استطاع أن يواصل مسيرته العلمية ناشراً الموروث العلمي الذي أخذته بالسند عن أسلافه علماء الحجاز خاصة، له مؤلفات كثيرة في علوم الحديث والفقه المالكي وواقع العالم الإسلامي.

يرى كثير من المتخصصين والمهتمين بالتعليم الديني أن محمد علوي المالكي من كبار المحدثين المعاصرين ويلقبونه بمحدث الحرمين، ومن أهم فقهاء الحجاز على المذهب المالكي وعلى عقيدة أهل السنة والجماعة وفق منهج الأشعرية. كانت له حلقة شهيرة في المسجد الحرام بمكة المكرمة تعتبر امتداداً لأكثر من 600 سنة من تدريس أجداده، ويعتقد البعض أن سبب توقفها يرجع إلى إقصائه من قبل علماء آخرين من السعودية على علاقة بالمؤسسة الدينية الرسمية لكونه لا يتفق مع منهجهم، وقد تعرض للتحقيق والمتابعة أكثر من مرة من قبل هذه الجهة، وربما يؤكد هذا أن أغلب مؤلفاته طُبعت خارج السعودية. تحصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة -

الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل

وجاءت المشاركة التي احتوت 30 شخصية نخبية تمثل المذاهب والتيارات كافة، من أجل صياغة تصورات علاجية للقاء الذي حمل عنوان (الفلو والاعتدال.. رؤية منهجية شاملة)⁽⁷⁾ وصيغت على إثره توصيات، ظلت حبيسة الأدراج حتى يومنا هذا.

الأزهر بمصر. منحته جامعة الأزهر درجة الأستاذية الفخرية (بروفيسور) في 2 صفر 1421 هـ / 2000 بناء على ما تضمنه التقرير المفصل من تقييم علمي للأبحاث والمؤلفات المقدمة على المستوى العلمي الأكاديمي في مجال التخصص الدقيق وذلك باسم الجامعة الإسلامية الحكومية بقدر دار الأمان بماليزيا. انتخب رئيساً للجنة التحكيم الدولية لمسابقة القرآن الكريم أعوام 1399 هـ، 1400 هـ/1980، 1401 هـ/1981 وهو أول رئيس لها. أقام أكثر من ثلاثين معهداً وثلاثين مدرسة في شرق آسيا وجنوبها. ظل مجلس درسه على الدوام حافلاً بالشباب والشيوخ إلى جانب المجاورين من الطلاب وبالأخص القادمين من جنوب آسيا الذين كان يتكفل بإيوائهم وتدريبهم أصول الدين والفقه وعلوم الحديث وقواعد اللغة العربية ليمودوا ليتأهلوا كدعاة للإسلام في بلدانهم. صدر عنه كتاب يتناول حياته وفكره وعلمه وأثره بعنوان: المالكي عالم الحجاز، من تأليف زهير جميل كتيب. درس في حلقات العلم بالمسجد الحرام وبمدرسة الفلاح بمكة المكرمة ثم بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم، وتوجه إلى خارج موطنه لطلب العلم فسافر إلى مصر والمغرب والهند وباكستان. تلقى دراساته النظامية في جامعة الأزهر وحصل على الماجستير والدكتوراه من كلية أصول الدين بالأزهر ثم رحل إلى المغرب ليأخذ عن كبار علمائها. عين مدرسا بكلية الشريعة بمكة المكرمة عام 1390 هـ الموافق للعام 1970م ثم عين مدرسا بالمسجد الحرام عام 1391 هـ بعد وفاة والده وكان عضواً بهيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز (قسم الدراسات الإسلامية)، تولى السيد محمد علوي المالكي في بيته بمكة المكرمة فجر الجمعة 15 رمضان في سنة 1425 هـ (2004) وقد صلى عليه صلاة العشاء في المسجد الحرام ودفن في مقبرة العملاء، كما حضر مراسم الدفن والجزاء الكثيرين من وجهاء البلاد وأصدقاء الشيخ وتلاميذه، وقد قام الملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان ولياً للمهد بتعزية أسرته شخصياً ونيابة عن الملك فهد بن عبد العزيز.

(5) مسؤول سعودي بارز من مواليد مكة المكرمة عام 1940، حصل على شهادة البكالوريوس في الجيولوجيا من جامعة الملك سعود عام 1967. ثم نال الماجستير والدكتوراه في كورنيل بالولايات المتحدة الأمريكية، من المناصب التي تولاها: وكيل وزارة المعارف، مدير جامعة الملك عبد العزيز، وزير الإعلام، من أبرز مؤلفاته (علموا أولادكم حب رسول الله)، (المسلمون السود في أمريكا)، توفي عام 2010.

(6) الدكتور سامي محسن عنقاوي: من مواليد مكة، معماري معروف، حاصل على الدكتوراه في المعمار الحجازي الإسلامي من جامعة لندن عام 1988، قام الدكتور عنقاوي بترميم وتجديد العديد من العمارات التاريخية بالحجاز، مثل منزل الشافعي، الكائن بحارة المظلوم في منطقة البلد بجدة. كما قام بتجديد صالة عرض المنتدى الواقعة في حارة المظلوم بجدة. وتعتبر داره العنقاوي الشخصية في جدة بحي الشاطئ؛ المكيّة، والتي أنشأها على أساس التراث الحجازي التقليدي، تعتبر متحفاً مفتوحاً لزوار المدينة والسائحين. أسس مركز أبحاث الحج، ورأسه من عام 1975 إلى 1983. يعتبر ومن أشيد المعارضين لمعمليات الهدم التي طالت المئات من المواقع التاريخية الإسلامية في مكة والمدينة المنورة خصوصاً والحجاز عموماً، بزغ نجمه في الصحافة الدولية في السنوات الخمس الماضية، فظهرت أراؤه على مطبوعات: التايمز، واشنطن بوست، وول ستريت جورنال، فوربس، نيوزويك، نيويورك تايمز، ناشيونال جيوغرافيك، وعلى تلفزيون: BBC، PBS، CNN، الحرية، العربية. اشتهر بردائه الحجازي الكلاسيكي، وباعتباره للعمامة الفبانية المكيّة. وهو من أهم رموز الثقافة الحجازية المعاصرين. ويقيم في دارته بجدة ندوة ثقافية أسبوعية للشباب. يحضرها أليف من الأنتلجنسيا والمتقنين والشباب ذوي الثقافة الحجازية، وكان أحد أشهر نشاطاتها، إقامة حفل موسيقي للسلام والتلاحق الإنساني جمع بين فرقة جاز وبوب أمريكية، وبين فرقة للفنون والمقامات الحجازية التقليدية، عُرفت باسم (الجاز والحجاز).

(7) الموقع الإلكتروني الرسمي لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.

ولا يمكن التطرق أيضاً لمستويات العلاقة مع الصوفية في المملكة، بمعزل عن التطرق "لعمومية إشكالية الحوار المذهبي"، القائمة أصلاً على مستوى الخارطة المحلية، فهناك أطراف تحثُ الدولة على ضرورة الاعتراف بكافة الفرق والمذاهب والتوجهات، وأن يكون ذلك الاعتراف واضحاً ومعلنًا للجميع، إلا أن تحقيق هذا المطلب لا يبدو مستساغاً، إذا ما فهم تشكيل وبناء الدولة المركزية السعودية على فترات الثلاث، والذي توافقت فيه رغبات الإمامين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود، في وجود تحالف "ديني سياسي" على الأرض، والذي لا يمكن من خلاله الاقتراب من هذا التابو (الممنوع) الذي سيثير أركان المؤسسة الدينية التي تتشدد في هذه المفاصل كثيراً.

الموقف السلبي من الصوفية

ويمكن الاستشهاد في ذلك برؤية المستشار والقاضي السابق محمد بن صالح الدحيم الذي يشير إلى أن تكوين السعودية ذو حساسية، حيث إن الحالة العلمية السائدة في كل مناحيها "الدرس والإفتاء والقضاء والتأليف والخطابة"، له نفس واحد تقليدي مكرور في أغلبه إلى درجة تلغي في الأعم الأغلب الرأي الآخر والحق الآخر، وهذا المنهج كان مفيداً سياسياً حال توحيد البلاد، حيث سيخلق مرجعية متمركزة، يمكن إدارتها بجدارة، إلا أنه مع مرور الزمن وتحديث الحالة السياسية، وفقاً لطبيعة السياسي، ومتطلبات المراحل والتغيرات العالمية، كل ذلك والحالة العلمية تتحرك

الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل

مكانها، وتعيش حالة انعزال ليس فقط عن السياسي أو المذهبي أو الرأي المختلف، بل حتى عن مجتمعتها⁽⁸⁾.

يتعلق ذلك بما ورد مؤخراً من تحذيرات تجاه الطرق الصوفية، في خطبة جمعة مفتي عام السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء، ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الشيخ عبد العزيز آل الشيخ في الجامع الكبير بمنقطة قصر الحكم بوسط الرياض، ووصف خلالها قادة الطرق الصوفية، بأنهم دعاة ضلالة وخرافات، ومنهجهم غير منهج المسلمين⁽⁹⁾.

لم تكن هذه الفتوى هي الأخيرة في ساحة "الحرب غير المعلنة" بين المؤسسة الدينية والصوفية، ففي فبراير/ شباط 2010 الماضي، شن المفتي هجوماً آخر في خطبة الجمعة أيضاً اتهم فيه "الجماعات الصوفية بالفرق الضالة" مشيراً إلى أن "مواقف أتباع هذه الفرق سيئة ومفسدة في العقيدة والأخلاق وتشويه سمعة الإسلام"، رابطاً في فتواه بين الصوفية والشيعية، وهو ما ينكره علماء وقيادات التصوف السعودي.

في المقابل يمكن الاستشهاد بخبر نشرته صحيفة الوطن، من إغلاق السلطات المحلية مسجد عمر بن الخطاب وسلمان الفارسي بالمدينة المنورة، وهما من المساجد السبعة في الجهة الغربية من جبل سلع

(8) مجموعة مؤلفين، الحوار المذهبي في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2006، ص 83.
(9) وكالة أنباء المجتمع السعودي، 4 يونيو / حزيران 2011، <http://www.news-sa.com/snews/3363-2011-06-04-10-01-03.html>

ياسر بن محمد باعامر

التاريخي بالمدينة، وهي جزء من حالة الخلاف بين أركان المؤسسة الدينية المناهضين لتلك الآثار، وبين الصوفية بحكم تعظيمهم لها⁽¹⁰⁾.

نستطيع القول: إن هذا الملف مرّ بأشد المراحل حساسية إثر فتوى صدرت منذ نحو ثلاثة عقود من المؤسسة الدينية إبان رئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز؛ بحق القيادي الصوفي الراحل السيد محمد علوي المالكي، تتهمه فيها بنشر البدع والخرافات، والدعوة إلى الضلال والوثنية⁽¹¹⁾، وذلك في فتاها رقم (86) والصادر بتاريخ 11-11-1401هـ. أعقب تلك الفتوى - التي وصفت بـ "الشديدة" - حملة على المتصوفة في السعودية، من قبل التيار الديني الرسمي، وأنصاره من تيار السلفية التقليدية، طالت منع إقامة الموالد النبوية والمظاهر الدينية الصوفية الأخرى.

وحينما سُئل عضو المؤسسة الدينية والمستشار بالديوان الملكي الشيخ عبد الله بن منيع في اثنيّين عبد المقصود خوجة - في حفل تكريمه - عن كتابه الذي أصدره قبل ثلاثين عاماً بعنوان (حوار مع المالكي في رد ضلالاته ومنكراته)، بعد تطور فكره حتى صار مشتهراً لدى مجموعة من طلبة العلم ورجال الفكر والدعوة بالتيسير في الفتاوى والبعد عن ضيق الأفق وبالانفتاح على الآراء الفقهية المختلفة في قضايا النوازل المحدثّة، فهل هذا التطور في حياة الشيخ ابن منيع مؤثر عليه في حال إعادته تأليف كتابه (حواره مع المالكي) فيتفاعل مع هذا التطور، ومع الرأي الفقهي

(10) جريدة الوطن، 17 يونيو 2011، الجمعة، السنة الحادية عشرة، رقم العدد 3913.

(11) ياسر باعامر. الجزيرة.نت. 20 يونيو (حزيران) 2010.

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/2698666D-D4E0-4303-A9FD-089DD5772C75.htm>

الآخر المسلم بوجاهة الاتجاه نحو إقامة الاحتفال بالمولد النبوي كل عام؟ أجاب الشيخ عن السؤال ونشر رده في مقالة خاصة قائلاً: "إن التبشير والتيسير والتسامح والبعد عن جرح المشاعر مبادئ يُبنى عليها ديننا الحنيف. وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية والتقريرية ما يؤكد هذه المبادئ، وتتجلى منها سماحة الإسلام وتسامحه. يوضح ذلك ويجليه وصف عائشة رضي الله عنها منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في التيسير حيث قالت: "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً".

ويقول ابن منيع: "لا شك في أن من الإثم الخروج عن قواعد الدين وثوابته، ومن قواعد ديننا الاقتصاد في التمسك على ما جاء عن الله في كتابه الكريم، وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته الشريفة"، ليصل الشيخ بن منيع بعدها إلى القول: "هذه الموالد الحولية يجمع القائلون عليها والمنادون إليها أنها بدعة ولكنهم يتمسكون بالقول بأنها بدعة حسنة، ومن المعلوم المحقق أنه ليس في الدين بدعة حسنة وبدعة سيئة، وإنما البدعة مهما كانت فهي ضلالة في النار، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مضى له في النبوة والرسالة ثلاث وعشرون سنة ونصف السنة وليس في سيرته ولا في سيرة أصحابه الخاصين به والعموم إقامة موالد لحياته صلى الله عليه وسلم وموالده وهجرته وغير ذلك من حركاته وسكناته، فهل أهل العصور المتأخرة أكثر ولاء ومحبة واتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحاب رسول الله؟".

وسرد ابن منيع في مقاله المطول ما يعطي دلالة مهمة على النظر للمتصوفة وفق الرؤية الدينية المحافظة، والذي يعطي أيضاً دلالات مهمة في نوعية العلاقة الحالية والمستقبلية والتي يقول فيها : "والله ثم والله وتالله لو وجدنا أثراً عن رسول الله أو عن أحد من أصحابه أو عن أحد من التابعين أو تابعيهم من أهل القرون المفضلة، لو وجدنا أثراً منهم يؤيد إقامة الموالد لما ترددنا في الاقتداء بهم في ذلك. ولكنه المبدأ العام في التقيد بحدود هذا الدين وحمايته من التغيير والتبديل والإحداث والزيادة والنقص طبقاً لقول فقيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم». ثم أجبت السائل بأمرين: أحدهما: أن السيد محمد علوي مالكي رحمه الله أحد علمائنا الأفاضل، وإن كان عليه بعض الملاحظات فهي نتيجة اجتهاده، ونرجو الله تعالى أن يسامحه على تجاوزه فيما أخطأ فيه".

ويصل الفقيه ابن منيع إلى مؤشر مهم "ثابت لا يتغير" : "إن أردت أن أعيد الكتابة لكتابي (حوار مع المالكي)، وفق ما يريد الداعون إليها والمروجون لسوقها فإخلاص العبادة لله مبدأ ثابت لا يتغير مهما تغيرت الظروف والأحوال والأزمنة والأمكنة، والعمل وفق سنة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم مبدأ ثان له من الثبات ما لإخلاص العبادة لله، والقرآن الكريم مملوء بالإشادة والثناء على العمل الصالح بعد الإيمان بالله، والعمل الصالح يشترط في صلاحه أمران: الإخلاص به لله تعالى، وأن يكون وفق ما جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن يمكنني وأنا أعيد ما كتبت سابقاً أن أعيد النظر في الأسلوب السابق بما لا يترتب

الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل

عليه جرح مشاعر مع الإبقاء على الأصل في الاعتقاد والانتقاد، ولا شك في أن الفتوى تتغير بتغير الأحوال ولكن بشرط ألا يكون هذا التغير معارضاً لنص صريح من كتاب الله أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو أن يكون ذلك متعارضاً مع مقصد شرعي أو مصلحة عامة للمسلمين، أو أن يكون معارضاً لإجماع المسلمين أو لقياس صحيح، كما يجب أن يكون هذا التغير محققاً لمقصد شرعي من مقاصد الإسلام. أما أن يكون التغير مجارة للوضع الحالي دون أن يكون هناك تبرير شرعي فلا يجوز⁽¹²⁾.

سنعرض تفاصيل أكثر في موقف علاقة المؤسسة الدينية الرسمية بالصوفية ووجهة النظر الرسمية في تكوين العلاقة، ورؤية السلفية بجناحيها التقليدي العلمي والحركي، وكذلك رؤية الإخوان المسلمين، ومدى ارتباط الوضع الداخلي للمتصوفة، بالمؤشرات الخارجية الإقليمية والدولية، وأهمية ترتيب بيتها الداخلي لإنضاج علاقتها بكافة المستويات المحلية بدءاً من الدولة وانتهاءً بالفصائل الأخرى، وأهمية ذلك بعد تغييب الموت لعدد من الرموز المؤثرين في المشهد الصوفي كالسيد المالكي (2004 بمكة المكرمة)، ووزير الإعلام السعودي الأسبق محمد عبده يماني (نوفمبر 2010)، وتنوع المسارات التي أحدثتها وفاة الرموز.

سأعرض رؤية الجيل الجديد من المتصوفة خصوصاً بعد ربيع الثورات العربية الذي بدأت شرارته من ثورة الياسمين بتونس، لتلحق بها

(12) عبد الله بن منيع، لوأعدت كتابة "حوار مع المالكي"، لما تغير شيء، جريدة عكاظ، 17 مارس 2011، العدد 3560.

مصر وليبيا واليمن وسوريا، وما تلا ذلك من عرائض إصلاحية سعودية، قدمتها النخبة السعودية وشبابها تطالب بمزيد من "الحريات السياسية الداخلية"، حيث تشير اللقاءات التي أجريتها إلى أن عدداً من الشباب المتصوفين شاركوا إما صياغة أو توقيعاً في تلك العرائض، وهل يمكن أن يؤثر ذلك على تطور حركة التصوف عموماً بخروجها من "التزكية الروحية"، إلى "التزكية السياسية".

الصوفية والدولة السعودية

نادراً ما تركز التقارير الإعلامية الأمريكية على "التصوف السعودي"، أو ما يطلقون عليه "الإسلام الشعبي"، بل كان التركيز يصب على الصوفية عموماً، إلا أن أبرز تقريرين كُتبا في ذلك كانا ما بين مايو (آيار) 2006، وفبراير (شباط) 2007، يوضحان فيه مستوى العلاقة بين "الصوفية والقيادة السياسية السعودية"، حيث أشار تقرير لصحيفة الواشنطن بوست، إلى أنه في "الأجواء الجديدة التي سيطرت في أعقاب هجمات 11 سبتمبر، عقد الملك عبد الله سلسلة من الاجتماعات للاعتراف بالطوائف والمذاهب المختلفة في البلاد، وكان من بين الضيوف المالكي زعيم الصوفية، وعندما توفي المالكي حضر الملك جنازته⁽¹³⁾.

ويؤكد التقرير الأمريكي التغييرات الحاصلة في المملكة بعد أحداث سبتمبر 2001 وأن من الفوائد التي جناها الصوفيون، أنهم وجدوا

(13) عودة الصوفية للمملكة، جريدة الواشنطن بوست الأمريكية في آيار (مايو) 2006، مترجم.

لأنفسهم مكاناً على الخارطة المذهبية في المملكة، بعد أن كانت تجمعاتهم حتى وقت قريب سرية لاسيما في إحياء المولد النبوي الذي يعتبر ركناً أساسياً بل الأكثر روحية لدى المتصوفة، كما كان اعمار العمامة الصوفية المعروفة دليلاً على التصنيف، ما كان يعتبر في حينه شيئاً ممنوعاً..

استفاد علماء الصوفية بدورهم من أجواء الانفتاح، وشرعوا في استغلال المناسبات الدينية والمنابر الإعلامية في توجيه خطابات لأتباع التيار السلفي مفادها أن الصوفية ليست طائفة تتبع ديناً آخر، وأنهم يعيشون حياة تتمحور حول مفهوم الإسلام عن الإحسان، مشيرين إلى أن الصوفية مظلومة ومجهولة لأن الناس لم يعرفوها على حقيقتها، ومجهولة لأنه دخل فيها ما ليس منها، والمطلوب أن تؤخذ من أصحابها.

وعلى الرغم من "البرجماتية" التي تتمتع بها المؤسسة السياسية السعودية، في تفسير علاقاتها الداخلية أو الخارجية، فإنها ستكتفي داخلياً في ملف "الإسلام الصوفي" بعدم "إثارة مؤسستها الدينية أو حتى الأطراف الإسلامية التقليدية" أو التي لها رأي مناهض للتصوف عموماً، خصوصاً بعد تصاعد وتيرة "الثورات التي شهدتها المناطق" المجاورة للعربية السعودية، وأمر آخر فإن "المجاملة وردّ الجميل السياسي" حاضر أيضاً بعد وقفة "الإسلام الرسمي" والفصائل الأخرى في خلع رداء "الشرعية الاحتجاجية" عن ثورة حنين (11 آذار/ مارس 2011) - مجهولة المصدر- التي انطلقت عبر صفحات موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك، للمطالبة بإسقاط النظام إلا أن أحداً لم يخرج في تلك التظاهرات.

وظهر ردّ الجميل جلياً في 18 مارس (أذار) حين أصدر الملك عبد الله سلسلة قرارات معيشية "بناء على الموقف الداخلي الاجتماعي عامة والديني المؤيد للنظام"، فكان نصيب المؤسسات الدينية عموماً ما يقارب 370 مليون دولار أمريكي، لذا ستغض السلطات الطرف عن أية محاولات "للضغط على المؤسسة الدينية"، بحلحلة ملف "صوفية الداخل"، حتى إشعار آخر، مع التأكيد على عدم شروعها في اتخاذ "المتصوفة" خصماً سياسياً داخلياً، بل تعتبرهم إحدى مكونات المجتمع السعودي ولو ضمناً كمحاولات إعطاء الأسر الحجازية عدداً من المناصب الوزارية كوزارة الحج، والثقافة والإعلام، والصناعة والتجارة، ومناصب السفراء والقناصل الممثلين للدولة في الخارج.

لكن أيضاً هناك إشارات - يسوقها البعض - يمكن لنا فهمها من لجوء أجنحة محسوبة على أطراف في الدولة إلى إشغال "الخط الديني الداخلي"، بمسألة الصوفية، وهو نموذج تلجأ إليه عادة القوى السياسية المسيطرة، بهدف توجيه مسارات الحراك الديني لديها، ويبقى بذلك مركز التحكم بيد السلطة، في حين أن "المقابلات الخاصة المتنوعة"، التي أجريتها تؤكد على مسألة مهمة، تتمثل في "غياب رؤية الدولة المركزية السياسية والإستراتيجية" في التعامل مع الملفات المذهبية، وأن الأمر لديها مرهون باللحظة أو الفعل السياسي الوقتي المرتبط بالأزمات أو الظواهر السياسية، التي يمكن أن تحدث هنا وهناك.

الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل

وفي رؤية تحليلية خاصة⁽¹⁴⁾، يشير الدكتور خالد الدخيل، إلى ضرورة أن تبقى الدولة خارج لعبة "الطوائف والعلاقات الدينية الداخلية"، وهذا ما تفعله حالياً، فموقف السلفية الرسمية لم يتشكل منذ نشوء الدولة السعودية الأولى، بل تشكل قبل ذلك في أدبيات السلفية الأولى إبان دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب القرن الثامن عشر الميلادي / القرن الثاني عشر هجري، حيث كان هناك موقف مضاد من صوفية نجد القلائل.

ويرى الدخيل أيضاً للخروج من مأزق العلاقات المتباينة المتشجعة ما بين "الصوفية والإسلام التقليدي والسياسي الصحوي"، أن توفر الدولة الإطار الدستوري لجميع هذه المكونات، ضمن ما يطلق عليه "المجتمع المدني"، مؤكداً أن الأجنحة الثقافية في التيارات الداخلية ستكون لها كلمة الفصل والدور الرئيسي في تذليل تلك العقبات بين مختلف المكونات ولو بالحدّ القليل.

ووفقاً لتقرير منشور بموقع "الجزيرة نت" فإن موقف السلطات السعودية، إزاء ما تتعرض له الصوفية من إقصاء من قبل التيارات السلفية، لم يواجه إلا بحالة من الصمت الرسمي، حتى لا تخسر تعاونها مع المؤسسة الدينية الرسمية لاحتياجها لها في بعض المواقف الداخلية والخارجية، وأضاف التقرير الإخباري أن السلطات تحاول استرضاء الشخصيات الحجازية التي تتعرض للإقصاء التي غالباً ما تنتمي إلى أسر لها علاقة بالتصوف ببعض الحقائق الوزارية⁽¹⁵⁾.

(14) مقابلة أجراها الباحث عبر الهاتف، مع أستاذ علم الاجتماع السياسي الدكتور خالد الدخيل في يوم الإثنين 20 حزيران 2011، الساعة 5 مساءً، واستمرت لساعة كاملة.
(15) الجزيرة نت، مصدر سابق.

وتاريخياً مع انضمام الحجاز لحكم الملك عبد العزيز آل سعود في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين ميلادي)، ودخول الحرمين تحت سلطة الحركة السلفية من أتباع منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة 1206هـ/1792م الذين رأوا بدعية كل أشكال مجالس الذكر الجماعي، وحرمة العديد من الممارسات الدينية، كالتوجه إلى المدينة المنورة بقصد زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ناهيك عن زيارة المشاهد الأخرى كقبر السيدة خديجة بنت خويلد في مكة مثلاً، وحرمة إحياء المناسبات المرتبطة بالنبي كالمولد الشريف، وحرمة زيارة عدد من الأماكن المتعلقة بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام كجبل النور حيث غار حراء، وجبل ثور حيث الغار الذي اختبأ فيه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه حال الهجرة، إلى غير ذلك من المواقع والبقع الأثرية النبوية.

كان من جراء ذلك أن تمّ هدم مختلف القباب والأضرحة، ومنع التوجه لزيارتها، ومنع إحياء عدد من المناسبات المتعلقة بالنبي، كذكرى مولده في شهر ربيع الأول، وذكرى الإسراء والمعراج في شهر رجب، وتم وقف كل أشكال مجالس الذكر الجماعي، وإغلاق ما كان موجوداً من تكايا وزوايا صوفية، إلى غير ذلك من الأعمال التي قُصد منها التضييق وإنهاء أي مسار للتصوف بمنطقة الحجاز.

ومع الإقرار بنجاح تلك الأعمال في إنهاء ظاهرة تواجد الطريقة الصوفية في الحرمين الشريفين بوجه خاص، إلا أنها لم تحُدَّ

الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل

من ممارسة بعض أشكال التصوف، ولو على النطاق الاجتماعي الخاص، كإحياء مجالس الذكر الجماعي، وإحياء ذكر عدد من المناسبات النبوية التي حافظ على أدائها كثير من أبناء المجتمع الحجازي الحضري، اعتقاداً منهم أن المحافظة عليها حفاظ على هويتهم الاجتماعية بوجه خاص، تلك التي أخذت في الانحسار مع تنامي أعداد أبناء المجتمعات القبلية من مختلف أنحاء المملكة، الذين استوطنوا الحرمين بثقافتهم ونظرتهم الاجتماعية الراضية للآخر.

وعمد شيوخ الحركة السلفية إلى ربط بعض المسائل الدينية كالتمسك بالأنبياء في الدعاء وقصد السفر للزيارة النبوية؛ إلى غير ذلك من المسائل التي يرون عدم جوازها، بصوفية الحجاز والتصوف بوجه عام، وازداد الأمر سوءاً حين آمن العلماء المحسوبون على الحركة الصوفية في الحجاز بعقيدة الأشاعرة، المرفوضة كلياً من قبل شيوخ الحركة السلفية، الذين أصدر البعض منهم فتاوى وكتباً بتكفير معتقدهم، وهو ما زاد من توتر العلاقة بين الطرفين في الحجاز والعالم الإسلامي⁽¹⁶⁾.

أدى ذلك التوتر - كما يقول الباحث في حركة التصوف الدكتور زيد الفضيل⁽¹⁷⁾ - إلى دعم العلماء المسلمين لعلماء الحرمين من أهل

(16) يمكن مراجعة سفر الحوالي، منهج الأشاعرة في العقيدة، تعليقاً على السجل الذي دار بين عضو هيئة كبار العلماء صالح الفوزان وبين الشيخ محمد علي الصابوني على صفحات مجلة المجتمع الكويتية: <http://www.alhawali.com/index.cfm?method=home.SubContent&contentID=88> أيضاً: صالح الفوزان، الأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة، فتوى صوتية: <http://www.alfawzan.ws/node/8418>

أيضاً: صالح الفوزان، ليس في السلف من هو من الأشاعرة، فتوى صوتية: <http://www.alfawzan.ws/node/8396> (17) أجرى الباحث، مقابلة خاصة، مع الدكتور زيد الفضيل في يوم الخميس 26 أيار/مايو 2011، بجدة غرب السعودية، من الساعة العاشرة صباحاً حتى الواحدة ظهراً .

الحجاز في خلافهم مع شيوخ الحركة السلفية وهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية خلال فترة ماضية. كما كان له أثره في تشجيع استمرار الحركة العلمية ضمن إطار المدرسة الصوفية، وهو ما تمثل في مدرسة السيد محمد بن علوي المالكي، الذي حرص أهل الحجاز من الأعيان ورجال الأعمال على دعمه مالياً، وتشجيع مختلف جهوده العلمية، وإضفاء مظاهر الشرعية العلمية والدينية عليه، لاسيما بعد تعرضه للإقصاء من التدريس في الحرم المكي الشريف، وتبديعه وتقسيقه من قبل هيئة كبار العلماء أوائل عقد الثمانينيات الميلادي من القرن المنصرم، وإصدار أحد أعضاء الهيئة العلمية من الحركة السلفية وهو الشيخ عبد الله بن منيع كتاباً يرد فيه على ضلالات المالكي كما ورد في عنوان كتابه.

وأصبح السيد محمد منذ ذلك الحين وحتى وفاته يُمثل بمظهره وشخصيته علماً مكياً بارزاً وقطباً عالي المقام عند كثير من أتباع الطرق الصوفية في الخارج، على الرغم من عدم انتمائه إلى أي منها بشكل دقيق، ويمكن القول حينها بولادة وظيفة أخرى للحركة الصوفية في الحجاز، لها مظهرها السياسي في حال اعتبارنا لبروز المقام الديني كأحد المكونات الجوهرية للحكم السياسي في عالمنا الإسلامي.

يشير الدكتور الفضيل إلى إن السيد محمد جَسَدَ بشخصيته المكية الحيوية، وعُمق علمه المعرفي ووسطيته من احتواء جُلِّ أبناء الحجاز، لاسيما المنخرطين في المسار الليبرالي والقومي منهم، علاوة على قدرته على الصمود أمام المؤسسة الدينية السلفية، وتمتعه بمقدرة فائقة على

حُبك علاقات جيدة مع مختلف علماء وشيوخ العالم الإسلامي من أتباع الطرق الصوفية وغيرهم، جَسَّدَ بكل ذلك رمزاً حجازياً بارزاً فرض على الجميع احترامه والانضواء تحت لوائه، وهو ما تبدى في تلك العلاقة الحميمة بين السيد محمد ووجهاء أهل الحجاز من الأعيان والمسؤولين ورجال الأعمال، وكان واضحاً أيضاً بشكل كبير حين أصرَّ محمد سعيد طيب - وهو أحد أبرز القوميين العرب في المملكة حال زيارته للسيد محمد بمدرسته الخاصة بمكة المكرمة قبل سنوات من وفاته، بصحبة مجموعة من أبناء الحجاز من مختلف التيارات الفكرية والانتماءات الأيدلوجية- على تقبيل يد المالكي تعبيراً عن امتنانه له واعترافاً بمراجعته الروحية.

الرؤية السياسية

الرؤية السياسية "للسلفية" السعودية، متبانية إلى حد كبير، وفقاً لخطوطها التقليدية المتنوعة والحركية منها، فالخط السلفي الجامي⁽¹⁸⁾ رفع من مستوى "التحذير من القبوريين (في إشارة إلى تبرك الصوفية بالقبور)"، وفقاً لحديث أغلب المصادر البحثية- إلى خانة التحذير

(18) يعود مسمى السلفية الجامية إلى الشيخ محمد بن أمان علي الجامي المدرس في المسجد النبوي والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتعرف بسلفية المدينة، الجامية، المدخلة، وأزاح كتاب المسبار (العدد 38) بعنوان الجامية، الكثير من التفاصيل عن هذا الفصيل السلفي، حيث نجح الاتجاه الجامي في اقتسام المشهد الديني في المملكة العربية السعودية في النصف الأول من التسعينيات من القرن الماضي، كما كان له وما يزال كبير حضور في اليمن وأفغانستان والجزائر ومصر التي يلاحظ صعود كبير لهذا التيار داخلها في السنوات الأخيرة، وكذلك في أوساط بعض الجاليات المسلمة في الغرب. وفكرياً مثلت الجامية النقد السلفي الأكثر انتشاراً لسائر الحركات الإسلامية، وخاصة جماعات التبليغ والدعوة والإخوان المسلمين والتهار السروي أو الصحوي في منطقة الخليج وسائر بلدان العالم الإسلامي، ويتسم التيار الجامي بمركزية "الجرح والتعديل" في أدبياته، فالجامية تصر على اتهام الجماعات الأخرى وكشفها أو جرحها، دون إغذار لها أو صمت عنها، ومن هنا كتب منظروها كريب المدخلي ومقبل بن هادي بن الوادعي ومحمود الحداد وغيرهم، المشرات من المؤلفات في اتهام الجماعات الأخرى، وتعمية رموزها، ورفض كتاباتها، وأطروحاتها حول التنظيم الحزبي أو إقامة دولة الإسلام، وكذلك فضح ما تراه من شبه عقيدة أو قبورية في فكر تلك الجماعات.

السياسي عبر وجود مشروع طائفي إثني (صوفي - شيعي)، لبناء دولة على أنقاض العائلة السعودية الحاكمة، بدعم من ملائي إيران مازجين في تهمهم بين الفعيلين الديني والسياسي، ومنطلقين من اكتشاف بعض الوثائق السرية التي وجدتتها القوات اليمنية أثناء حصارها للحوئي حول مخطط إيراني "رافضي إسماعيلي صوفي" يضم ممثلين لهم.

يهدف المشروع - وفق نظرتهم - إلى تكوين دولتين داخل المملكة العربية السعودية: دولة للشيعية تسيطر على مناطق البترول، تشمل الشرقية ونجران وما بينهما من جنوب شرق الجزيرة العربية، من الشرقية جنوباً على حدود حرض والخرج ولا تشمل الرياض. فيما الدولة الثانية دينية صوفية باسم "دولة الحجاز الإسلامية" تتعاونان للحرب ضد آل سعود والوهابية، وتحاصر مناطق المملكة الأخرى، فتتركها دون بترول ودون الحرمين. واستشهدوا بأسماء قيادات للصوفية في داخل السعودية، شاركت في الاجتماعات المزعومة، وأكدوا أن المرشح لرئاسة الدولة الدينية الحجازية الحبيب علي الجفري، وستسعى دولتهم إلى إعادة بناء القبور وتعظيم قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومقابر البقيع وإقامة شعائر الشيعة والصوفية دون قيود، وقالت: إن المجلس التأسيسي بين الرافضة والصوفية عقد اجتماعاته في القاهرة ودبي ومكة المكرمة وجدة، ووصل لأكثر من سبعة وأربعين اجتماعاً⁽¹⁹⁾.

(19) يفتقد كثير من أجريت معهم مقابلات أن الجامعيين هم المسؤولون عن تمرير تلك الشائعات وتضخيمها، رابطتين بين استنتاجات المعلومة والنتيجة النهائية المرتبطة بالمعلومة هي إعادة بناء القبور. الفكرة المركزية التي تقوم عليها الجامعة في صراعها مع الصوفية.

ويمكن تحليل ذلك الاتهام السياسي السلفي الجامي، بالاعتماد على مفصل تاريخي مهم، يعود لآذار (مارس) 2007، بصدور تقرير راند⁽²⁰⁾، من 217 صفحة، حاملاً عنوان "شبكات الإسلام المعتدلة"، بهدف "تغيير البنية التحتية للإسلام"، وأوصى التقرير الأمريكي "بضرورة دعم الصوفية باعتبارها إسلاماً مدنياً، يمكن أن يضرب من خلاله التيار الوهابي"، وفقاً لتقديرات المؤسسة⁽²¹⁾.

عمّق التقرير من "أزمة الثقة"، ليس بين السلفيين التقليديين فقط، بل وصل مداه حتى إلى السلفية الحركية (المعروفة بالسرورية)، أو الإخوان المسلمين (خاصة الجناح السلفي منها)، الذي يربط بين التيار الصوفي والتخطيط الأمريكي للمنطقة، وانسحب ذلك العامل الخارجي على "صوفية الداخل السعودي"، ومما ورد في التقرير الأمريكي ما يلي: "من الصعب أن نضع الصوفية في أي من المجموعات، ولكننا سنضعهم مع التيار الحديث. إن الصوفية تمثل تأويلاً فكرياً منفتحاً للإسلام، ويجب أن يتم تشجيع التأثير الصوفي بقوة في البلدان التي لديها تقاليد صوفية، ويجب تشجيع تقبل الصوفية وتهيئة الدعم الشعبي لها"⁽²²⁾.

(20) مؤسسة "راند" RAND مؤسسة بحثية تابعة للقوات الجوية الأمريكية تأسست عام 1948 بعد الحرب العالمية الثانية تبلغ ميزانيتها السنوية قرابة 150 مليون دولار، تدعمها المؤسسة العسكرية الأمريكية، مقرها الرئيسي في ولاية كاليفورنيا الأميركية، ولها فرع في المنطقة العربية في قطر وهي أكبر مركز فكري في العالم، وأحد أهم المؤسسات الفكرية المؤثرة على صناعة القرار في الإدارة الأميركية الحالية بدأ نشاطها نحو الشرق الأوسط بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، وأصدرت بعدها عدة تقارير أثارت الكثير من الجدل.

(21) <http://www.rand.org>

(22) مركز "راند": الإسلام "المعتدل" هو الحل لأمريكا. إسلام ديلي: <http://www.islamdaily.org/ar/ge000neral/5075.article.htm>

وفهم من السياق السابق حسب وجهة نظر الفصائل الإسلامية المتقاطعة في نظرتها للصوفية ما يلي:

1. إن التيار الصوفي مدرج ضمن التيارات الأقل معارضة للولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموماً.
2. يعد التيار الصوفي من التيارات التي يهدف التقرير إلى إدراجها ضمن الإستراتيجية الأمريكية لتغيير وتحديث العالم الإسلامي.

تلك النظرة المجمع عليها، من قبل جميع الفصائل الإسلامية السعودية، تعطي مزيجاً دراماتيكياً مهماً في وضوح التفكير التعبوي الحاصل تجاه متصوفة السعودية، وفهم أيضاً من خلالها الهندسية التحليلية المتشددة، إلا أنها تختلف مع السلفية الجامية في وجود "مشروع طائفي صوفي مركزي"، يستهدف الكيان السياسي للدولة المركزية السعودية، فهو لا يلقي نفس درجة "التأييد" لدى المجموعات المحسوبة على "السلفية الحركية أو الإخوانية" التي لا ترى أو لا تؤمن بفكرة "المشروع السياسي للصوفيين المحليين"، إلا أنهم يقتنعون باحتمالية "الاستخدام السياسي"، ضمن أجندة داخلية أو خارجية.

ويمكن الاستشهاد هنا بدراسة مطولة (60 صفحة)، تبناها موقع أهل البيت الإلكتروني، جاءت تحت عنوان "شبكة العلاقات العامة في بلاد الحرمين وأدواتها: دولة، وهوية، وخصوصية وثقافة الحجاز"، التي جاءت بعد فترة قصيرة من تقرير راند الأمريكي، وتحديداً في 20 آب (أغسطس) 2007، حيث ما تزال تداعيات هذه الدراسة فاعلة حتى اليوم،

الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل

والتي تشير فيها إلى محور "الاستخدام السياسي للصوفية الحجازية"، من قبل التيار الليبرالي والطائفة الشيعية على وجه الخصوص.

وتكشف الدراسة المنشورة - وفق وجهة نظر الموقع- إلى وجود تقارب "صوفي-ليبرالي" ظهرت بوادر عملية التقارب بينهما عندما كرمَ الراحل محمد علوي مالكي محمد سعيد طيب⁽²³⁾ في 20 أيار (مايو) 2004، وتم نشر تلك الأمسية في جريدة الندوة على صدر صفحتها الأولى تحت عنوان: "الندوة ترصد احتفاء سماحة الدكتور السيد محمد علوي المالكي بالأستاذ محمد سعيد الطيب، في لقاء العلم الشرعي بالفكر الوطني المستنير".

وتشير الدراسة أيضاً- لتوضيح عملية التقارب- إلى بعض مسائل وقضايا الليبراليين من مسائل الاستقطاب والتجاذب الحاصلة في الحجاز، وقد تميل بعض قيادات الصوفية الشابة للتصريح بأقوال الليبراليين في تلك المسائل لكسب مزيد من التعاطف أو للتقريب بين وجهات النظر.

وتمطي دراسة موقع أهل البيت في شقها الآخر صور التقارب "الصوفي- الشيعي"، فتقول: "عندما فجع المجتمع الصوفي بالحجاز بوفاة

(23) محمد سعيد طيب من مواليد مكة المكرمة عام 1939، ناشر ومعاظمي وناشط سياسي معروف من السعودية، شغل منصب العضو المنتدب لشركة تهامة للإعلان والنشر - كبرى شركات الإعلام العربي - لربع قرن، نشر من خلالها أغلب الإنتاج الأدبي الرائد في الحجاز والسعودية، ولطَّيَّب صالون ثقافي شهير في مدينة جدة باسم (الثوثة). كان في خمسينيات القرن العشرين وحتى السبعينيات من المتحمسين لمشاريع جمال عبد الناصر في المنطقة، الأمر الذي سبب له المتاعب في عهد الملك فيصل، حيث أدخلته كتاباته وأراؤه السجن عدة مرات، كما تعرض تنظيمه للطلاب الأحرار في الستينيات للتشكيل وسجن مؤسسيه: محمد سعيد طيب وعصام قدسي. ساهم طيب في كتابة المريضة المدنية الأولى المقدمة إلى الملك فهد عام 1992، مشاركة مع محمد عبده يمانى وعبد الله مناع. صدر كتاب حديث يتناول تجربته السياسية بعنوان (السجين 32) من المركز الثقافي المغربي، وهو عبارة عن سلسلة حوارات معمقة أجراها معه الزميل أحمد عدنان.

الشيخ محمد علوي المالكي، قام وفد من الحوزة العلمية بالأحساء بزيارة ذوي الفقيد، وهم: علي باقر موسى «مدير العلاقات العامة»، وعبد الجليل السمين «مدير شؤون الطلاب»، وحسن اليوسف «مدير الإرشاد الديني». وكان في استقبالهم: أحمد بن السيد محمد علوي المالكي، والدكتور سامي عنقاوي، وواصف كابلي، وآخرون، وتضيف: "كما قام الوفد الراضى أثناء العزاء بتسليم رسائل من أمين الحوزة بالأحساء (هاشم السلطان) إلى كل من: د. سامي عنقاوي، وعمر عبد الله كامل، ومحمد سعيد طيب، وآخرين.

وهناك أبعاد مهمة في الدراسة تتموضع في تأطير العلاقة مع "الصوفية"، حيث تشير في خاتمتها: "أنه ظهر من طيات التقرير أن القدر المشترك في الجانب الإجرائي والتنفيذي بين كافة التيارات يكون بالتهيئة لفصل "المذهب عن الدولة"، فالصوفية والرافضة في وجهها المذهبي الإثني عشري داخلياً تصعد الأمر، وتضغط على الدولة لتترك مذهب الوهابية كما تدعي، والتيار الليبرالي والمتأثر بهم من دعاة الهوية الحجازية والرافضة في وجهها السياسي يطالب كذلك برفع المذهبية والطائفية كافة عن مؤسسات الدولة، وتصبح دولة المجتمع المدني ومؤسسات القانون الوضعي والوطن الواحد الذي لا يفرق بين أحد لدين أو اعتقاد. وهذا القدر المشترك في جانبه العملي هو تهديد وإرهاب للوطن وللدولة، سواء من الداخل أو الخارج، وهو بشقيه يعود إلى حقيقة القول بالانفصال والتقسيم والخروج من الوحدة⁽²⁴⁾.

(24) موقع أهل البيت رابط الدراسة : <http://alalbait.com/?p=3321>

الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل

ويمكن أن نشير أيضاً إلى أن محور العلاقة الفكرية والسياسية بين الصوفية والتشيع هي من الركائز السياسية التي تراها عموم فصائل الإسلاميين من تقليديين وحركيين في "العلاقة المشتركة بين الصوفية والشيعة"، من خلال أن "عقائد الشيعة تقوم على الغلو في آل البيت، وتعظيمهم بما ليس مشروعاً، وفي مقابل ذلك الجفاء بل والعداء لبعض أو لجمهرة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى ادعاء عصمة الأئمة، ووجوب طاعتهم"، وترى تلك التوجهات السلفية أن القاسم المشترك بين الفئتين هو المبالغة والغلو في التعظيم، والإسراف في محبة آل البيت. فالمتصوفة يرون أن التشيع يوافقهم في بعض الأمور، والتشيع يرى في المتصوفة تربة خصبة فيها بيئة موافقة وأسباب مواتية للتدرج في التشيع".

كما أشارت اللقاءات الخاصة التي أجريتها إلى تدرج بعض المتصوفة من آل البيت ومحبيهم نحو التنقص من قدر بعض الصحابة ك معاوية وعثمان رضي الله عنهما، و"زاد الأمر إلى موافقة الشيعة في أعمالهم، وطقوسهم البدعية في اللطم والضرب والندب في يوم عاشوراء حزناً على استشهاد الحسين، حيث نشأ في بعض أبناء آل البيت تيار يتبنى ذلك النهج"⁽²⁵⁾.

تبقى الإشارة إلى أن موقع "أهل البيت" يشرف عليه مجموعة من طلبة العلم من آل البيت من الأشراف والسادة ويدار من مدينة جدة⁽²⁶⁾.

(25) لقاءات خاصة أجراها الباحث وقد فضلت المصادر عدم الإفصاح عن هويتها.
(26) موقع أهل البيت، مصدر سابق http://alalbait.com/?page_id=4009

الباحث الدكتور الفضيل - خلال المقابلة البحثية- رأى بخلاف ما استندت إليه الدراسة السلفية السالفة الذكر، أو حتى رؤية الفصائل الإسلامية عامة، أن "العلاقة بين علماء الحراك الصوفي في الحجاز والتيارات القومية والليبرالية لم تكن متوترة مقارنة بما هي عليه في نجد أو بالأصح ضمن إطار مسار الحركة السلفية في المملكة، حيث اقتصرَت مظاهر حركة التيار الليبرالي ومدار بحثهم على عدد من الجوانب الفكرية والمسائل الفقهية التي لا تتعارض مع توجه وفكر علماء الحجاز بوجه خاص، كحلق وتقصير اللحية، وكشف الوجه للمرأة، وسماع الأغاني وممارسة العزف الموسيقي، بل وشرب التبغ عبر أدواته المعروفة محلياً بالشيشة والنارجيلة، إلى غير ذلك من المسائل التي شكلت هاجساً كبيراً ضمن إطار الحركة السلفية والتي نتج عن ممارستها إيقاع القول بالكفر والتبديع والتفسيق، في الوقت الذي لم يجد في ممارستها علماء الحجاز أي حرج، وهو ما قلص من حدة الفجوة الممكن حدوثها ضمن إطار المجتمع الحجازي، وانتفى معه أي صراع بين المنتمين لمختلف التيارات المادية والحركة العلمية بوجه خاص، مما كانت له نتائجها الإيجابية على الطرفين".

وفي مقابل ذلك - كما يقول الفضيل - "لا يوجد أي قاسم مشترك يمكن أن يربط بين أبناء الحركة الصوفية في الحجاز والمذهب الشيعي الاثني عشري، ذلك أن صوفية الحجاز ينتمون إلى المذاهب السنية المعروفة وبخاصة المذهب الشافعي والحنفي وقليل منهم على المذهب المالكي، غير أن المصيبة تجمع كما يقال، وضرر أتباع الحركة السلفية قد مَسَّ الجميع،

حيث حُرم الفريقان من حريتهما في ممارسة ما يرونه مباحاً وجائزاً، وهو ما شكل قاسماً مشتركاً جمع بينهما خلال فعاليات الحوار الوطني الثاني في مكة المكرمة، الذي انعقد تحت شعار محاربة الغلو".

على أن العلاقة في أصلها لم تعش أي حالة من التوتر، حيث استأنس الحجازيون التعامل مع أبناء الطائفة الشيعية خلال مواسم الحج طوال فترات التاريخ الإسلامي، وجاهدوا من أجل تقديم أفضل الخدمات لهم أسوة بغيرهم من المسلمين، بل وعُرف ضمناً عدد من الأسر المكية بميولها الشيعية، من دون أن يسبب ذلك لها أي حرج، أو أن تعيش حالة إقصاء اجتماعي عام، وكذلك الحال في المدينة المنورة التي يقطنها فئات من الشيعة، وينتمي بعض سكانها إلى المذهب الاثني عشري، وكان حكامها لفترات تاريخية ماضية من الأشراف الاثني عشرية أيضاً، وبالتالي فلم يكن هناك أي حزازات بين أبناء المدرسة الصوفية في الحجاز وغيرهم من أتباع المذاهب الأخرى على مدار التاريخ، كما لا يعني إمكانية أن تتطور العلاقة مستقبلاً لصالح المد الشيعي بحسب ما يتصوره البعض ويخشاه، حيث أثبتت التجربة التاريخية أن الناس أبناء بيئاتهم الاجتماعية والفكرية، وأن أي حدث طارئ سرعان ما سيزول مع زوال أسبابه، وهو ما ينطبق على المد الشيعي والمد السلفي أيضاً، ذلك أن الحجاز بطبيعته تكوينه الديموغرافي والفكري غير قابل للانغماس في التشدد الأيدلوجي، سواء كان ذلك في الإطار السني أو الشيعي، وسيظل مكاناً قابلاً لاحتواء الجميع

على مختلف أفكارهم وآرائهم، ضمن ساحة واحدة وطواف واحد وسعي واحد أيضاً⁽²⁷⁾.

يمتاز الإخوان المسلمون عموماً في المنطقة العربية، بنوع من "التعامل الانفتاحي"، مع صوفية بلدانهم، وفي أضيق الحدود إن وصلت العلاقات لمستويات متقدمة من الصراع، فيتم احتواؤها بشكل سريع، وهذا ما أعطاهم صفة "البراجماتية الحزبية" في التعاطي السياسي كالحالة المصرية والمغربية والموريتانية، لكن في السعودية وعلى الرغم من عدم السماح بوجود تنظيمات في الداخل، إلا أن المتتبع للحالة التاريخية ودراسات الإسلام السياسي، يرى وجود مثل هذه المدرسة الفكرية وامتدادها الداخلي المحلي، إلا أن الأمر مختلف فيما يتعلق برؤيتهم للصوفية، الذين ربما لأمرين - لم يستطيعوا توطيد علاقات جيدة برموز الصوفية - هما:

- سيطرة الجناح السلفي على هذه المدرسة العريقة، وهو الذي لا يسمح بحدوث مثل هذه العلاقة على المستوى القريب للاختلالات العقدية.
- قلق مسارها الداخلي من إبداء أي معارضة للمؤسسة الدينية الرسمية التي تناهض تماماً أي علاقة تقارب مع تيار الصوفية.

وهناك تصور آخر بمستوى بناء هذه العلاقات، يتعلق بقلق الإسلام الحركي في السعودية (الإخوان - السرورية)، من التأثيرات التي

(27) مقابلة مع زيد الفضيل، مصدر سابق.

الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل

أحدثتها الصوفية وانتقالهم من "مجالس الزهد والموائد"، إلى خانة "التنظيمات الحركية"، حيث أضحت تتبع نفس آليات البناء الهرمي الحركي في التجنيد، وبناء البرامج التربوية الخاصة، والدعم اللوجستي لترسيخ فكرها الصوفي في الأتباع، خاصة بعد خروج عدد من الكوادر المحسوبة على آل البيت من رحم تلك الجماعات الحركية، والتي استفادت كثيراً من الممارسات التنظيمية، والتي بدورها ورثتها لمحافلها الصوفية.

فعلى الرغم من مبادئ الصوفية في البعد عن "السياسة التي تعتبرها شيطانية"، يضاف قلق آخر في مستويات العلاقة الجانبية بين "الحركيين والمتصوفة"، ومصدره يأتي من الجيل الجديد من أبناء المتصوفة الذي عايش عصر الانفتاح الهائل في وسائط الاتصالات، وما أحدثه ذلك من انعكاس واضح على جيل الصوفيين الجدد، الذي شارك عدد من شبابه - على سبيل المثال - في المطالب الإصلاحية السعودية الأخيرة التي ترافقت مع عودة العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز في 23 شباط (فبراير) 2011، بعد "ربيع الثورات العربية"، كما يأتي القلق لدى الحركيين أيضاً من خلال عدم ممانعة مشايخ الصوفية لجيلهم الجديد من ممارسة أدوار تتعلق بالوعي السياسي، ولكن ليس على حساب تزكية النفس، وكذلك من مشاركة رموزهم الجدد في انتخابات

الأندية الأدبية، بحيث نجح أحد قياداتهم في الوصول إلى شرفية نادي مكة الأدبي هو السيد عبد الله فدعق⁽²⁸⁾.

البيت الصوفي الداخلي

رأى عدد من المراقبين في المقابلات التي أجريتها أن مسألة العلاقة المتوازنة بالتيارات الداخلية في السعودية (بالنسبة للصوفية)، مرهونة بترتيب بيتها الداخلي، والذي كان محل جدل ونقاش كبيرين، خاصة بعد الانحسار في غياب الشخصية الدينية المؤثرة، بعد وفاة السيد المالكي في 2004.

وفي عدد من لقاءاتي برموز التصوف المحلي، أوضحوا فيه حجم الفراغ الكبير الذي تركه السيد المالكي بوفاته، كما ظهر حجم الضعف في مساندة وجهاء الحجاز لأي بديل يمكن أن يخلف مكانه، لاسيما وأن من تبني مشروع دعم المرجعية الدينية الحجازية من الوجهاء والمسؤولين الحجازيين ورجال الأعمال قد بلغ بهم العمر مداه ووهنت قواهم، ومنهم

(28) السيد عبد الله فدعق من مواليد مكة المكرمة، يعد من أبرز قيادات الصوفية الحاليين بالسعودية، أخذ العلوم الإسلامية عن عدد من العلماء في المسجد الحرام وغيره، أبرزهم جده إمام الشافعية حسن فدعق، ووالده محمد فدعق، ثم محمد علوي المالكي، وهو حاصل على بكالوريوس في الدعوة ودبلوم وماجستير في التربية ودرجة الدكتوراه في القانون الإسلامي. جده الإمام حسن فدعق تولى إمامة الشافعية بالمسجد الحرام بمكة المكرمة عام 1892 وقد ورثها عن عمه عمر وقبله جده عبد الله الذي تولى تلك المهمة عام 1809. في عام 1998 أخذ عبد الله فدعق موافقة والده على إنشاء جلسة أخرى بجدّة تقام كل يوم أحد بشكل مستمر، حيث يقوم بتدريس أمهات كتب العلوم الإسلامية، بالإضافة إلى الفعاليات الإسلامية والدعوية والإرشادية. لديه نشاطات عديدة منها : عضو مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، ناظر منتخب للسادة آل البيت النبوي من أبناء بني علوي بجدّة، عضو نادي مكة المكرمة الثقافي، عضو الهيئة التعليمية بمدرسة الصولتية بمكة المكرمة. شارك في اللقاء الوطني للحوار الفكري، عامي 2004 و2009. له عدد من المؤلفات منها (فوائد وفرائد، رسائل متنوعة في مقاصد الشريعة الإسلامية، نضرة النضرة في التطبيقات العملية من حياة معلم الأمة صلى الله عليه وسلم، الكواكب البازغة من الحجة البالغة، الأنشطة من المنظور الشرعي)، بالإضافة إلى كونه كاتباً أسبوعياً بصحيفة الوطن السعودية.

الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل

من قضى نحبه، ومن جاء من بعدهم لم يعد مسكوناً بهذا الهمّ بالدرجة التي كان عليها الجيل الأول، وبالتالي فقد فقدت الساحة العلمية الجديدة ذلك الدعم والمناصرة القوية التي استأنست بها الحركة الصوفية إبان حياة السيد المالكي، وشكل غياب الشخصية الكاريزمية البديلة عبئاً جديداً على مسار الحركة في الحجاز، خصوصاً وأن صورة السيد الكاريزمية لازالت ماثلة للعيان عند كثير من المهتمين بمتابعة مسيرة الحركة الصوفية في الحجاز.

وتتقاطع تلك الرؤية مع تفاصيل المشهد الذي تراه التيارات الحركية، من وجود صراع صوفي داخلي حول من يمسك بزمام القيادة، ويمكن تقسيم المشهد الصوفي اليوم لثلاثة مسارات رئيسية وهي:

مسار تجديدي؛ وتمثل في بروز عدد من طلبة العلم المهتمين بتأصيل السلوك الصوفي ضمن مسار الأجيال الشبابية المعاصرة، حيث حرص أولئك على تقديم الحراك الصوفي بحلة جديدة، تتناسب وتطلعات الشباب ونمط تفكيرهم الديناميكي على غرار ما بات يقدمه الدعاة الجدد من أفكار معاصرة برؤية تأصيلية، دون الاهتمام بالتعمق في الجانب العلمي والشرعي، الذي لم يعد أحد من الشباب المعاصر قادراً على استيعابه وهضمه بشكل سليم، لانتفاء الدافعية إلى ذلك، ولسيطرة وهج الرغبة بالمعلومة السريعة على نمط تغذية أذهانهم، كما سيطرت وجبات الأكل السريع على نمط تغذية أجسامهم، إضافة إلى ذلك فقد اهتم أصحاب هذا المسار بالخروج عن الصورة النمطية التي يمكن أن

ترتبط بعلماء الحركة الصوفية، فعلى الرغم من محافظتهم على الشكل الظاهري للشخصية العلمائية المتمثلة في لبس العمامة والجبّة العربية كرمز تراثي له دلالاته الوجدانية على المتلقي بشكل عام إلا أنهم حرصوا على المشاركة في كثير من الفعاليات الاجتماعية العصرية، كعارض الفن التشكيلي مثلاً، واهتموا بتبني ومساندة العديد من المشاريع التنموية غير الربحية المتعلقة برعاية الأطفال، ورعاية بعض الأمراض المزمنة، إلى غير ذلك من الفعاليات التطوعية التي تتلامس مع هموم واحتياجات المجتمع الشبابية ذكوراً وإناثاً.

مسار تقليدي أصولي: أما المسار الآخر فقد تمثل في أولئك الذين حافظوا على مسيرة حراكهم المعرفي، وآمنوا بأن تنمية السلوك وتهذيبه يحتاج إلى تغذية الروح والعقل بوجبة كافية من الغذاء الروحي والعقلي، الذي لا يكون إلا بثني المريد لركبتيه أمام شيخه ليتلقى منه المعرفة، ويكتسب من ملازمته أسس التربية السلوكية القويمة، وقد حرص هؤلاء على استمرار النهج التعليمي التقليدي، ولم يُشغلوا أنفسهم بمتابعة المتغيرات السريعة الطارئة على فئة الشباب، إيماناً منهم بأن القلة الدائمة المتمكنة خير من الكثرة المزيّفة المنقطعة.

مسار وراثي: على أن هذا المسار الثالث قد ارتكزت دعائمه على جانب الامتداد النسبي، وهو مسار يمكن أن يكون له دوره الرائد في حال تمكن الوارث من تطوير قدرات مساره ضمن إطار الحركة الصوفية بالشكل الصحيح، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان الوارث على قدر واسع من

الصوفية السعودية وإعادة تشكيلاتها في الداخل

العلم، واختط لنفسه منهجاً علمياً يكون في جانب منه امتداداً لمسيرة من سبقه، وفي الجانب الآخر يشكل علامة متجددة له على الصعيد المعرفي والسلوكي، وهو ما لم تتضح معالمه بعد ضمن إطار مسيرة الحراك الصوفي المعاصر في الحجاز.

والأمر الآخر في مسار تنمية العلاقات بين الصوفية والتيارات الأخرى، هو دعوة البعض لتحول الصوفية إلى طريقة⁽²⁹⁾، مقارنة بما هو حاصل في السودان والمغرب، وغيرها من البلدان ليكون لها مريدون وأتباع وشيوخ طريقة كي لا تتفرط السلسلة المتصوفة السعودية⁽³⁰⁾.

وهذه المسألة عدّها البعض - في المقابلات التي أجريتها- أمراً ضرورياً في تأطير العلاقات مع مختلف التيارات الداخلية، وهذا ما أشارت إليه واشنطن بوست الأمريكية في تقرير سبقت الإشارة إليه من أن الاتجاه الصوفي بالسعودية ما زال يعبر مرحلة إثبات وجوده المتوازن في مقابل الاتجاهات الأخرى، مستفيداً من التحولات الاجتماعية والفكرية والاقتصادية على المستويين المحلي والدولي، إلا أن نقطة ضعفه البنيوية

(29) الطريق لغة: هي السيرة، وطريقة الرجل: مذهبه، يقال: هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة. واصطلاحاً: اسم لمنهج أحد الممارسين في التزكية والتربية والأذكار والأوراد أخذ بها نفسه حتى وصل إلى معرفة الله، فينسب هذا المنهج إليه ويعرف باسمه، فيقال الطريقة الشاذلية والقادرية والرفاعية نسبة لرجالها. وتختلف الطرق التي يتبعها مشايخ الطرق في تربية طلابها ومريديها باختلاف مشاربهم واختلاف البيئة الاجتماعية التي يظهرون فيها. وللطرق الصوفية شارات وبيارق وألوان يتميزون بها. وتشير مصادر أخرى من أن أبو سعيد محمد أحمد الميهي الصوفي الإيراني (عام 430هـ)، أول من وضع هيكل تنظيمي للطرق الصوفية بجعله متسلسلاً عن طريق الوراثة، ويمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها حيث انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فظهرت الطريقة القادرية المنسوبة لعبد القادر الجيلاني (561هـ). كما ظهرت الطريقة الرفاعية المنسوبة لأبي العباس الرفاعي (540هـ)، وفي القرن السابع الهجري دخل التصوف الأندلس وأصبح ابن عربي أحد رؤوس الصوفية (638هـ). في حين أن مصادر المتصوفة تشير إلى أن أصل الطرق الصوفية يعود إلى عهد رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عندما كان يخصّ كل من الصحابة بورد يتفق مع درجته وأحواله. وهو ما يرفضه عدد من العلماء الشرعيين، من أن الطرق لا تستند إلى الأصول الشرعية.

(30) الجزيرة.نت، مصدر سابق.

تكن في كونه لا يزال مبعثراً ولم ينجح حتى الآن في تنظيم صفوفه في إطارات تنظيمية ومؤسسية يمكن لها أن تشكل قاطرات وقتوات استيعاب للمخزون الاجتماعي والفكري والحقوقى التي قد تنقله إلى مستوى التحديات التي تفرضها التيارات الأخرى، بالرغم أن شخصيات محسوبة على التيار الصوفي مثلت حجر الزاوية في الحراك الإصلاحى في كل مجالات الدولة والمجتمع وساهمت في تطوير الإعلام وافتتاحه في مجال الصحافة، كما لعبت دوراً رئيسياً في تعزيز حقوق المرأة الاجتماعية والفكرية والسياسية، وأسهمت في ارتقاء الوعي المطالب لدى كل الفئات الاجتماعية لكي تقدم رؤية مطلوبة شاملة تتجاوز التطلعات الخاصة والفئوية⁽³¹⁾.

وربما يعزز "نظرة الطريقة" هو حالة الصراعات الداخلية في المسك بزعامة القيادة في الحراك الصوفي السعودي، خصوصاً بعد غياب الشخصية الدينية المؤثرة بعد الفراغ الكبير الذي أحدثته وفاة السيد المالكي، وهو ما يرفضه آخرون من قادة صوفية يمثلون التيار التجديدي، مثل السيد عبد الله فدعق الذي نفى في أكثر من مناسبة أن تكون متصوفة السعودية تعاني من غياب الشخصية المؤثرة، بعد وفاة المالكي، معتبراً أنه "امتداد للعلماء السابقين، وشاءت الظروف حينها أن يكون في ذلك الوضع، وأن الدروس العلمية وحلقات الذكر والإنشاد، لم تزل معمولاً بها في جدة ومكة المكرمة، ويحضرها المريدون وطلبة العلم"⁽³²⁾.

(31) الواشنطن بوست، مصدر سابق

(32) الجزيرة.نت، مصدر سابق

إلا أن هناك من يرى أن اتباع طريقة ما سيعرض مسار الدعم المالي (العمود الفقري) للاهتزاز بشكل واسع وجلي، حيث إن متصوفة السعودية، يتلقون دعماً مالياً من جميع الطرق ومريديها، وهو ما يضمن استمرار التدفقات المالية عليها، وسير نجاح دعوتها في الداخل.

مستوى العلاقات الصوفية مع التيارات في الداخل السعودي

- ما يتعلق بالعلاقات مع المؤسسة الدينية الرسمية، فالأمر لديها ثابت لن يتغير إلا أن الأمر يحتاج إلى لقاءات خصوصاً بين علماء الصوفية وأعضاء هيئة كبار العلماء، للوصول بقدر الإمكان إلى صيغة تفاهم تمنع أجواء التشنج.
- في ما يتعلق بالسلفية الجامية، فإن الأمر سيبقى متشجناً، لأنها تمارس أدواراً وظيفية في هذه المرحلة، ومركزيتها هي "مهاجمة القبوريين".
- ما يتعلق بالسلفية الحركية "الإخوانية والسرورية"، الأمر يحتاج إلى لقاءات مباشرة تحاول في الأساس تجلية "الاستخدام السياسي للصوفية من قبل أطراف داخلية وخارجية"، ويمكن الاستفادة من الحركيين المنسوين لآل البيت باعتبارهم الأقدر على رسم خارطة طريق في تنقية الخلافات، أو ممارسة دور الوساطة الإيجابية، ويمكن الاستفادة من تجربة سلفيي الجنوب السوداني، وتطبيقهم لمعالم منهجهم في رسم ملامحهم الاستراتيجية في مجتمع لعبت فيه الأساطير الوثنية دورها، ومع

ذلك نجحت في تخطي ذلك على الرغم من نسبة الوثنيين التي تصل إلى 65% (33).

- العلاقة بين الصوفية والتيارات المذهبية الأخرى، سواء مع الليبرالية أو المذاهب الأخرى كالشيعة والإسماعيلية، ليست متدهورة، لكن من زعماء الصوفية من يرى في الشيعة غلوًا كبيراً وخروجاً على محبة آل البيت.
- أما المؤسسة السياسية السعودية فمن المهم تفعيل توصيات مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، وأن تكون الدولة طرفاً فاعلاً في جلسات الحوار، وأن لا ينحصر دورها في الجانب الإشرافي أو الدعم المالي لأنشطة المركز فقط، وأن تقوم بدورها في الملمة "الحركات الداخلية"، لتبقى تحت إشرافها المباشر وتضمن عدم تصعيدها بالشكل الذي يضر بمصلحة الأمن القومي وسلمه الأهلي.

(33) الإسلام في دولة جنوب السودان الجذور، الواقع، المستقبل، مركز المسبار للدراسات والبحوث (الكتاب الشهري).

المسبار

التصوف وتحولاته في مشهده المعاصر

آسيا الوسطى وتركيا وإيران ومصر

محمد حلمي عبد الوهاب(*)

لا أحد ينكر على الإطلاق ظاهرة "الإحيائية الصوفية"،
التي برزت بقوة على الساحة العالمية منذ العقد الأخير من القرن
العشرين حتى الآن. مع الاعتراف بندرة نصيب العالم العربي
الإسلامي منها وبروزها بشكل أكبر على مستوى كل من أوروبا
والولايات المتحدة الأمريكية ووسط وجنوب آسيا بصفة خاصة.

(*) باحث وكاتب مصري. مدير تحرير مجلة رواق.

ومما يثير الدهشة في النظر إلى هذه الظاهرة، هو تعدد تجلياتها في الواقع. فهناك الشكل التقليدي للطرق الصوفية بتنظيماتها وتفرعاتها المعروفة، وهناك حركات لا تتبع الشكل التنظيمي بل ولا تعد نفسها أحياناً صوفية رغم تجذر عامل التصوف فيها، فمثلاً هناك أشخاص يتبعون مجموعة قراءات لكتابات جلال الدين الرومي، أو يتبعون الحركة الاصطفائية للعصر الحديث المتأثرة بالفكر الصوفي أو الممارسات الصوفية، دون أن يكون لهم أي انتماء رسمي للصوفية التقليدية ذات الجذور القوية في العقيدة والممارسات الإسلامية.

ومع ذلك، يمكن النظر للإحيائية الصوفية المعاصرة على أنها "إسلام مثالي"، فمن الاستحالة بمكان أن نؤمن بالإسلام دون الحقائق الأصلية التي يعتقها الصوفيون بطريقة منتظمة. ويأتي على رأس تلك الحقائق قيمة الإحسان الذي يفهم على أنه الوعي الداخلي أو الوعي الذي لا تقف الأنا في طريقه أو الخيالات التافهة أو الانشغالات بالماضي أو الانشغالات الدنيوية. ففهم الصوفية بهذه الطريقة يمثل "صلب الإسلام" بصفته ديناً وتطلعاً شخصياً يركز على إعداد الإنسان في سعيه لتأسيس العلاقة المطلقة بالإله. هذا وستبحث الفقرات التالية النفوذ الصوفي في كل من مناطق آسيا الصغرى والقوقاز وتركيا وإيران ومصر كنماذج مفسرة للحضور الصوفي في العالم المعاصر.

التصوف في آسيا الوسطى⁽¹⁾

من المعلوم تاريخيا، أن الصوفية ساهمت بشكل كبير في انتشار الإسلام في أواسط آسيا، وشرقها وجنوبها، وشبه القارة الهندية، وما وراء الصحراء الكبرى الإفريقية، وكانت قوة روحية واجتماعية على حد سواء⁽²⁾. وتبعاً لذلك، فإن الميراث الذي تركه المتصوفة إنما يتمثل في إسلام حضاري يُدعى إليه بحساسية تجاه الثقافات الأخرى ويدعو إلى التعاون بين الأديان في الوقت الذي لا يهمل فيه الحياة الداخلية والتوجه الروحاني من أجل الانضمام إلى أية حركة سياسية.

لقد فتح المسلمون آسيا الوسطى خلال خلافة معاوية بن أبي سفيان، وبعد احتلال المغول لبغداد عام 1258م أصبحت الصوفية القناة الرئيسية لانتشار الإسلام في آسيا الوسطى. وبمقارنة التصوف بالاتجاهات الإسلامية الأخرى، يسهل ملاحظة أن انتشار الصوفية كان أسرع وذلك بسبب انفتاحها وتقبلها للأديان الأخرى وتأكيدها الواضح والبسيط على البساطة والتقوى والنقاء.

(1) راجع حول الوجود الصوفي في مناطق آسيا الوسطى: هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2004.

(2) لمزيد من التفاصيل حول إسهامات المتصوفة في نشر الإسلام يرجى الرجوع إلى:

- د. لطيفة الأخضر: الإسلام الطرقي، دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية، دار سیراس للنشر، تونس، 1993م.

- الصوفية والدعوة في قلب إفريقيا، على الرابط التالي:

<http://www.islamonline.net/livedialogue/arabic/Browse.asp?hGuestID=095r80>

وقد استمرت هذه العملية بوتيرة متسارعة في الفترة العثمانية (القرن 14-18 ميلادي) حيث أصبحت مدن أواسط آسيا الرئيسية مثل بخارى وسمرقند مراكز رئيسية للعلم، ومركزاً كذلك لمئات المدارس الصوفية، كمدرسة خراسان التي ظهرت بها شخصيات صوفية بارزة مثل: أبو يزيد البسطامي (ت 261 هـ)، والحكيم الترمذي (ت 320 هـ)، وأبو نصر السراج الطوسي (ت 378 هـ) وأبو الحسن الخرقاني (ت 425 هـ)، وعبد الرحمن السلمي (ت 427 هـ)، لاقت شعبية واسعة في خراسان العظمى (آسيا الوسطى).

تمثل الصوفية في آسيا الوسطى اليوم، كما في غيرها من المناطق الآسيوية الأخرى، الجوانب الفكرية والروحية في الإسلام القادرة والراغبة في أن تتواصل مع الأديان والثقافات الأخرى (وبخاصة الأديان السماوية). ويؤيد ذلك بقوة تاريخ الصوفية في هذه المنطقة حيث واجهت عند دخولها إليها أدياناً متعددة وتقاليد دينية متباينة تتوزع ما بين الزرادشتية إلى العدمية الشامانية... إلخ.

ومع ذلك، فإنها قبلتها جميعاً بوصفها أشكالاً مختلفة لحقيقة واحدة، وعاملت أتباعها باحترام بالغ ومن ثم نالت احترامهم أيضاً. وحيث إن الصوفية انتشرت أساساً عن طريق التجار والعلماء الرحالة، فقد كانت قادرة على الوصول إلى جمهور لديه الاستعداد التام لتقبل تعاليمها السمحة في المناطق الحضرية والريفية على حد سواء.

بيد أنه حالما تأسست الصوفية ووطدت أركانها ظلت دونما تغيير يذكر لقرون عديدة. إلا أنها ظلت في الوقت نفسه متغلغلة ضمن تضاعيف المجتمع هناك من خلال شبكات الأخوة الصوفية المنظمة والتي كانت، ولا تزال، تتمتع بشعبية عالية بين معظم الطبقات الاجتماعية فقيرها وغنيها في آن معاً. وقد استمرت الصوفية على هذا المنوال في ممارسة تأثير كبير في المسلمين حتى العام 1988م، ويأتي على رأس الطرق الصوفية المنتشرة بقوة هناك الطريقة النقشبندية والتي تعد الأكثر شعبية ثم القادرية والخلوتية والعيسوية.

فعلى مدار التاريخ الإسلامي بقيت أواسط آسيا واحدة من أهم مراكز التصوف الإسلامي، إلى أن قام السوفييت على مدار ثمانين عاما في العصر الحديث باضطهاد أتباعها حتى أصبحت مجهولة إلى حد كبير، وأغلقت مدارسهم التي كانوا ينشرون العلم من خلالها ومنعت النصوص الصوفية من النشر والتداول... إلخ. ونتيجة لذلك، فإن نصوص الصوفية في أواسط آسيا تم اجتثاثها من قبل الباحثين السوفيت في مراكز الاستشراق الروسية.

ونتيجة لذلك أيضاً، أصبح تاريخ الصوفية في أواسط آسيا يكاد لا يكون معروفاً بالنسبة لأحد في العالم، لا العلماء الغربيون ولا حتى بالنسبة لشعوب أواسط آسيا أنفسهم، فقد ظلت الصوفية غائبة إلى حد كبير في الذاكرة الجماعية لدى مسلمي أواسط آسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

وللأسف الشديد، فإن هذه الفجوة في الثقافة والهوية قد تم ملؤها بمسلمين تابعين للفكر السلفي الوهابي والمودودي على نحو ما سنفصل في ما بعد.

غير أن العديد من دول آسيا الوسطى قد أدركت مؤخراً أهمية استعادة الثقافة الصوفية بالنسبة لمجتمعاتها؛ فشهدت أوزباكستان، على سبيل المثال، طفرة وزيادة في نشر الكتابات الصوفية وبخاصة كتابات بهاء الدين النقشبندي، ونجم الدين كوبرا. وفي عام 2004 ساهمت الدولة هناك في نشر إحدى روائع الأدب الصوفي وذلك عن طريق ترجمتها إلى اللغة الأوزبكية الحديثة وهي كتاب الشرنافاي المعنون بـ "لغة الطيور"⁽³⁾.

أيضاً كان هناك محاولة حكومية أخرى لربط مفهوم "المجتمع المدني" الغربي بعناصر من الصوفية. وضمن هذا السياق أسست في أوزباكستان خلال العام 1994م وزارة أطلق عليها "المركز الشعبي للروحانية والتنوير"، ولكن بدلاً من المعنى الأصلي لكلمتي "الكشف والروحانية" قُدمت هذه المصطلحات بمعان علمانية كالوصول إلى طاقة الإنسان الكاملة، و"المشاركة الكاملة في المجتمع المدني". وعلى الرغم من صعوبة أن تكون خطوة كهذه بمثابة إحياء مؤسساتي للثقافة الصوفية الأوزبكية، إلا أن مثل هذه التحركات يمكن اعتبارها بمثابة خطوة أولية تتجاوز حدود الأسر الوهابي الطويل والماضي الماركسي في آن معا وتضم على الأقل بذور

(3) تهتم بعض أقسام جامعة طقشند الإسلامية (بخاصة كلية تنمية الكفاءة وإعداد الكوادر) بدراسة نظرية بناء المجتمع الديمقراطي وتطبيقاتها، والذي يعد واحداً من أهم أهداف المجموعة الدراسية بها بغية إعطاء الطلاب المفاهيم الأساسية عن تشكيل وإنشاء المجتمع الديمقراطي المدني وأهداف عمله في أوزبكستان ونواحي الحياة في المجتمع الأوزبستاني، فضلاً عن دراسة وتجربة وتحليل سياسي وتجريبي واجتماعي لمقومات التقاليد الثقافية هناك، واستغلال الميزات القومية والقانونيات المعترفة من الجميع في بناء المجتمع الديمقراطي في أوزبكستان وعلى رأسها التقاليد الصوفية.

زواج بين الصوفية الأوزبكية التقليدية مع المبادئ السياسية والاجتماعية النابعة من مفهوم المجتمع المدني الحديث والمعاصر.

فضلا عن ذلك، هناك حضور كبير وطاق للطريقة النقشبندية على وجه الخصوص، وآية ذلك أن أكبر مدرسة في أواسط آسيا يرأسها شخص نقشبندي، وكذلك "اللجنة الحكومية للدراسات الدينية". وبالإضافة إلى ذلك، هناك بالقرب من مدينة كوكاند شيخ يقوم حالياً بتدريس قيم النقشبندية الكلاسيكية. وقد حاول باحثو الحقبة السوفيتية إبراز النشاط العسكري الصوفي على حساب الجوانب الثقافية والروحية الأخرى. وفي كل الأحوال، فإن الثقافة النقشبندية بصفة خاصة والصوفية بعامة يُنظر إليها على الأقل من قبل الحكومة الأوزبكية على أنها حافزة ومؤيدة للتغيير الاجتماعي والتحول الديمقراطي المنشود، وذلك من خلال إعادة التثقيف التدريجي بدلاً من التعويل على الثورة السلفية الجهادية العسكرية أو أسلوب الطالبان، خاصة في ما يتعلق بفرض القيم الدينية.

وبالإضافة إلى إحياء القيم الصوفية التقليدية لأواسط آسيا في المؤسسات التعليمية، وفي النشر والصوفية النقشبندية، هناك إعادة إحياء للقيم الصوفية في أواسط آسيا من خلال زيارات الأضرحة. ففي مقالة لديفيد تايسون David Tayson بعنوان "الحج إلى الأضرحة في تركمانستان"، يؤكد تايسون على أهمية زيارة الأضرحة وارتباطها بهوية تركمانستان القبلية. خاصة وأن الصلات الثقافية والتاريخية لهذه

التصوف وتحولاته في مشهده المعاصر - آسيا الوسطى وتركيا وإيران ومصر

الأضرحة، وبخاصة في هذا البلد، كانت قد فقدت في الغالب تحت الحكم السوفيتي مما أدى إلى خلق فراغ ثقافي كبير هناك.

وفي الواقع، إن أهمية زيارة الأضرحة أمر فريد بالنسبة للهوية التركمانية فضلاً عن كونها تلعب دوراً مهماً، وإن بدرجات متفاوتة، في هوية الكازخ والأوزبك والأفغان والطاجيك، وإلى درجة ما في الإحياء الثقافي المرتبط بضريح بهاء الدين النقشبندي في بخارى.

ووفقاً لإحصائيات عام 1970م،⁽⁴⁾ فإن خمسمائة ألف من بين سبعة وعشرين مليوناً كانوا أعضاء في الطرق الصوفية، وقد تجنبت بعض الطرق الصوفية الأقدم، بما فيها القادرية، العمل السياسي المباشر، فيما انغمس أتباع الطريقة النقشبندية بصفة خاصة في الحياة السياسية الروسية خلال الجزء الأخير من القرن التاسع عشر.

وفي المحصلة، كان تنظيم الطرق الصوفية مؤثراً بدرجة عالية في نشر المفاهيم الدينية وكذلك الثورة والمقاومة المسلحة، وخلال تلك السنوات من المواجهة ظلت اللغة الفارسية الأداة الأساسية للاتصال (وبخاصة الشعر الصوفي). ومن المتوقع أن يستمر هذا الاتجاه (اعتماد الفارسية للتواصل الصوفي) في السنوات القادمة، ففي طاجكستان على سبيل المثال، ثمة اهتمام خاص باللغة الفارسية وشعرها كما يشير إلى ذلك الطباعات الجديدة من الدواوين والنصوص الصوفية.

(4) Zeyno Baran (Editor): Understanding Sufism and its Potential Role in US Policy, Nixon Center (4) Conference Report, March 2004

الصوفية في القوقاز⁽⁵⁾

هناك تعميمان صحيحان يمكن تطبيقهما على الصوفية في القوقاز: الأول يتمثل في الاعتراف بأن منطقة القوقاز - ما عدا المناطق الشيعية في أذربيجان- تعد جزءاً من العالم السني الإسلامي حيث الاندماج التام بين الشريعة/الفقه والحقيقة/التصوف، والذي تم بفضل جهود حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت 505هـ).

ففي شمال القوقاز، على الأقل حتى دخول تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كان هناك تداخل بين الصوفية والعلوم الإسلامية، وكان شيوخ الصوفية يتمتعون بتعليم جيد. وقبل الحكم الشيوعي كانت لغة الداغستان والشيشان هي العربية، وبعد عام 1991م اكتشف الباحثون الفرنسيون والروس قرى صغيرة في داغستان بالقرب من حدودها مع جورجيا حافظت على تقليد نشط لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية سرّاً خلال العهد السوفيتي.

(5) لمزيد من التفاصيل حول الحضور الصوفي والصراع مع الوهابية في منطقة القوقاز راجع:
- إنهام ذهني: التوسع الروسي في خانات آسيا الوسطى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ضمن أعمال مؤتمر "المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز"، مصدر سابق.
- حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، د.ت.
- سيد محمد السيد: لمحات من تاريخ العلاقات بين الدولة العثمانية وممالك آسيا الوسطى والقوقاز، ضمن أعمال مؤتمر "المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز"، مصدر سابق.
- عبد العزيز محمد: بين التركمان، دراسة أنثروبولوجية وتاريخية لتركمان آسيا الوسطى، ضمن أعمال مؤتمر "المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز"، والذي عقد بجامعة الأزهر في الفترة 28-30 سبتمبر 1993، المجلد الثاني.
- محمود طه أبو العلا: المسلمون في الاتحاد السوفيتي، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، د.ت.
- مصطفى دسوقي كسبه: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، هدية مجلة الأزهر، عدد جمادى الآخرة 1414 هـ.

أما الوجود النقشبندي النشط في القوقاز، فقد أُدخل إلى المنطقة إبان القرن الرابع عشر وتمت تقويته فيما بعد عن طريق الطريقة الحقانية المتفرعة من النقشبندية والتي كانت مهيمنة طوال القرن التاسع عشر. حدث ذلك على أعتاب نهضة رئيسية يطلق عليها "الصوفية السياسية" والتي لم يتم تحليلها تحليلاً كافياً بعد، على الرغم من أهميتها كظاهرة صوفية معاصرة. وفيما بعد (خلال القرن العشرين) بدأت الطريقة الحقانية النقشبندية بمواجهة السيطرة الروسية، وسرعان ما تم ربطها بالصراع الأوسع ضد الاستعمار. وفي المحصلة، أصبح شمال شرق القوقاز: إنجوشيا والشيشان وداغستان وأجزاء من أذربيجان مكاناً مثل بولندا وليتوانيا وأيرلندا من حيث اندماج الدين بالقومية.

وفي ما يتعلق بأئمة التصوف في شمال القوقاز، نصادف ابتداءً من عام 1829م أربعة أعلام مارسوا دوراً بالغاً في الإحياء الصوفي ومقاومة الاستعمار الروسي وبعد آخرهم "الإمام شامل" أهمهم جميعاً إذ قام بحملة مقاومة ناجحة جداً ضد روسيا كالذي قاده زعماء مثل الإمام عبد القادر في الجزائر عام 1830م، والجهاديين الأفارقة في عام 1840م مثل عثمان بن فوديوي في نيجيريا والنيجر، حيث كان هناك تدفق كبير للصوفية الجهادية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وقد زادت أهمية الإمام شامل كثيراً بعد وفاته من خلال حملات الإبادة الجماعية التي تمت بحق مسلمي القوقاز في عهد ستالين بعد الحرب العالمية الثانية.

وبسبب هذا الاتجاه دُفعت الصوفية دفعا تاماً إلى السرية وحرمت من الاتصال بالعلوم الإسلامية الأخرى حتى أصبحت جزءاً من الفولكلور الشعبي ليس إلا، بل وأكثر محلية وعرقية و "وثنية" على حد تعبير السلفيين. وبالتالي انهار الارتباط والتراثيبي مع الطرق الصوفية العالمية. ونظراً للحاجة الماسة إلى السرية لم يكن ثمة بنايات خاصة يجتمع فيها المتصوفة بغرض الذكر أو التعلم. بحيث أصبحت الصوفية مؤسسة اجتماعية وجانباً من الحياة الاجتماعية والأسرية للشيشان، وبخاصة الداغستانيون في الشمال الغربي، أكثر من كونها طريقة حقيقية يختارها الإنسان. والدليل على ذلك أنه لم يعد يوجد أدنى اختلاف بين التلاميذ والمعلمين في المظهر أو الممارسات الاجتماعية، الأمر الذي يعتبره البعض بمثابة نقطة البداية الحقيقية للنموذج السلفي الذي استولى على الأبعاد السياسية الإيديولوجية للإسلام.

وفي الحقيقة، ليس ثمة إسلام سياسي ذو طبيعة صوفية في شمال القوقاز حالياً. والمشكلة في القوقاز جديدة لأنه حتى وقت قريب جداً لم يكن هناك وجود للوهابية، وبعد سقوط الشيوعية انتعشت الصوفية حتى أن ستين بالمائة هناك كانوا يعرفون أنفسهم بأنهم صوفيون، فضلاً عن وجود نحو أربعين طريقة صوفية مسجلة رسمياً، وليس من المبالغة القول إن الصوفية باتت تستعيد دورها التاريخي في شمال القوقاز، على الرغم من صعود السلفية الذي يظل أكثر وضوحاً.

غير أن مشكلة الصوفية والوهابية تمثل جزئياً صراعاً أكبر بين الأصولية والصوفية على جوهر الإسلام، وثمة اختلاف مهم بين الاثنين يتعلق بتفسير الجهاد؛ ففي الصوفية يعني الجهاد بذل الجهد من أجل التطهر الروحاني الشخصي، بينما يمثل لدى الجهادية السلفية الصراع من أجل انتصار عالمي للإسلام، وشبيه بذلك تعد الولاءات التقليدية والعشائرية والقومية مهمة للصوفية، بينما يرى السلفيون هذا التفكير على أنه غير إسلامي، ويجادلون أن الإنسان يجب أن يسعى من أجل جمهورية شمال القوقاز الإسلامية أولاً وبعد ذلك يتطلعون إلى انتصار الأمة في العالم كله.

وهكذا أسست السلفية الجهادية مجتمعات صغيرة، ولكنه قوي جداً يتألف من خمسة في المائة من سكان شمال القوقاز. وقد أدى دخولهم المنطقة إلى جعل المقاومة الشيشانية متطرفة إلى درجة أن أصبحت دعوة مسلحة، فبالإضافة إلى مقاومة الروس هاجمت فرق المقاومة الصوفيون وهدمت الأضرحة متهمين شيوخ الصوفية بالبدعة وأخيراً تم إعلان أن الصوفية كفاراً وبعد أن تعرض غزو الجهادية السلفية للداغستان للصد من قبل السكان المحليين بمساعدة الجيش الروسي في أغسطس 2000 تم القضاء نهائياً على السلفية بصورتها الجهادية المعلنة وتحولت المقاومة الشيشانية إلى اعتناق المذهب الصوفي.

الصوفية في تركيا⁽⁶⁾

على رغم من أن معظم المتصوفة يظلون أوفياء للتعليمات الأساسية والتقليدية للإسلام، إلا أن التطورات التي حملتها حركة العولة أفضت إلى خلق وفرض تحديات جديدة بالنسبة لهم. ففي تركيا، على وجه الخصوص، حاولت الطرق الصوفية هناك أن تتلاءم مع مستجدات العلمنة والعولة فيما بعد على الرغم من أنهم منعوا منذ عام 1924م من ممارسة أنشطتهم. وعلى رأس هذه الطرق الطريقة النقشبندية ذات الشعبية الواسعة في السياسة والثقافة التركية، كما أسست طرق ومجموعات صوفية أخرى صحفا ومجلات فضلا عن بعض المؤسسات المالية.

وإلى جانب ذلك، هناك بعض الحركات الدينية ذات الإسناد الصوفي والتوجه المدني والتي لا يمكن عدّها من الناحية الفنية من الطرق الصوفية، بالرغم مما تنطوي عليه من عناصر صوفية في حياة أتباعها الروحية. وعلى رأس هذه الحركات يندرج أتباع فتح الله جولان الذي يركز بالدرجة الأولى على النظرة الوسطية للحياة المعاصرة كقيمة بحد

(6) للوقوف على الحضور الصوفي الفعال في تركيا، وبخاصة فيما يتعلق بالمشاركة السياسية للجماعات والطرق الصوفية، راجع:

- هدى درويش: الإمام سليمان حلمي قدوة التصوف البناء في تركيا، مجلة التصوف الإسلامي، عدد 269 أغسطس 2001.
- هدى درويش: أعلام التصوف في تركيا: الشاعر التركي يونس أمره، مجلة التصوف الإسلامي، عدد 279، يونيو 2002.
- هدى درويش: محمد فتح الله كولن رمز الفكر الإسلامي المعاصر في تركيا، مجلة التصوف الإسلامي، عدد 316، مايو 2005.
- هدى درويش: تجديد الفكر الديني عند الشيخ المجدد التركي محمد فتح الله كولن، مجلة التصوف الإسلامي، عدد 317، يونيو 2005.

ذاتها. كذلك تختلف حركة جولان في تنظيمها عن باقي الطرق الصوفية، وذلك باتباعها أسلوب الروابط ذات النسيج غير المتشدد، وانتفاء التسلسل السلطوي، الهرمي التراتبي كما هو متعارف عليه في الطرق والتنظيمات الصوفية التقليدية إلا أنها تتشابه مع الطرق الصوفية في كونها لا تتجاهل البعد القلبي مع سعيها إلى إحداث نوع من التوازن ما بين الإسلام والحداثة.

ونتيجة لذلك، أسس أتباع جولان الذين يُعدون بالملايين شبكة تلفزيونية كبيرة وصحيفة مرموقة هي صحيفة الزمان، إلى جانب العديد من المؤسسات المالية فضلا عن الجامعات والمراكز التعليمية في تركيا وخارجها. وهم يدعون إلى تعليم ليبرالي مع التركيز على العلوم الطبيعية بصفة خاصة، كما أنهم منفتحون على التنوع ضمن هذا التنظيم حيث تضم مجموعاتهم الطلابية عدداً هائلاً من الناحية العرقية والدينية.

في الواقع، لا يُعد مؤسس هذه الحركة الذي اختير مؤخراً من بين أكثر عشرين مثقفاً مؤثرين على مستوى العالم⁽⁷⁾، شيخاً أو زعيماً لطريقة صوفية، مع أنه قام بتأليف العديد من الكتابات حول الصوفية. ونظراً لأنه لا توجد عضوية مرتبطة بهذه الحركة المدنية وليس ثمة بناء صوفي بها، يمكن وصفها بأنها حركة مدنية ذات توجه روحاني بفهم حديث للصوفية، بكلمات أخرى يمكن فهمها كطريقة للصوفية أو الصوفية الجديدة.

(7) طالع الخبر بموقع فتح الله كولن على الرابط التالي: <http://ar.fgulen.biz/content/view/698/19>

الصوفية في إيران⁽⁸⁾

على الرغم من أن تاريخ الصوفية في إيران شهد خلافات حادة بين الحين والآخر بين الطرق الصوفية وفقهاء الشيعة (الملائي)، إلا أن العلاقات بين المجموعتين اتسمت في الغالب بالسلمية، وغالباً ما تسامح كلا الطرفين أو أهمل أحدهما الآخر.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية العام 1979، ظهر إلى السطح من جديد التوتر القديم والصراع الكلاسيكي ما بين "العارف" و"العالم"، وكانت هناك تقارير عن تهديدات ضد الخانقاوات (مدارس الصوفية)، والتي تعرض بعضها للهجوم بالفعل من قبل الحشود الفوغائية ما أدى إلى تحديد نشاطات الصوفية هناك بسبب الأجواء المعادية لهم من قبل المشايخ ذوي الرتب المنخفضة وأتباعهم. ونتيجة لذلك، غادر إيران شيوخ

(8) مزيد من التفصيل حول واقع التصوف في إيران المعاصرة يمكن الرجوع إلى:
- مصطفى آزمايش: مدخل إلى التحولات التاريخية في سلسلة النعمة الإلهية في المراحل المتأخرة، تنقيح: محمد علي طاوسي، طهران، الطبعة الأولى، د.ت.
- Mystic Regimes: Sufism and the State in Iran, From the Late Qajar era to the Islamic Republic (الحكومات الروحانية: التصوف والسياسة في إيران أواخر العصر القاجاري وحتى الثورة الإسلامية)، بوسطن، ليدن). والكتاب عبارة عن دراسة سوسولوجية وتاريخية لتقييم الأداء والنهج السياسي لحكومتين شيعيتين (الحكم القاجاري ونظام الجمهورية الإسلامية في إيران) خلال القرن العشرين. حيث يلقي المؤلف نظرة على الشواخص السياسية لهذين النظامين، ويقارن مستوى النمو الاجتماعي والثقافي للشعب الإيراني، ويلاحظ بأن التصوف في هذه المرحلة قد برز بشكل أكبر قياساً بالمرحلة التي سبقتها، ثم يقوم بتتبع جذوره وجذور الأفكار الصوفية. كما يقوم باستعراض الطرق الصوفية في إيران مبيناً خصوصيات وعقائد كل منها. ومن عناوين فصوله: الحكومات الصوفية، الحلقة التامة، انتشار التصوف في إيران، ظهور فرقة النعمة الإلهية وولاؤها للملكية والمعارضة الدينية، المجتمع المدني في الثورة الثانية والثالثة، التمازض والحضارة والتصوف.
- جواد نوربخش: متصوفة خراسان، مطبعة يلدا هلم، طهران. ويحتوي على تراجم لكبار مشايخ الصوفية في إقليم خراسان الإيراني واستعراض آرائهم، حيث تعتبر هذه المنطقة خصوصاً شماليها ومدينة نيسابور مقبل التصوف في هذا البلد، وقد أراد من كتابه إحياء الأسماء اللامعة في هذا المذهب. ويتحرى المؤلف عن جذور التصوف في الثقافة الإيرانية، إذ يمتد أن منشأ هو الحضارة الآرية، وهو يركز إلى ثلاثة أركان: الفتوة، المحبة، معرفة الحق. أما الشخصيات التي ترجم لها المؤلف فهي: أبو الحسن النوري، أبو علي السندي، أبو تراب البخشي، محمد بن علي الترمذي، أبو بكر الوراق، أبو علي الجوزجلي، أبو حمزة الخراساني، أبو عثمان الحيري، أبو علي الدقاق، أبو علي الثقفى، أبو عمرو الزجاجي، أبو عبد الله تروغنجري، وعبد الله الرازي وغيرهم.

التصوف وتحولاته في مشهده المعاصر - آسيا الوسطى وتركيا وإيران ومصر

بعض الطرق الصوفية إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ناصحين أتباعهم بخفض نشاطاتهم من أجل أمنهم وسلامتهم.

لكن بالرغم من كل أولئك، شهد العقد الأخير من القرن العشرين نمواً غير مسبوق لشعبية المتصوفة في الجمهورية الإسلامية. ولعل أحد المؤشرات الدالة على هذا الأمر يتمثل في إعادة طبع ونشر عدد كبير جداً من المصادر الصوفية القديمة، وبخاصة تلك التي كانت متوفرة للصوفية بصورة مخطوطات. فضلاً عن ذلك، تم ترجمة العديد من الكتب عن الصوفية والروحانية لبعض علماء الصوفية المشهورين إلى الفارسية مثل مؤلفات: فريتجوف شون Fritjof Schoun وتيتوس، وبوركهارت Burkhart ومارتن لنجز Martin Lings وسيد حسين نصر وغيرهم.

كما قام بعض العلماء بنشر طبعات من مؤلفاتهم موجهة إلى جماهير أوسع، ومن هذه الكتب ترجمة الرومي التي كتبها أبو الحسين زارينكوب ورسائل حول شمس تبريزي والطبعة الثامنة لكتاب العلامة الطبطبائي المعنون بـ "لب الأبواب". أيضاً كان هناك إحياء للموسيقى الصوفية كأعمال بعض الموسيقيين المعاصرين مثل: محمد رضا لطفي، وشهرام نزييري، ومحمد رضا شاجريان، بالإضافة إلى موسيقى القوالي لنصرة فتح على خان، وتسجيل حلقات الساما والتسجيلات الصوتية المرئية (الفيديو) للمجالس الصوفية، وموسيقى المولوي وطرق الخواتي جراجي... إلخ.

ومن أهم الطرق الصوفية المشهورة في إيران والتي لها فروع أخرى في آسيا والولايات المتحدة الأمريكية:

1. طريقة نعمة الله: وكانت في الأصل طريقة سنّية ثم تحولت إلى التشيع في القرن السادس عشر. ولهذه الطريقة في الوقت الحالي أربعة فروع، أحدها مشتق من مؤسسه علي شاه ضرياساتيان، وشيخ هذه الطريقة الحالي هو الدكتور جواد نور بخش، ويعيش في لندن. وهذا الفرع نشط جداً في نشر الكتب حول الصوفية⁽⁹⁾.
2. الطريقة الكوثرية: كان الحاج محمد حسن مارغيهمي، المعروف بـ "محبوب علي شاه" أحد أكثر شيوخ الصوفية في إيران في القرن التاسع عشر، قد تم الاعتراف به بصفته قطباً للطريقة النعمة اللهيّة الكوثرية حتى مات عام 1955. وأعضاء هذه الطريقة الشيعية يلتزمون بالشرعية وهم دقيقون في مراعاة الاحتفال بمولد النبي ومولد الإمام علي بن أبي طالب والمناسبات الشيعية الأخرى. أما في ما يتعلق بالتركيبة القومية والعرقية والطبقية لاتباع الطريقة فمن المهم أن نلاحظ أنها مكونة أساساً من الأذربيجانيين الذين ينتمون إلى الطبقة التقليدية والطبقة المتوسطة. والخانقاه الرئيسية لهذه الطريقة موجودة في مدينة مراغاه خارج طهران، ولكن لها جذور عميقة في أذربيجان. وقد توفي السيد مالكيّنا (اسمه في الطريقة ناصر على شاه)

(9) لمزيد من التفاصيل راجع موقع الطريقة على الرابط التالي: <http://www.nimatullahi.org>

- عام 1998م في فرنسا ونقل جثمانه إلى إيران ودفن في الخانقاه الخاصة به في الري بجوار شيخه محبوب علي شاه.
3. طريقة نعمة الله جندبادي: أحد أبرز شيوخ هذه الطريقة في القرن العشرين وهو السلطان حسين تابنده، وكان شيعياً محافظاً وملتزماً بالشريعة.
4. الطريقة الشمسية: وسميت هذه الطريقة باسم سيد حسين حسيني الذي يعرف بشمس العرفا (1871-1935م) وقد انقسم أتباعه من بعده.
5. طريقة صافي علي شاهي: وسميت هذه الطريقة باسم الشخصية الرئيسية فيها صافي علي شاه أصفهاني.
6. الطريقة الذهبية: كانت في الأصل فرعاً من طريقة معروفة في آسيا الوسطى باسم كيراويه، ومؤسسها هو سيد علي حمداني المولود عام 1314م ومن نسل الإمام سجاد وتلميذ علاء الدولة سمعاني (توفي 736هـ/1336م) والمركز الرئيسي لهذه الطريقة في مقاطعة فارس في إيران (وبخاصة مدينة شيراز) ولكن لها خانقاه في طهران وأخرى في تبريز. وقد أسست الكيراوية نفسها من قبل الشيخ نجم الدين كوبرا في مدينة خوارزم وتُعرف بصفة خاصة بمقاومتها للغزو المغولي لتلك المدينة في عام 1231م/618م. ومن بين أبرز الشيوخ في هذه الطريقة سيد محمد نور بخش (توفي 1246م/869هـ). والذي تحولت الطريقة تحت قيادته إلى المذهب الشيعي، ومن المعلوم أن الطريقة العويسية المعروفة في إيران اليوم بالطريقة العويسية المصمودية هي فرع من الطريقة النوربخشية.

7. بالإضافة إلى هذه الطرق هناك مجموعات أخرى أصغر كمجموعة علي الله الشيعية، وهناك العديد من الطرق السنية في إيران مرتبطة بمجموعات عرقية معينة. ففي كردستان مثلاً يتبع الطريقة النقشبندية والطريقة القادرية عدد كبير من الأتباع، بينما في كردستان تحظى الطريقة القادرية بوجود قوي نوعاً ما.

وهناك العديد من الجوانب المهمة التي تميز الطرق الصوفية التي نشأت، وما تزال قائمة، في إيران. ولعل أهم جانب يمكن ملاحظته في هذا السياق هو التزامهم بالمذهب الشيعي والمذهب الغنوصي العرفاني، الذي انتشر غالباً بين العلماء الذين رفضوا التصوف الرسمي ولكنهم كانوا منجذبين للتعاليم الغامضة لأئمة الشيعة، وبخاصة الإمام علي والإمام زين العابدين والإمام علي بن موسى الرضا وغيرهم.

فقد ظل هذا الاتجاه موجوداً وبقوة في مراكز التعليم الشيعية (الحوزات) في كل من: قم ومشهد وطهران وكذلك في النجف وكربلاء، غير أن وجوده بقي مخفياً كما ظلت مناهجه شفوية تدرس لمجموعة من الأفراد المختارين الذين يكرسون في أثناء دراستهم لنصوص العرفان الرئيسية. ومن بين أهم الشيوخ العرفانيين الغنوصيين خلال القرنين الماضيين نصادف: آية الله سيد مهدي بحر العلوم، والملا حسين قولي حمدان، والشيخ أحمد كربلائي، وسيد علي قاضي طباطبائي تبريزي، والعلامة سيد محمد حسين طباطبائي، وسيد هاشم حداد، ومحمد جواد أنصاري، والعلامة سيد محمد حسين طهراني، وهم جميعاً من أبرز العلماء في

التصوف وتحولاته في مشهده المعاصر - آسيا الوسطى وتركيا وإيران ومصر

فارس والعراق ونالوا الاحترام الفائق، ليس لكونهم علماء دين فقط، ولكن باعتبارهم أولياء نسبت إليهم الكثير من الكرامات.

ولكل المجموعات التي ذكرت سابقاً صلات مع أضرابهم في جمهوريات آسيا الوسطى، وبخاصة تلك الطرق التي أجبرت على السرية خلال الاحتلال السوفيتي وبدأت تظهر إلى العلن في الدول المستقلة حديثاً. وإن كان التاريخ دليلاً، فإن إيران سوف تستمر في أن تكون مصدر الإلهام للمسلمين المتصوفة في هذه المنطقة وما يتجاوزها.

الصوفية في مصر بين ولاءين: (الطرقية والتشيع⁽¹⁰⁾)

قال أحد المتصوفة المصريين ذات مرة: "كي يجدني فيه (الله)، عليه أن يُطيعني!". وتلك مفارقة كلفته حياته، إذ حالما سمعه عسس السلطة عُلق فوق دكة دروسه في الجامع الأزهر مصلوباً⁽¹¹⁾.

(10) لمعرفة أدق بواقع التصوف في مصر قديماً وحديثاً راجع:

- توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، مكتبة الآداب، القاهرة، 1964.
- محمد فهمي عبد اللطيف: السيد البدوي، أو دولة الدراويش في مصر، مطبعة الحرية، ط1، 1948.
- شعاعه صيام: الدين الشعبي في مصر، نقد العقل المتحائل، رامتان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1995.
- محمد صبري الدالي: الخطاب السياسي الصوفي في مصر-قراءة في خطاب عبد الوهاب الشعراني للسلطة والمجتمع، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، 1425 هـ- 2004م
- ابن عربي: الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري، ضمن: رسائل ابن عربي، رقم 3، تحقيق: سميد عبد الفتاح، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2002.
(11) لمزيد من التفاصيل حول علاقة السلطة بالمتصوفة تاريخياً قارن بكتابتنا: ولاية وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، الطبعة الأولى، تقديم رضوان السيد، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009).

وربما من تلك اللحظة بالذات انشطر الخطاب الصوفي في مصر بين عالمين: عالم الشطح الصوفي، والذي سرعان ما اختلط فيه الحابل بالنابل حتى أصبح التصوف مجرد دروشة تتضوي تحت مشيخة عموم طرقية، وعالم السياسة والذي اختلط فيه أيضا الدين بالسلطة والتصوف بالتشيع، خاصة في ما يتعلق بمبادئ ومناهج التقية والعمل السري.

وهنا يثور تساؤل على المستوى المنهجي يتعلق بأولية وجود المذهبين: التصوف والتشيع في مصر. وبطبيعة الحال، لن يكون بمقدورنا التوسع في الإجابة على هذا التساؤل والتعمق في مسائل تاريخية وفلسفية ولكن يمكن إيجاز الجواب بالقول إن التصوف، كمنهج للتعبد ومذهب للتفلسف، عرف طريقه أولا إلى مصر قبل نشأة التشيع ذاته⁽¹²⁾.

وآية ذلك، أن اسم "المتصوفة" قد أطلق لأول مرة بمصر على جماعات كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتتدخل في شؤون الحكم مُتصدية لجور الحكام وتسفهم، ومما أثر عنها في هذا المجال أنها تسببت في خلع بعض الولاة، كأبي إسحاق المعتصم أحد ولاة مصر في عهد المأمون "وقد اقتفى كبار الصوفية أثر سلفهم في هذه النزعة العملية وفي الإيمان

(12) ومع ذلك ما يزال الخلط جاريا على ألسنة الكتاب والصحفيين والدعاة الدينيين، خاصة السلفيين والوهابين، حيث يتم النظر إلى التصوف باعتباره فرعا من التشيع ولا أدري كيف يتبع السابق اللاحق تاريخيا. انظر على سبيل المثال الحوار الذي أجرته جريدة الرشد اليمنية مع الشيخ عبد الرحمن دمشقية (حاوره في لندن محمد السعيد) تحت عنوان: "التصوف فرع من التشيع، أبواب الاستيراد عند الصوفية مفتوحة على مصراعها" بموقع الجريدة على الانترنت، ومما جاء فيه: "الصوفية بعيدون عن الفكر بل التصوف [عبارة عن] مجموعة أفكار مستوردة من التشيع العالي [يقصد المغال] وغيره"، المخدرات مشكلة العالم كله، والتصوف نوع آخر من المخدرات"، "القرب يحرض على تخدير خصومه... وهكذا يفعلون في بلادنا حيث يدعمون التصوف لأنه أفيون الشعوب". وانظر أيضا: علي بن بخت الزهراني: الانحرافات العقيدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، الجزء الخاص بأسباب انتشار الصوفية، منشور على الرابط التالي: <http://islamselect.com/article/34536>

التصوف وتحولاته في مشهده المعاصر - آسيا الوسطى وتركيا وإيران ومصر

بجدوى العمل العام/السياسي ولم يمنعهم تصوفهم من المشاركة الفعلية في أمور الدنيا واعتبروا التصوف عقيدة وجهاًدا⁽¹³⁾.

ومن المعلوم أن تأسيس الدولة الفاطمية في مصر عام 358 هـ/969م (حكمت مصر حتى عام 567هـ/1171م) وتشيعها ساهم بالفعل في انتشار مذهب التشيع (غير الاثني عشري) بين أهلها. وليس أدل على ذلك من انتشار مشاعر المحبة والولاء لآل البيت عند المصريين، والذي يكاد يكون أمراً متعارفاً عليه بالفطرة.

وفي الواقع، لا يقتصر الهوى الشيعي لدى المصريين عند الاحتفال بالموالد، ولا يتوقف كذلك عند هذا الحد، وإنما يتجاوزه لما هو أبعد من ذلك بكثير ويكفي أن يقرأ المرء كتاب سيد عويس "رسائل إلى الإمام الشافعي"⁽¹⁴⁾ ليندهش من اعتقاد المصريين بجدوى الشكوى لأم العجائز ورئيسة الديوان (السيدة زينب) وعدم اقتصار ذلك على جموع العامة أو الأميين وإنما امتداد هذه الظاهرة لتشمل عدداً من أساتذة الجامعة وبعض رموز المعارضة السياسية ممن لجأوا إلى "كنس" ميدان السيدة زينب على الحكومة القائمة.

(13) أنظر في تفصيل ذلك: الصوفية والعقيدة الجبرية، مصدر سابق، ص 94 وما بعدها. وقارن أيضاً بدراساتنا غير المنشورة: جدل الوالي والولي السلطة والمتصوفة في مصر إبان المصور الوسطى، الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي، ضمن مؤتمر: التصوف الإسلامي والمسيحي واليهودي في مصر خلال المصور الوسطى (القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي إلى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) - التداخلات الثقافية والظروف التاريخية، الذي عقده المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، في الفترة من 22 إلى 24 نوفمبر 2010. (14) اهتم العلامة المصري سيد عويس بدراسة التصوف دراسة سوسيولوجية ومن أهم كتاباته في هذا الموضوع: رسائل إلى الإمام الشافعي، دراسة سوسيولوجية، الطبعة الثانية، القاهرة، 1978. وكتابه: هتاف الصامتين، ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات في المجتمع المصري المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.

هنا تبدو فكرة "الحكومة الباطنية" واضحة لأبعد مدى حيث يتجاهل المصريون الدولة السياسية ويلجأون لإنشاء حكومة ظل؛ تتكون من أهل البيت والأولياء لتتصرف في شؤونهم الخاصة وتُعجل بالانتقام الإلهي من الحكام الظالمين. وبطبيعة الحال هذه فكرة شيعية في المقام الأول والأخير، ويكفي للتدليل على تأثير التشيع في مصر ما قاله الأمام الخميني، زعيم الثورة ومؤسس الجمهورية الإيرانية الإسلامية، ذات مرة أن مصر "سنية المذهب، شيعية الهوى".

لكن ما دامت دراستنا هذه منصبة أساسا على تحولات التصوف في مشهده المعاصر، وما دمنا في معرض الحديث عن التصوف في مصر؛ فإننا سنكتفي بعرض موجز للوجود الشيعي في مصر ممثلا في، أو متخفيا في الهيئات والمؤسسات الصوفية. وفي الواقع لا تخلو التحذيرات التي أطلقها الشيخ يوسف القرضاوي الخاصة باختراق الشيعة لمصر عبر بوابة المتصوفة من جدية.

لكن في المقابل هناك تعميمات ليست صحيحة على الإطلاق إذ لا يمكن، على سبيل المثال، الاستدلال بكثرة ارتداء المصريات للإسدا ل الإيراني على انتشار التشيع في مصر⁽¹⁵⁾. كما لا يكفي أيضا أن تؤخذ الإحصائيات التي تتردد هنا وهناك على علاتها، ومن بينها تصريحات محمد الدريني، الأمين العام للمجلس الأعلى لآل البيت في مصر، والتي أكد فيها وجود مليون صوفي يتبعون المذهب الشيعي في مصر.

(15) راجع تصريحات شيخ مشايخ الطرق الصوفية الخاصة بهذا الشأن على موقع العربية نت: www.alarabiya.net

ومع ذلك، هناك بالفعل بعض الجهات الصوفية التي تعمل على انتشار التشيع بين أتباعها وعلى رأس هذه الطرق الطريقة العزمية في مصر⁽¹⁶⁾ والتي أعلن شيخها الدكتور/علاء ماضي أبو العزايم اعتزامه إطلاق قناة صوفية فضائية في يناير المقبل، وهو ما جاء متزامنا مع تحذيرات الشيخ يوسف القرضاوي من خطورة الاختراق الشيعي في أعقاب دعوة بعض رؤساء الطرق الصوفية بصورة فردية، وليس من خلال مشيخة عموم الطرق الصوفية، لحضور مؤتمر تقيمه شخصيات وجهات شيعية بالولايات المتحدة الأمريكية في إبريل الماضي.

ومع أن المدافعين عن تلبية الدعوة من مشايخ الصوفية يؤكدون أنها قد وجهت إليهم من قبل السيد علي كيافو، رئيس الاتحاد العالمي للتصوف في واشنطن، وأن هذا المؤتمر هو الرابع من نوعه إلا أنه الأول الذي يحضره مشايخ من مصر، على الرغم من ذلك يؤكد البعض أن هذه الدعوة مشبوهة لصدورها من قبل الجماعات الشيعية الأمريكية التي تحاول جاهدة اختراق الطرق الصوفية مستغلين محبة المصريين لآل البيت.

وما زاد من حدة الجدل حول هذا الموضوع التصريحات التي أدلى بها أحد المشاركين في المؤتمر وهو المهندس/ محمد عبد الخالق الشبراوي، شيخ الطريقة الشبراوية، والتي أكد فيها أنه قد قبل الدعوة من باب مكارم الأخلاق، فهو لا يرفض أي دعوة توجه له من أي مكان بما في

(16) راجع في هذا الخصوص: أسامة الهتمي: الطريقة العزمية قنطرة التشيع في مصر، موقع رسالة الإسلام بتاريخ 10/5/2008.

محمد حلمي عبد الوهاب

ذلك إسرائيل، وأنه ليس لديه مانع من زيارتها في حال وجهت له "الجالية الإسلامية الصوفية" بها دعوة لحضور أحد فعالياتها⁽¹⁷⁾.

كما سعت بعض الطرق الصوفية لإنشاء مركز دراسات للشريعة من الباطن بتكلفة تصل إلى أكثر من عشرة ملايين جنيه بمنطقة الدراسة بالقاهرة، فضلاً عن حرص السفارة الإيرانية بالقاهرة وقياداتها على المشاركة في احتفالات ومؤتمرات الطريقة العزمية على وجه الخصوص فيما سافر شيخها إلى إيران ثلاث مرات متتابة.

وقد اكتملت دائرة الشك بإصدار الطريقة العزمية كتاباً ضمن سلسلة الكتب العزمية التي تصدر عن ما يسمى بلجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية بعنوان "كشف الارتياح في إمامة ابن سعود وابن عبد الوهاب" وفيه يتم الربط، إن لم يكن الدمج، ما بين التصوف والتشيع إلى جانب الهجوم الحاد على الوهابية.

ففي الصفحة رقم 59 من الكتاب نقراً: "لو اطلع الوهابيون عما يدعوا به الصوفية والشيعة عند روضات أئمتهم لأدركوا أن زيارتهم لها هي التوحيد في واقعه والإخلاص في حقيقته... لو سمع الوهابيون تلك الأصوات ووعوا تلك الكلمات التي تتردد حول روضة أمير المؤمنين علي، عليه السلام، وولده الإمام الحسين، عليه السلام، لتأكدوا أنها عين التنزيه عن الشرك ونفي الإيمان بالله وحده". كما يحذر الكتاب من تحويل الدين

(17) راجع تفاصيل هذه التصريحات على موقع محيط، شبكة الأخبار العربية www.moheet.com تحت عنوان: اختراق شيمي أمريكي للطرق الصوفية في مصر، بتاريخ: 20 أكتوبر 2008.

المصري السني الصوفي إلى تدين سني وهابي، مما يعني ضمناً الدعوة للتحويل إلى التدين الصوفي الشيعي⁽¹⁸⁾.

وفي دراسة لشبكة الراصد حول التجمعات الشيعية في العالم العربي، حالة مصر، تُرجع الشبكة انتشار التشيع في مصر إلى مجموعة من العوامل يأتي على رأسها:

1. وجود العديد من المقامات والأضرحة لآل البيت في مصر.
2. فتوى الشيخ شلتوت بجواز التعبد بالمذهب الجعفري المعتمد لدى الشيعة الإثني عشرية وتساؤل الأزهر فيما يتعلق بموضوع الشيعة.
3. تنامي وفود الطلاب الشيعة العرب إلى مصر خاصة السيد علي البدري العراقي الذي كلفه المرجع الشيعي السابق أبو القاسم الخوئي بأن يكون وكيلاً عنه للشيعة في مصر ونجح بالفعل في استقطاب عدد من الدعاة ومشايخ الأزهر والصوفيين مثل: حسن شحاته، وحسين الضرغامى، ومحمد عبد الحفيظ المصري، وصالح الورداني وغيرهم.
4. ومن العوامل المؤثرة أيضاً علاقات النسب التاريخية والتي كانت تربط الأسرتين المالكتين في إيران ومصر.
5. أيضاً من الأسباب السياسية توقف وانهاء الحرب العراقية الإيرانية عام 1988 حيث عارضت مصر فكرة تصدير الثورة ووقفت إلى جانب العراق في حربه ضد إيران.

(18) حول هذا الكتاب والبلاغ المقدم لمجمع البحوث الإسلامية حوله راجع العديد من المنتديات الالكترونية ومنها منتدى الهندسة نت على الرابط التالي: www.alhandasa.net

6. وأخيرا وليس آخرا الفعاليات والمؤتمرات والمعارض الثقافية، كمعرض القاهرة الدولي للكتاب.
7. فضلا عن صدور عدد من الصحف الإيرانية باللغة الفارسية في كل من القاهرة والإسكندرية في أواخر القرن التاسع عشر⁽¹⁹⁾.

ومن المعلوم تاريخيا أن التواجد المؤسسي للشيعية في مصر يعود إلى سبعينيات القرن الماضي حيث نشأت في هذه الحقبة بعض الهيئات الشيعية التي مارست نشاطاتها بحرية نسبية وفي مقدمتها:

1. جمعية آل البيت، وقد ظهرت إلى الوجود العام 1973، وهي تعد بمثابة "مركز الشيعية في مصر" وقد استندت في عملها إلى فتوى الشيخ محمود شلتوت بجواز التعبد بالمذهب الجعفري. وكان لهذه الجمعية عدد من الفروع المنتشرة بالقرى والنجوع المصرية تحت مسمى "الحسينيات".
2. غير أنها تضمنت إلى جانب الأعضاء الشيعية بعضا من أهل السنة ومن ثم لم تدعُ علانية للتشيع وإنما انحصرت أنشطتها في المساعدات الاجتماعية والخدمات التثقيفية والدينية وكانت في حذوها هذا بمثابة الامتداد الطبيعي لمؤسسة التقريب بين المذاهب الإسلامية غير أنها أغلقت في عام 1979.
3. المجلس الأعلى لرعاية آل البيت، وقد أسسه محمد الدريني سنة 1998 وكان من بين منشوراته جريدة "صوت آل البيت"، ثم استولى على المجلس شخص يدعى محمد المرسي عقب اعتقال

(19) راجع الدراسة المنشورة في موقع فيصل نور: www.fnoor.com

الدريني. وبحلول عام 1979 توقفت تماماً أنشطة جماعة التقريب وجمعية آل البيت بعد قيام الثورة الإسلامية الإيرانية.

فقد تم إغلاق الجمعية وضم مسجدتها لوزارة الأوقاف المصرية بقرار إداري من قبل الحكومة المصرية. لكن مع بداية العام 1981 بدأ القضاء المصري ينظر الدعوى المرفوعة من قبل القائمين على الجمعية ضد الحكومة للمطالبة بعودتها ووقف تنفيذ قرار حلها وبالفعل أصدر القضاء حكمه بوقف قرار الحل في 29 ديسمبر 1981 لعدم وجود أسباب قانونية كافية غير أن الحكومة المصرية لم تنفذ هذا الحكم.

وبطبيعة الحال، لم تتوقف جهود الشيعة في مصر عند هذا الحد، فضلاً عن تزامنها مع وجود محاولات إيرانية لتأسيس مؤسسة إعلامية في أوروبا برأسمال مليار دولار وكان مرشحا لإدارتها صحفي مصري شهير بميوله الماركسية سابقا، قبل أن يتحول إلى أحد رموز المعارضة الدينية.

والى جانب ذلك، تمت بعض عمليات تجنيد المتشيعين خارج مصر وهو ما حدا بالأجهزة الأمنية المصرية أن تلقي القبض على أعضاء تنظيم شيعي مكون من 55 عضواً سعوا إلى مد نشاطهم في خمس محافظات مصرية، وتكوين خلايا شيعية سرية من خلال الحسينيات جمعها مستوى قيادي واحد تحت اسم "المجلس الشيعي الأعلى لقيادة الحركة الشيعية في مصر".

وببقى القول إنه وبغض النظر عن تشيع الصوفي أو تصوف المتشيع، فإن المتصوفة في مصر يواجهون مزيداً من التحديات يأتي على رأسها: انقراط عقد مشيخة عموم الطرق الصوفية والمجلس الأعلى للطرق الصوفية الذي أنشئ بالأساس لضبط إيقاع وإدارة هذه الطرق. فما يحدث حالياً من تصرف بعض شيوخ الطرق بصورة فردية دون الرجوع إلى المشيخة يؤذن بانتهاء صلاحيتها وعدم قدرتها على مزاولة مهامها الأساسية.

الأمر الثاني يتمثل في حجم الخنوع والخضوع الذي تبديه المؤسسة الطرقية إزاء الدولة ومؤسساتها الأمنية بصفة خاصة في ظل الأوضاع العامة المتردية التي يعيشها المصريون.

المتصوفون والثورة: صراع المتن والهامش

بصورة عامة يمكن القول إن مواقف الإسلاميين - بمختلف توجهاتهم - من ثورة الخامس والعشرين من يناير قد توزعت على مواقف ثلاثة: التحريم، التأييد، الصمت. كما اتسمت في مجملها بالتردد وعدم الوضوح، وهو ما ظهر بصورة لافتة من خلال تباين تصريحات أقطاب الجماعة الواحدة، بل وتباين تصريحات الفرد الواحد أحياناً بحسب ما يتواتر من أحداث. وقد ساعد على تشكيل حالة من التخبُّط والاضطراب في تعاطي الحركات الإسلامية مع حركة الثورة الشعبية المتسارعة توافر عدة عوامل كان من أبرزها ما ورّثه الفقهاء في كتبهم من أحكام متعلقة

بالخروج على الحاكم الجائر أو الكافر، وما يترتب على هذا الخروج من سفك للدماء أو هتك للأعراض... إلخ⁽²⁰⁾.

وعلى حين كان شباب الثورة يعرفون ماذا يريدون بالضبط، فاجأت الثورة الإسلاميين وأربكت مواقفهم، فأخذوا يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى ونتيجة لذلك؛ سمعنا الشيخ محمد جبريل يثني على الخطاب الأول للرئيس المخلوع حسني مبارك، ثم يعود في جمعة (الرحيل) ليقف بين الثوار في قلب ميدان التحرير. وهكذا الأمر بالنسبة لشيخ الدعوة السلفية الذين تباينت مواقفهم وتخبّطت تصريحاتهم وأخذ كل واحد منهم يرقّع للآخر، فهذا الشيخ محمد حسان مرة يمدح الثائرين، ومرة أخرى يطالبهم بالانسحاب والتهدئة، ومرة (يتوسّل) مبارك بالتنحّي. وهذا مصطفى العدوي يثني على الثورة ويحضّها على إقصاء "الطاغية" ثم بعد ذلك يخرج على التلفزيون المصري ليحضّ الشباب على العودة إلى بيوتهم⁽²¹⁾.

أما ياسر برهامي فسارع إلى إصدار فتوى تحرّم المسيرات والمظاهرات، ثم أثني بعد ذلك على الثورة من غير أن يشارك فيها؛ إلا بقيام أتباعه بتنظيف الشوارع وتسليم بعض الأموال والممتلكات المنهوبة للجيش. لكننا نستثني من ذلك كله الشيخ الفقيه السلفي محمد عبدالمقصود الذي كان وقوفه إلى جانب الثورة واضحاً منذ بداية الأزمة إلى آخرها، ومعه بعض تلاميذه ومؤيديه، وعلى رأسهم الشيخ نشأت أحمد وأشرف عبد

(20) وائل علي البتيري: الإسلاميون والثورة المصرية، جريدة السبيل الأردنية.

(21) قارن بمقال محمد البطاوي: ثورة 25 يناير رفعت شيوخاً وأسقطت آخرين، موقع أون إسلام، بتاريخ 17 فبراير 2011، على الرابط التالي:

<http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/newsreports/128889--25-.html>

المنعم ورضا صمدي الأمين العام لما يسمى بـ "الحركة السلفية من أجل الإصلاح". ونستثني أيضاً موقف الشيخين محمود المصري ومحمد حسين يعقوب الداعي إلى لزوم البيوت أو المساجد وعدم المشاركة فيما أسموه بـ "الفتنة"⁽²²⁾.

أما الجماعة الإسلامية - المحسوبة على التيار السلفي أيضاً- فقد اختلف قادتها في حكم المشاركة في الثورة، إلا أن الرأي الغالب كان يرجح كفة عدم المشاركة. على حين أعلن حزب التحرير تأييده للثورة في يومها الخامس، ولكننا لا نعلم إذا كان قد شارك فعلياً في الاحتجاجات، أم أنه اكتفى بإصدار البيانات المحرّضة⁽²³⁾.

أما في ما يتعلق بالطرق الصوفية فقد اكتفت الطريقة العزمية (من الطرق الكبيرة في مصر) بانتقاد الحكومة ومطالبتها بالاستجابة لمطالب الثورة، مع تجنب الحديث عن شخص الرئيس المخلوع. فيما هاجم الدكتور أحمد عمر هاشم (أحد كبار قادة الصوفية) الثورة في مصر وأعلن تأييده لمبارك⁽²⁴⁾.

(22) المصدر السابق.

(23) نقلا عن مقال وائل علي البتيري: الإسلاميون والثورة المصرية، جريدة السبيل الأردنية.

(24) راجع فيما يتعلق بموقف الطريقة العزمية من الثورة موقع الطريقة على الرابط التالي: <http://islamwat-tan.com> علماً بأن الطريقة أخذت بعد ذلك موقفاً واضحاً مؤيداً للثورة كانت أقرب فيه إلى التيارات الليبرالية الداعية إلى الدستور أولاً وثورة الغضب الثانية وإنشاء حزب سياسي صوفي يحمل مسمى: حزب التحرير المصري، وهو حزب سياسي مدني إصلاحي يسعى لتحقيق العدل والرخاء والحرية للشعب المصري. ومما هو لافت للنظر في موقع الطريقة افتتاحيته التي تحمل شعار ثورة يناير "تغيير - حرية - عدالة اجتماعية"، ودعوة للمشاركة في ثورة الغضب الثانية (الجمعة 8 يوليو) تحت مسمى "جمعة الاتحاد والحسم: اتحاد صفوف المصريين، وحسم مطالب الثورة) عبر أغنية "متنزلش الميدان" مصحوبة بصور في الخلفية مدون عليها كلمات الأغنية وهي كالتالي: لو حقت شايضه جالك/ م اللي اتضرعن وهانك/ وحرملك م الأمان/ لو راضي نص ثورة/ وخايف م المغامرة/ متنزلش الميدان/ وبراحتك يوم أجازتك/ وافرد جسمك ونام/ نوم التايه عبادة/ فيه ناس ليها الشهادة/ وناس ليها الكلام...إلخ.

على أن موقف هاشم يبدو متوقعا لمن تابع مسيرة بروزه على الساحة والتي تعود بجذورها إلى تسعينيات القرن الماضي حين تعرض مبارك لمحاولة اغتيال في أديس أبابا وعاد بعدها إلى القاهرة وتزاحم عليه - من أجل التهنئة- رجال دين وسياسيون وإعلاميون. وقتها قال الشيخ الشعراوي كلمته المشهورة: يا سيادة الرئيس إذا كنا قدرك فليوفقك الله، وإذا كنت قدرنا فليغن الله على أن نتحمل". وعندما أتى الدور على أحمد عمر هاشم خطب خطبة عصماء في مدح مبارك، ونجح في أن يلتفت انتباهه، وعلى الفور تم تعيينه عضوا بمجلس الشعب من ضمن العشرة المعينين من قبل الرئيس⁽²⁵⁾.

وسرعان ما تم تعيينه رئيسا للجنة الدينية بمجلس الشعب، وعضوا بالمكتب السياسي بالحزب الوطني الحاكم وعضوا بمجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتلفزيون وعضوا بالمجلس الأعلى للسياسات. ثم رئيساً لجامعة الأزهر 1995م، لكنه أخرج من مجلس الشعب بسبب موقفه من رواية حيدر حيدر "وليمة لأعشاب البحر"، ثم تم استبعاده من رئاسة الجامعة أيضا، ثم أعيد تعيينه في مجلس الشعب من ضمن العشرة المعينين من قبل مبارك ومرة أخرى وقف ضد تصريحات فاروق حسني المتعلقة بالحجاب فتم استبعاده⁽²⁶⁾.

(25) راجع سيرته والمناصب السياسية التي تقلدها بموقع الموسوعة الحرة "ويكيبيديا" على الرابط التالي: <http://ar.wikipedia.org>

(26) قارن بمقال أحمد عبد المنعم: حصاد الصحافة في أزمة الثقافة إبحار في وليمة الروايات المصادرة، بموقع الجزيرة على الرابط التالي: <http://aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=2315> بتاريخ 22 يناير 2001.

محمد حلمي عبد الوهاب

لكن الدور الأبرز والأخطر للدكتور هاشم كان بحكم كونه عضواً في المجلس الأعلى للطرق الصوفية حيث استطاع من خلال منصبه هذا، وبحكم ما له من قوة وحجة في الحديث، أن يضمن ولاء الصوفية للنظام، وقد اكتفوا أن يرسل الرئيس من ينوب عنه في احتفالاتهم وتأمين الشرطة لموالدهم مبتعدين عن التعاطي مع الأمور السياسية إلا لجهة إبداء الولاء وإعلان الطاعة لا أقل ولا أكثر.

سرعان ما نشأ صراع حاد على رئاسة المجلس الأعلى للطرق الصوفية بين كل من الشيخ عبد الهادي القصبي، أحد أعضاء الحزب الوطني وأحد المقربين من أحمد عز، والشيخ علاء أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية. وبطبيعة الحال؛ سرعان ما تدخلت السلطة السياسية لصالح القصبي رغم أن العادة قد جرت على انتخاب أكبر الشيوخ سناً بحسب ما ينص القانون رقم 188 لسنة 1976.

ونتيجة لذلك؛ أقام عدد من مشايخ الطرق الصوفية دعوى قضائية اختصموا فيها للقرار الجمهوري رقم 79 لسنة 2010 بتعيين عبد الهادي القصبي شيخاً لمشايخ الطرق الصوفية وذلك لصدور القرار دون تحديد مدة تعيينه بثلاث سنوات طبقاً للقانون رقم 118 لسنة 1976.

كما أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد؛ وإنما امتد إلى تكوين هؤلاء المشايخ جبهة "الإصلاح الصوفي" والتي أصدرت بياناً أكدت فيه أن هدفها

الأساسي يتمثل في "إصلاح الشأن الصوفي العام وإعادة العرف الصوفي سابقه، والذي كان يقوم علي اختيار الأكبر سنا لمنصب شيخ مشايخ الطرق الصوفية إلي أن هدمه السيد عبد الهادي القصبي"⁽²⁷⁾. ومن هنا أصبحت القضية قضية رأي عام تشغل بال من هم خارج البيت الصوفي، وبرز التساؤل الأكبر: إلي أين ستسير الخلافات والمشاكل بالبيت الصوفي، وكيف يتصارع هؤلاء على السلطة وعهدنا بهم أنهم أبعد ما يكونون عن الدنيا والرغبة فيها؟

وفي المحصلة بدا أن تعيين القصبي - كشيخ مشايخ الطرق الصوفية- أمر غير صحيح تماما وإن كان كذلك من الناحية القانونية. ذلك أن القصبي استغل اجتماع مشايخ الصوفية للمصالحة ورفع محضرا إلى رئاسة الجمهورية يؤكد فيه أن المشايخ وافقوا على اختياره شيخا لمشايخ الصوفية، وبناء عليه صدر قرار من رئيس الجمهورية بتعيينه. ولكن الحقيقة أن المصالحة كانت شفوية ولم يكن هناك محضر في الأساس، كما أن الاجتماع لم يكن من أجل الموافقة علي اختيار القصبي، ولكن كان بهدف رأب الصدع الصوفي، ناهيك عن أن الطريقة القصبية من الأساس غير رسمية، وبالتالي لا يصح اختيار شيخها شيخا للمشايخ.

وعلى كل حال؛ فقد استمر هذا السجال إلى أن قامت ثورة

(27) ومما له دلالة هنا أن الدكتور هاشم قد هاجم جبهة الإصلاح الصوفي متهما إياهم بإتلاف المشيخة وقدم بلاغا رسميا ضدهم. حول هذه النقطة راجع الرابط التالي: <http://www.shorouknews.com/contentdata.aspx?id=453770> و راجع أيضا كافة البيانات التي تصدر عن الجبهة على حسابها بموقع الفيس بوك الرابط التالي: <http://ar-ar.facebook.com/pages>

الخامس والعشرين من يناير، فتجددت الخلافات من جديد بين "جبهة الإصلاح الصوفي" بزعامة الشيخ علاء الدين ماضى أبو العزائم والمكونة من 15 شيخاً، و"جبهة الشيخ عبد الهادي القصبى" شيخ مشايخ الطرق الصوفية والتي تضم 60 شيخاً، ولكن هذه المرة احتدت الخلافات حتى وصلت إلى طريق مسدود تماماً حيث قامت "جبهة الإصلاح الصوفي" باقتحام المشيخة العامة للطرق الصوفية ونزع صورة الشيخ القصبى من جدران المشيخة، معلنين دخولهم فى اعتصام مفتوح حتى تتحقق كافة مطالبهم، وأولها تفعيل خطاب القوات المسلحة الذى تسلمه الشيخ محمد الشهاوى شيخ الطريقة الشهاوية، بناء على خطاب أرسله إلى المجلس الأعلى للقوات المسلحة لإسقاط المجلس الأعلى للطرق الصوفية⁽²⁸⁾.

وقد جاء رد المجلس على خطاب الشهاوى متضمناً الآتى: "سقط الحكم الفاسد الذى يتدخل فى شئون المشيخة"، ما فسرته الشهاوى بأنه إسقاط صريح من المجلس العسكرى للقصبى، بالإضافة إلى أنه أقر بعدم التدخل فى الشئون الداخلية لمشيخة الطرق الصوفية. وأكد المجلس العسكرى على أن شئون المشيخة الداخلية من الأفضل حلها حالياً فى ظل الديمقراطية، من خلال حقها فى معالجة أمورها بنفسها.

وهنا طالب الشهاوى بتفعيل خطاب المجلس العسكرى، وتشكيل لجنة مالية مكونة من أربعة أشخاص لفحص ميزانية عام 2010، والتي

(28) راجع تفاصيل هذه الخلافات فى التحقيق الموسع الذى أجرته جريدة اليوم السابع المصرية بتاريخ 2 مايو 2011 تحت عنوان: الخلافات تعصف بالبيت الصوفي: جبهة الإصلاح تؤكد أن المجلس العسكرى أقال القصبى، وشيخ المشايخ يصف ما يحدث بالجريمة ويحمل قيادات الجبهة المسئولية، على الرابط التالي: <http://youm7.com/News.asp?NewsID=403643>

زعم انعقاد جمعية عمومية غير شرعية لها، فضلاً عن مطلب أساسي للمشايخ وهو عقد جمعية عمومية طارئة خلال 15 يوماً من تاريخه، للنظر فى كيفية إجراء انتخابات جديدة، وتعيين شيخ مشايخ جديد للطرق الصوفية بطريقة شرعية.

كما أكد المشايخ، أن تعيين عبد الهادى القصبى كشيخ مشايخ للطرق الصوفية، جاء نتيجة صفقة عرضها جمال مبارك وأحمد عز، لإتمام مشروع التوريث، بأن يتنازل القصبى عن الانتخابات لصالح أحمد شوبير فى دائرة طنطا، على أن يسمح بتمريره لمشيخة الطرق الصوفية، مؤكدين أنه بسقوط النظام البائد على يد الشرعية الثورية، ينبغى أيضاً سقوط كل فلول النظام من مشيخة الطرق الصوفية وأولهم القصبى، والذي هو - بحسبهم - متورط فى "موقعة الجمل" الشهيرة وكان يعقد اجتماعات الحزب الوطنى بمقر المشيخة بعد صدور قرار قضائى بحله⁽²⁹⁾.

واستمرارا للنهج الجديد، دعت "جبهة الإصلاح الصوفى" إلى وقفة مليونية أمام مسجد الحسين للمطالبة بإعداد الدستور أولاً قبل إجراء الانتخابات البرلمانية، متضامنة بذلك مع القوى السياسية التى دعت لتشكيل "جمعية تأسيسية" لإعداد مواد الدستور قبل إجراء الانتخابات. وقد حظيت الجبهة بالفعل بمؤازرة عدد كبيرة من الأحزاب السياسية لها لكنها فشلت فى حشد المليونية.

(29) المصدر السابق.

فقد أكد ممثلو أحزاب " الشعب الديمقراطي، ومصر العربي الاشتراكي، والجمهوري الحر، والأمة والوفاق، والمحافظين، والعدالة الاجتماعية، إلى جانب لجنة الوفاق القومي، بالإضافة إلى عدد من شباب الثورة، ونقابة المحامين، على شرعية مطالب المعتصمين والمتمثلة في إقالة القسبي وحل المجلس الأعلى للطرق الصوفية، وطالبوا بضرورة تدخل المجلس الأعلى للقوات المسلحة لحل الأزمة التي ما تزال تراوح مكانها بعد مضي أكثر من 100 يوم من اندلاع الثورة.

ومرة أخرى انقسمت الساحة الصوفية على نفسها مجددا حين طرح الشيخ علاء أبو العزائم، شيخ الطريقة العزمية وعدد من مشايخ الصوفية فكرة إنشاء حزب سياسي صوفي، على أن يضم جميع أتباع الطرق الصوفية في مصر والذين يقدر عددهم بحوالي 15 مليوناً. فقد أعلن الشيخ محمد الشهاوي، رئيس "المجلس الصوفي العالمي"، أحد أبرز أقطاب "جبهة الإصلاح الصوفي"، رفضه القاطع لتأسيس حزب سياسي خاص بالصوفية بأي شكل من الأشكال، وبرر موقفه هذا برفضه إنشاء أحزاب سياسية على أساس ديني للحفاظ على وحدة الوطن⁽³⁰⁾.

ويبقى القول: إن حال مشيخة الطرق اليوم بات شبيها بما آلت إليه أحوال مصر الثورة من تباطؤ يشي بالتواطؤ، وعدم حسم الأمور بجدية. وقد أفضى عدم تدخل المجلس العسكري - بحكم كونه من يدير

(30) راجع الخبر المتعلق بتأسيس الحزب وخلفياته على الرابط التالي: http://www.islamwattan.com/index.php?option=com_content&view=article&id=2324:q-q-&catid=81:europa&Itemid=458

التصوف وتحولاته في مشهده المعاصر - آسيا الوسطى وتركيا وإيران ومصر

البلاد في هذه المرحلة - إلى تأزم الأوضاع داخل المشيخة، فما يزال شيوخ "جبهة الإصلاح الصوفي" على اعتصامهم وما يزال القيصبي رئيساً للمجلس الأعلى للطرق الصوفية. ولا شك أن بقاء الوضع على ما هو عليه لا يحل الإشكال الحاصل، ما دعا جبهة الإصلاح لتوجيه تحذير للمجلس الأعلى بضرورة إزاحة القيصبي عن منصبه مع تمسكها باستقلال المشيخة مستقبلاً.

والحال أن أزمة المشيخة هي بعينها أزمة جميع المؤسسات الدينية في مصر (مشيخة الأزهر، الأوقاف، دار الإفتاء) والتي ما لم تستقل عن المؤسسة السياسية إدارياً واقتصادياً فستظل تابعة لتأثير السياسة وتدخلاتها القمعية.

خاتمة

يمكن القول إن الطريقة التقليدية للصوفية تعيد بناء نفسها وفقاً لظروف العصر الحاضر، وبصفتها النموذج الروحاني للإسلام، فإن الصوفية سوف تستمر في البقاء، بحسب البعض، وإن بدرجة أقل من حيث المكانة والقوة. كما أنها ستثير الانتباه عندما تتحرك أبعد من كونها مهتمة بالمسائل الروحانية إلى الاهتمام بالعوامل الاجتماعية والسياسة وحتى الاقتصادية.

فقد أدت الأحداث الخطيرة التي وقعت في القرن العشرين (انهيار

الإمبراطورية العثمانية، والحملات الاستعمارية لبعض القوى الغربية، والتراجع العام للحضارة الإسلامية) إلى إحداث موجة جديدة من الفكر في العالم الإسلامي، ألا وهي ظهور الفكر السلفي الجهادي، الذي سعى أتباعه دون كلل أو ملل إلى توحيد المسلمين في قوة سياسية موجهة ضد أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. وقد وصفت السلفية نفسها للمسلمين بأنها محاولة لتنقية ممارساتهم المتأثرة بالغرب والصوفية وغيرها من المذاهب الضالة على حد تعبيرها. وقد أرجعت هذه الأيديولوجيات فشل المسلمين في مقاومة الاستعمار الغربي إلى فساد الاعتقاد، وجادلوا بأن المسلمين كانوا متساهلين جداً مع الثقافات الجديدة التي دخلت الإسلام ونتيجة لذلك، فقد استحق المسلمون غضب الله.

هذا وقد اعتمد نجاح هذه الأصولية المُسيّسة في الأساس على إنشاء قوة موحدة تكون قادرة على مواجهة الغرب، وكان الحل التقليدي لهذا الفكر، والحالة هذه، ممثلاً في مطالبة جموع المسلمين بضرورة الرجوع إلى القرآن والسنة النبوية. ومن أجل استكشاف النصوص المقدسة أعادوا تفسير الشريعة الإسلامية استناداً إلى تفسير وفهم حريفي وظاهري للنصوص الدينية. وقد منح التفسير الجديد هؤلاء الفطاء القانوني الضروري لإخفاء تدميرهم المنظم للتعددية الإسلامية في الممارسة. وكان أول ما حدث من هدم الثقافة الإسلامية متمثلاً في هدم وإلغاء المراكز الصوفية الاجتماعية حيث كان الشيوخ يلتقون بالشباب للتعلم من خلال شبكات اجتماعية ذات جذور تاريخية راسخة.

التصوف وتحولاته في مشهده المعاصر - آسيا الوسطى وتركيا وإيران ومصر

وفي المراكز التعليمية الجديدة والمساجد التي أنشأها الوهابيون وحلت تدريجياً محل المراكز الصوفية تم إقصاء الروحانية لأبعد درجة ممكنة كما جُددت المناهج التعليمية بالتركيز الشديد على النظرية السياسية. وبدأ الأئمة الجدد الذين حلوا محل الشيوخ بالدعوة باستفاضة لتفوق الإسلام على كل الأديان الأخرى.

إلا أن الصوفية في كل أنحاء العالم الإسلامي تواجه هجوماً من جهتين الأولى هي المجموعات التحديثية التي تنتقد الصوفية لأنهم يعدون التصوف سلبياً وضعيفاً أمام القوة وفي الصراع مع طريقة العيش المعاصر. والجهة الثانية هي الأصولية التي ترى أن التصوف مخالف للإسلام المحافظ. فيما يرى الصوفيون أن هذين الطرفين وجهان لعملة واحدة لأن كلا المجموعتين (بعلم أو بغير علم) تشتركان في أدلجة الإسلام مستخدمين الإسلام بصفته أيديولوجية سياسية للوصول إلى أهدافهم.

المسبار

المسبار

المشاركون في الكتاب

بالترتيب الأبجدي

إبراهيم طالع الأملعي

كاتب وباحث لغوي سعودي، من مواليد رجال ألمع عام 1370 هـ/ 1950. وشاعر. كتب مقالاً منتظماً في صحيفة الوطن السعودية. أوقف عن الكتابة بعد مقاله (سلفي في مقام سيدي عبدالرحمن)، حاصل على ليسانس لغة عربية 1396هـ/ 1976، كلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن سعود. صدر له عدد من المؤلفات وله دواوين المخطوطة. عمل في الجمهورية الجزائرية بمجال التعليم لمدة أربع سنوات. عضو نادي أبها الأدبي، حائز على جائزة أبها للثقافة.

راشد أحمد الجميري

من مواليد دبي عام 1984م، خريج جامعة الإمارات، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم السياسية عام 2007م. شارك في منتدى التنمية الخليجي / اللقاء الثامن والعشرون عام 2007م بعرض مادة بحث التخرج "اهتمامات واتجاهات الشباب نحو قناة الجزيرة : دراسة ميدانية على شباب جامعة الإمارات". أعد ورقة بحثية في مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية CSIS في واشنطن عام 2009م بعنوان : العلاقة الثلاثية بين الامارات - إيران - الولايات المتحدة الأمريكية :

البحث عن الحلول الممكنة " .كما عمل باحثاً ميداني مع شركة " هوت سبوت فيلمز " لإنتاج سلسلة حلقات عن تراث الإمارات العربية المتحدة. يعمل حالياً باحثاً في مجلس أبوظبي للتطوير الاقتصادي.

عمر البشير التراي

كاتب وباحث سوداني، عضو هيئة التحرير في مركز المسبار للدراسات والبحوث، يكتب مقالاً أسبوعياً في صحيفة الصحافة السودانية، عمل باحثاً في مركز الاتحادي للدراسات والبحوث، صدر له في كتب المسبار من الدراسات: الصوفية في السودان التاريخ والحاضر، واستخدام حركات العنف للنساء والأطفال، الانفصال الخشن هل يكون موطئ قدم للقاعدة، موقف إيران من الاحتجاجات العربية.

محمد حلمي عبد الوهاب

أكاديمي مصري، حاصل على درجة الدكتوراة في الفلسفة السياسية بمرتبة الشرف الأولى، وهو مدير تحرير مجلة "رواق عربي" التي تصدر عن مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، وهو كاتب مقال رأي بجريدة أوان الكويتية، نُشر له عشرات المقالات بصحف: الحياة، والشرق الأوسط، والبديل المصرية، وبدوريات: التسامح، المجتمع، المجلة العربية للعلوم السياسية، مجلة الثقافات المتوسطة، نشرة الإصلاح العربي. كما نُشر له أيضاً عشرات المقالات والدراسات بمواقع: الجزيرة، إسلام أون لاين، الأوان، باب المتوسط، بيبليوإسلام.

محمود عبد الغني صباغ

كاتب وباحث سعودي، من المهتمين بتاريخ الحجاز، كتب مقالاته الصحافية في صحيفة الوطن السعودية، وغيرها من الصحف السيّارة، مهتم بالتاريخ والانثروبولوجيا. يعمل في حقل السينما وإنتاج الوثائقيّات. له عدد من المقالات والبحوث المنشورة في عدد من الدوريات المتخصصة الأخرى باللغتين العربية والإنجليزية.

منصور النقيدان

كاتب وباحث سعودي، رئيس التحرير بمركز المسبار للدراسات والبحوث، له العديد من المقالات المترجمة إلى الإنجليزية، نشر في صحف الوطن والرياض السعوديتين، ونشرت له صحيفة النيويورك تايمز، والواشنطن بوست، ومجلة النيوزويك العربية، له عدد من الكتب، منها الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج بالتشارك، وقصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام، والحسبة، وغيرها.

ياسر باعمر

كاتب وباحث و صحافي سياسي بجريدة الوطن السعودية، حاصل على العديد من الدبلومات المهنية، والفنية، وحاز درجة الماجستير في الصحافة عن الجامعة الأميركية في لندن، عمل محرراً في العديد من الصحف، وهو مراسل صحافي لموقع الجزيرة نت، و باحث بموقع "الإسلاميون" المتخصص في دراسة الظاهرة الإسلامية.

المسبار

- i -

- إبراهيم البيجوري 248
إبراهيم الشنقيطي المدني 209
إبراهيم الصحف 51
إبراهيم الكردي الكوراني 243
إبراهيم الكوراني 166
إبراهيم بن حميدان 40 - 40 - 14
إبراهيم بن راشد المريخي 53 - 55
إبراهيم بن عثمان القرعاوي 76
إبراهيم بن محمد زين العابدين 145
إبراهيم بن هاشل بن عجمي 50
إبراهيم داود فطاني 229
إبراهيم ركة 222
إبراهيم شعيب 220
إبراهيم مجلد 229
إبراهيم بن أدهم 86
ابن الجوزي 84 - 85
ابن الفارض 88 - 229
ابن القيم 74 - 85 - 86 - 88 - 105
ابن بطوطة 130
ابن تيمية 74 - 85 - 86 - 88 - 105
ابن رجب الحنبلي 85 - 88

- ابن سعدي 101
 ابن سيرين 86
 ابن عتيق 91
 ابن عربي 88
 أبوبكر العدني 230
 أبوبكر العطاس بن عبد الله الحبشي 223
 أبوبكر بن عبد الله العطاس 198
 أحمد الدمياطي 248
 أحمد الرقيمي 227
 أحمد العرضاوي 233
 أحمد بن بازاري 222
 أحمد بن عبد اللطيف الخطيب 246
 أحمد بن علوي المالكي 277
 أحمد بن محمد علوي مالكي 227
 أحمد بن محمد نور سيف 241
 أحمد جمهوري بن جري 222
 أحمد حسن العطاس 222
 أحمد سمباوه 233
 أحمد حمد الشيباني 241
 إدريس بن سعد الظبياني 153
 أسعد دهان 193
 إسماعيل الحضرمي 125

إسماعيل الزين 211
 إسماعيل الزين 217 - 222 - 227 - 243
 إسماعيل العجلوني 195
 إسماعيل بن عثمان زين 221
 إسماعيل مينا نفاكبو 245
 إسماعيل نواب 200
 الإمام حسين الحبشي 209
 الألباني 101
 الإمام زين العابدين 309
 الإمام شامل 300
 البرعي 229
 البزار 229
 البهلوي الملامتي نور 14
 البوصيري 229
 الجبيلي 95
 الجزولي 195
 الجطيلي 96
 الجنيد 81 - 215
 الحاج عمر الفتوي 183
 الحافظ النحوي الموريتاني 188
 الحبيب السيد محمد الحبشي 198
 الحبيب حسيني الحبشي 210

- الحبيب زين إبراهيم بن سكيط 234
- الحبيب سالم الشاطري 209
- الحبيب عبالقادر السقاف 233 - 230
- الحبيب علي الجفري 57 - 213 - 230 - 243 - 273
- الحبيب عمر بن حفيظ 240
- الحبيب مشهور الحداد 233
- الحداد الكبير 13
- الحسن البصري 86
- الحسن بن أحمد بن عاكش الضمدي 124
- الحسن بن أحمد عاطش 130
- الحسن بن عبد الله العلوي 12
- الحسين بن علي 278
- الحكيم الترمذي 294
- الحلاج 88
- الحميدي 229
- ال خليفة المأمون 311
- الدنجلوي 229
- الزبير بن العوام 92
- الزيني بويان 208
- السلطان حسين تابنده 308
- السهرودي 202
- السيد أحمد الهاشمي 22

- السيد جلال الهندي 24
 السيد حسن 15
 الشارف حامد 169
 الشاطري 229
 الشريف الحسين بن علي 193
 الشريف العبدلي 233
 الشريف أحمد السنوسي 201
 الشريف حسين 145
 الشريف عبد الله 195
 الشريف عبد الله فراج 233
 الشريف عون 195
 الشيخ البحر 125
 الشيخ السنوسي 161 - 166 - 167 - 168 - 184
 الشيخ شلتوت 316
 الصادق السنوسي حامد 169
 الطيب المراكشي 203
 العلوي بن الحداد 14
 الفاداني 210
 إبراهيم الكردي الكوراني 187
 إبراهيم ولي 238
 أبو الحسن الخرقاني 294
 أبو حامد الغزالي 85 - 88

- أبونصر السراج الطوسي 294
أبوزيد البسطامي 294
أبو الطيب المغربي 14
أبو العباس أحمد بن موسى بن عجيل 130
أبو القاسم الخوئي 316
أبو بكر العدني 236
أبو حبيب الشثري 93
أبوسالم العياشي 151
أبوزيد البسطامي 81
أجواد الفاسي 234
أحمد غلام 236
أحمد ابن إدريس المغربي 139
أحمد أبو الخير مرداد 193
أحمد البقالي 171
أحمد الدباش 237
أحمد الراوي 30
أحمد الرفاعي 30 - 63 - 238
أحمد الزغير 220
أحمد الزمزمي 232
أحمد السنوسي 203
أحمد العطار 192
أحمد الكوخردى 22

- أحمد النجار 195
- أحمد بافقيه الشافعي 192
- أحمد بلو 203
- أحمد بن إدريس المغربي 120 - 124 - 126 - 141 - 143 - 144 - 150 - 151 - 161 - 178
- أحمد بن أمين بيت المال 192
- أحمد بن بكر بن سميط 240
- أحمد بن حسن العطاس 192 - 195 - 199 - 209
- أحمد بن حنبل 86
- أحمد بن عبد الرحمن السقاف 239
- أحمد بن عبد الرحمن بن حافظ 40
- أحمد بن عبد العزيز الحداد 211 - 213 - 222 - 242
- أحمد بن عبد القادر الحفظي 126
- أحمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي 128
- أحمد بن عبد الله البار 194
- أحمد بن عبد الله الضمدي 128
- أحمد بن عبد الله بن جعفر فقيه 192
- أحمد بن عبيد العطار 194
- أحمد بن علي اليورقي 160
- أحمد بن عمر الزيلعي 125
- أحمد بن محمد القشاشي 187
- أحمد بن محمد النخلي 186

- أحمد بن محمد بن علوي بن عباس مالكي 219
 أحمد بن محمد خيرات الشنقيطي 204
 أحمد بن محمد علوي مالكي 213
 أحمد بن موسى بن عجيل 125
 أحمد جمل الليل 220
 أحمد حسب الله 247
 أحمد حسن العطاس 239
 أحمد حميد 51
 أحمد دحلان 247
 أحمد زكي يمانى 209
 أحمد زكي يمانى 234
 أحمد زواوي 192
 أحمد زيني دحلان 155 - 186 - 188 - 189 - 191 - 192 - 194 - 195 - 196 -
 197 - 197 - 199 - 201 - 202 - 218 - 239
 أحمد شويير 326
 أحمد عرفة 220
 أحمد عز 323 - 326
 أحمد عقاد 234
 أحمد عمر هاشم 321
 أحمد قسستي 200
 أحمد قنق 192
 أحمد محمد حميد 51

أحمد محمد عبدالجلال 51

أحمد موسى 220

أحمد ناضرين 200 - 208

أحمد نجار 193

أحمد نصر 153

أسامة منسي 213 - 220

أسعد دهان 218

أشرف عبدالمنعم 320

ألفا هاشم الفتوي 183 - 202

أمين عطاس 237

أمين كتبي 51 - 52

أمين محمد علي سليمان مرداد 212

أمين محمد مرداد 193

أيوب الأهدل 221 - 227

- ب -

بالغيث بن جميل 125

بدر رضوان 231

بركات خان 28 - 29

بريتشارد 168

بكر رفيع 193

بكري شطا 191 - 192 - 196 - 197 - 199 - 202

بهاء الدين النقشبندي 296

بوركهارت 306

- ت -

تيتوس 306

- ث -

ثاني بن أحمد بن عفصان 32

- ج -

جاسم بن محمد الغانم 51

جلال الدين الرومي 292

جمال الدين الأفغاني 19

جمال شيخ 195

جمال عبد الله بن شيخ عمر الحنفي 193

جمال مالكي 197

جمال مالكي 206

جمال مبارك 326

جمعه جعفر 40

جواد نور بخش 307

- ح -

حامد الكاف 203

حامد غانم المكاوي 169

حامد فايز 234

حامد فته 237

حسان فلمبان 232

حسن أبو الحسن الإدريسي 141

حسن السقاف 216
 حسن الشاعر 235
 حسن العجيمي 166
 حسن الكاف 240
 حسن المشاط 200 - 202 - 211 - 225 - 226 - 243
 حسن اليوسف 277
 حسن بن زهير المالكى 192
 حسن بن عبدالرحمن العجيمي 192
 حسن بن علي العجمي 185
 حسن بن محمد سعيد يمانى 208
 حسن دحلان 193
 حسن سعيد يمانى 200 - 211
 حسن شحاته 316
 حسن طيب 194
 حسن عايش القرشي 237
 حسن عجمي 151
 حسن عرب 192
 حسن فدعق 229
 حسن كاظم 193
 حسن مشاط 51 - 52 - 209 - 211
 حسني مبارك 320 - 322
 حسين الحبشي 191 - 194 - 231 - 239

حسين الضرغامى 316
حسين أيوب 233
حسين بن أحمد الدوسري الخالدي 50
حسين بن أحمد الكاف 240
حسين بن راجح 222
حسين بن محمد الحبشي 199
حسين شعيب 220
حشر بن مكتوم بن بطي 18 - 20 - 25
حصّة بنت المر 34
حمد الرشودي 75
حمد سنان 63
حمدان المحرسي 206
حمدان المعمرى 17 - 34 - 36 - 40 - 41 - 42 - 43 - 44
حمدان بن أحمد الونيسي 204
حمزة الديري 55
حمزة يوسف هانسون 213
حمزه الرفاعي 238
حمود بن عبدالله التويجري 93
حيدر حيدر 322

- خ -

خادم المعصم 37
خالد الدخيل 268

خديجة بنت خويلد 269

خلفان بن عيد البسطي 27

خليفه الجلاف 27

خليفه بن سلمان آل خليفه 53 - 59

خليل المهيزع 51

خليل ملا خاطر 234

- د -

داود بن عبدالله الفطاني الجاوي 248

درويش عجيمي 193 - 197

دلال عبدالله العثمان 64

ديفيد تايسون 297

- ذ -

ذو النون المصري 124

- ر -

رابعة العدوية 112

راشد بن إبراهيم المريخي 48 - 51 - 52 - 53 - 54 - 58 - 59

راشد بن سعيد آل مكتوم 39

راشد بن عاضد 33

راشد بن مطر 15

راشد بن مكتوم آل مكتوم 26

راينهارد شولسته 91

ربيّع البدور 39

ربيعة بن الشيخ محمود 51
رحمة الله العثماني 200 - 218 - 226
رحمة الله الهندي 195
رحمة الله بن خليل العثماني 193
رضا حريري 231
رضا صمدي 321
رضوان شيخ 236
رونالد كودري 35

- ز -

زبير الفلفلاني 229
زكريا بن بيلا 203 - 227
زكي مصطفى إدريس 234
زين العابدين بن عبد الله العلوي 12
زين العابدين 14
زيني بويان 229

- س -

سالم العطاس 192
سالم باحشوان 229
سالم شفي 227
سامي عنقاوي 251 - 257 - 277
ستيفن شوارتز 252
سرور باسلوم 220

سعد بن المسيب 92
 سعيد اليماني 51
 سعيد اليماني 51
 سعيد بن مكتوم آل مكتوم 8 - 26 - 27 - 31
 سعيد حوى 229
 سفيان الثوري 86
 سفينة الفلك 229
 سلطان داغستاني 192
 سلمان الفارسي 260
 سليم سلطان 156
 سليمان أفندي النقشبندي 152
 سليمان السويد 97
 سليمان العتيبي الحنفي 192
 سمير برقه 220
 سمير برقه 229
 سمير سبهاني 220
 سهيل بن بطي آل مكتوم 25
 سيد حسين حسيني 308
 سيد علي حمداني 308
 سيد عويس 312
 سيد قطب 101
 سيد محمد رضوان 51

سيد محمد نور بخش 308

سيد مكاوي 212

سيد نصر 306

سيف الشمالان 62

- ش -

شخبوط بن سلطان آل نهيان 31

شرف البركاتي 178

شهرام نزييري 306

- ص -

صادق السنوسي 232

صايف علي شاه أصفهاني 308

صالح البجادي 77

صالح البجادي 96

صالح الحصان 77

صالح الخريصي 98

صالح الرشيد الفرّج 97

صالح العمر 97

صالح الفلاني 166

صالح الورداني 316

صالح بافضل 192 - 197

صالح سرزجي 197

صالح كامل 234

صالح كلثتن 200
صالح كمال 192
صالح ناضرين 222
صبغة الله غلام 220
صبغة الله غلام نبي 226
صقر بن راشد القاسمي 15 - 15

- ط -

طارق سردار 227
طارق مهيوب 220
طه فدعق 229

- ع -

عابد بن حسين مالكي 193
عادل أبو العلا 220
عادل بخش 234
عادل قوته 232
عاصم حمدان 220
عباس المالكي 206
عباس بن صديق 191
عباس بن علوي المالكي 52 - 229
عباس مالكي 197
عبد الحميد قدس 197
عبد الهادي القصبي 323 - 324

- عبد الرحمن السلمي 294
- عبد الرؤوف صبان 177
- عبد الأمير الجمري 55
- عبد الباقي اللكنوي 209
- عبد الجليل السمين 277
- عبد الحفيظ العجيمي 166
- عبد الحفيظ بن درويش العجيمي 165
- عبد الحليم تركستاني 220
- عبد الحميد الخطيب 200
- عبد الحميد بخش 193
- عبد الحميد بشناق 234
- عبد الحميد بن فردوس 192
- عبد الحميد قدس 192
- عبد الحميد قدس المكي 194
- عبد الحي الكتاني 202
- عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق 194
- عبد الرحمن الأهدل 139
- عبد الرحمن الدهان 202 - 208 - 227
- عبد الرحمن الكزبري 194
- عبد الرحمن بن حافظ 33
- عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب 91
- عبد الرحمن بن عبد الله سراج 194

عبد الرحمن بن علي السقاف 190
 عبد الرحمن بن عوف 92
 عبد الرحمن جمال 192
 عبد الرحمن حسن عجيمي 193
 عبد الرحمن خوقير 230
 عبد الرحمن دهان 193 - 200
 عبد الرحمن سراج 191 - 193
 عبد الرحمن عجيمي 192 - 194
 عبد الرحمن كمكي 236
 عبد الرحيم البرعي 32
 عبد الرحيم المريد 7 - 9 - 9 - 17 - 20 - 23 - 30 - 31 - 32 - 33 - 34 - 37 -
 39 - 41 - 42 - 43 - 43
 عبد الرحيم بسيوني 212
 عبد الرزاق المحمود 51
 عبد السلام فرকাশ 169
 عبد السلام كامل 180
 عبد الصمد بالمبانغي 244
 عبد الظاهر أبو السمع 183
 عبد العزيز اكرام 222
 عبد العزيز آل الشيخ 145 - 179 - 232 - 260 - 269
 عبد العزيز السيف 99
 عبد العزيز الغماري 216

عبدالعزیز المکوار 236
عبدالعزیز الوزير التونسي 204
عبدالعزیز بن باز 105 - 261
عبدالعزیز بن عبد الرحمن کعکی 236
عبدالعزیز بن محمد بن خلیل طيبة 233
عبدالعزیز بن مرشد 93
عبدالعزیز عرفة 212 - 216 - 227 - 229 - 232
عبدالعزیز علي 51
عبدالعزیز مرداد 212
عبد الغفار حسین الأفغاني 18 - 32
عبد الغفار الشریف 66
عبد الفنی الدمیاطی المکی 194
عبد الفنی النابلسی الحبشی 229
عبد القادر إبراهيم محمد زین سمان 237
عبد القادر الجیلانی 18 - 84 - 131 - 132 - 132
عبد القادر السقاف 52
عبد القادر خردہ 233
عبد القادر شلبي 202
عبد القادر شمس 194
عبد القادر صابر 192
عبد القادر طیب 193
عبد القادر مشاطہ 192

- عبد القادر منديلي 197
عبد القادر شمس 192
عبد الكريم البنتي 247
عبد الكريم الحميد 74
عبد الكريم الحميد 101
عبد الكريم أمر الله 247
عبد اللطيف البصري 197
عبد اللطيف عطية 192
عبد الله بن يوسف المكاشفي 217
عبد الله إبراهيم القرعاوي 105
عبد الله أبو الخير مرداد 193
عبد الله أبوداهش 119 - 127 - 131
عبد الله أحمد مرداد أبو الخير 212
عبد الله الأزيجاني 152
عبد الله البراهيم السعوي 97
عبد الله التواتي 169
عبد الله الحاتم 62
عبد الله الحبلين 73
عبد الله الحجيلان 80
عبد الله الحداد 13
عبد الله الخضري 192
عبد الله الرفاعي 238

- عبدالله الرئيس 192
- عبدالله العبادي 222
- عبدالله الغريفي 55
- عبدالله الغماري 216
- عبدالله الغمري 193
- عبدالله القرعاوي 96 - 146
- عبدالله اللحجي 227
- عبدالله المريد 7 - 17 - 30 - 31 - 34 - 40
- عبدالله المعتوق 63
- عبدالله باروم 192
- عبدالله باهيثم 234
- عبدالله بصنوي 220
- عبدالله بن أحمد الكوخردى 22 - 23
- عبدالله بن الشيخ 182
- عبدالله بن بيه 232
- عبدالله بن حسن 182
- عبدالله بن حسن آل الشيخ 183
- عبدالله بن خالد 55
- عبدالله بن سالم البصري 156 - 186
- عبدالله بن سراج 195
- عبدالله بن سرور اليامي 141
- عبدالله بن صالح الزواوي 154

- عبدالله بن طاهر الحداد 240
عبدالله بن عباس 160
عبدالله بن عبدالرحمن مرداد 212
عبدالله بن عثمان الحنفي 197
عبدالله بن علوي الحداد 190
عبدالله بن علوي العطاس 239
عبدالله بن علي بن عيدروس البار 223
عبدالله بن محمد الدويش 77 - 78 - 94 - 104 - 105
عبدالله بن محمد بن أحمد ملك الكجوئي 50
عبدالله بن محمد بن عقيل العطاس 240
عبدالله بن محمد صالح مرداد 212
عبدالله بن منيع 261 - 262 - 263 - 271
عبدالله بن نشوان الظهراني 50
عبدالله جمبي 231
عبدالله خياط 212
عبدالله دردوم 229
عبدالله زبير 192
عبدالله زواوي 193
عبدالله سراج 193
عبدالله سعيد اللحجي 217 - 243
عبدالله شافعي 222
عبدالله شاوش 225

عبد الله صدقة دحلان 197
 عبد الله غازي المكي 210
 عبد الله فدعق 213 - 220 - 227 - 231 - 232 - 232 - 283
 عبد الله فرج الزامل 237
 عبد الله قمبر 29
 عبد الله كامل 231
 عبد الله لبني 197
 عبد الله مبروك 238
 عبد الله محمد صالح مرداد 194
 عبد الله نوري 62
 عبد المعطي مرداد 212
 عبد الملك الفتني 192 - 194
 عبد الملك داود 192
 عبد الملك نمكاني 233
 عبد المنعم العزي 84
 عبد الهادي القصبي 326
 عبد الوهاب أبوسليمان 203 - 225 - 232 - 241
 عبد الوهاب التازي 139
 عبد الوهاب بن إبراهيم فقيه 236
 عبيد بن سويدان 33
 عثمان ابن عفان 278
 عثمان الدمياطي 190

عثمان بن جامع الحنبلي 50
 عثمان بن حمد بن راشد بن ربيعة 50
 عثمان بن عفان 92
 عثمان شطا 192 - 192
 عدنان السقاف 236
 عدنان بن علي بن أحمد مشهور بن طه الحداد 233
 عدنان مالكي 220
 عربي مغربي 220
 عزت زيني 231
 عقيل بن أحمد العطاس 180
 علاء أبو العزائم 323
 علاء الدولة سمثاني 308
 علاء الدين ماضي أبو العزائم 325 - 327
 علاء عطار 231
 علاء ماضي أبو العزائم 314
 علوي السقاف 192
 علوي المالكي 51
 علوي بن أحمد بن حسن الحداد 11
 علوي بن الحداد 12
 علوي بن طاهر الحداد 240
 علوي بن عباس بن علوي الملكي 221
 علوي بن عباس مالكي 206 - 213

علوي بن فضل البار 223
علوي صالح بن عقيل 192
علوي مالكي 204 - 208 - 211
علي ابن ابن أب طالب 309
علي أدماوي 203
علي البدوي 156
علي الحواس 99
علي الشاعر 229 - 235
علي الطيب 203
علي المالكي 211
علي المساوي 156
علي الهديب 84
علي باقر الموسى 277
علي بن بوسى الرضا 309
علي بن ظاهر الوتري 209
علي بن عمر الأهمل 125
علي بن عيدروس البار 223
علي بن مجتل 141
علي بنجر 200
علي حامد 169
علي خراز 192
علي خياط 212

علي رضا 245
 علي قدس 192
 علي كمال 192
 علي كيافو 314
 علي محمد زينل علي رضا 241
 عماد الدين بن أحمد 14
 عمر أبوسرير 153
 عمر العطاس 192 - 197
 عمر باجنيد الشافعي 201 - 209 - 218 - 231
 عمر بن الخطاب 260
 عمر بن الفارض 123
 عمر بن حامد الجيلاني 223
 عمر بن عبد الكريم العطار 165 - 198
 عمر بن حمدان المحرسي 200 - 202 - 208 - 209 - 227 - 231
 عمر خان 244
 عمر شطا 192 - 192 - 197
 عمر عبد الجبار 247
 عمر عبد الله السقاف 192
 عمر عبد الله كامل 232 - 277
 عمر عيديد فلمبان 229
 عمر فدعق 229
 عمر فروخ 112

عبدالله أزهرى 197
عيدروس البار 231
عيدروس العيدروس 221
عيدروس بن سالم الباز 180
عيدروس بن عمر الحبشي 197
عيدروس سالم البار 222
عيسى الرواس 227
عيسى بن راشد 51
عيسى بن مانع الحميري 17
عيسى بن مانع الحميري 43 - 242 - 243

- غ -

غالي العطاس 232
غزالي محمد يوسف الخياط 200
غسان القين 233
غسان مظهر نويلاتي 229

- ف -

فؤاد سندي 222 - 226
فالح الظاهري المهنوي 161
فالح بن محمد الظاهري 209
فالح حنظل 15
فايزة أمبا 252
فتح الله جولان 303

فرتجوف شون 306

فري أبوزيبة 213

فريد بن عبدالستار الميمني 236

فضل البارحسن نبدي 212

فضل بن عيدروس البار 223

فهد الخياط 233

فهد العبيد 93 - 96 - 97 - 100 - 101 - 102 - 103 - 104 - 105 - 105

فهد العشاب 94 - 96

فهد بن عبدالعزيز آل سعود 75 - 255

فهد بن عبيد العبد المحسن 72

- ق -

قاسم الأهدل 203 - 222 - 225

- ك -

كارل بروكلمان 131

- م -

ماجد الشيبلي 231

ماجد رحمة الله 226

ماجد طيب 234

مارتن لنجز 306

مالك بن العربي بن أحمد السنوسي 236 - 239

مبارك بن سيف الناحي 24

محبوب علي شاه 307

محسن الشيباني 231

محسن المساوي 209 - 227 - 229

محمد حسين يعقوب 321

محمد إبراهيم أحمد علي 203 - 212

محمد إبراهيم الغماري 171

محمد ابن أبي بكر الحكمي 125

محمد ابن ابي بكر الملا 51

محمد أبو الفيز إبراهيم 238

محمد أبي الملا 52

محمد أحمد أبو علي 51

محمد اسكندراني 220

محمد إسماعيل الزين 221

محمد اسين الفاداني 229

محمد آل زلفة 119

محمد الأحدي 76

محمد الأمير الكبير 190

محمد التركي 182

محمد الحداد 41

محمد الدريني 317

محمد الشريف 171

محمد الشفيح 169

محمد الشهاوي 325 - 327

- محمد العبد العزيز السليم 101
 محمد العبد الله أبا الخيل 101
 محمد العربي بن التبانى 153 - 181 - 200 - 204 - 205 - 206 - 206 - 208
 محمد العليط 79 - 97 - 105
 محمد العيدروس 220
 محمد الفهد الرشودي 96
 محمد الكبيبي الجوني 141
 محمد الكتاني 197
 محمد المرسى 317
 محمد المهدي 171
 محمد المهدي السنوسي 184
 محمد أمين عطاس 220
 محمد أمين قاري 220
 محمد أمين كتبي 204 - 205 - 206 - 207 - 211 - 227 - 229
 محمد أمين مرداد 217
 محمد أمين مقصود 220
 محمد بابصيل 231
 محمد بسيوني 191
 محمد بن الحسين البجلي 125
 محمد بن حسين بن أحمد الحبشي 194 - 196
 محمد بن حمود الشحي 27

- محمد بن راشد آل مكتوم 36
- محمد بن راشد المرر 33
- محمد بن رهياف 33
- محمد بن روعي الحجازي 14
- محمد بن سالم الحفني 191
- محمد بن سعد بن علي بن حمود 50
- محمد بن سعود 259
- محمد بن سليم 33
- محمد بن سليمان العليط 84
- محمد بن سليمان حسب الله الشافعي 194
- محمد بن شرف اليماني 51
- محمد بن صالح الدحيم 259
- محمد بن عباس بن أحمد الظاهري 161
- محمد بن عبدالعزيز السليم 88
- محمد بن عبدالعزيز المالكي 197
- محمد بن عبدالغفار الشريف 61
- محمد بن عبدالغفار الشريف 65
- محمد بن عبدالكريم السمان 150
- محمد بن عبدالوهاب 8 - 14 - 15 - 16 - 49 - 83 - 85 - 88 - 91 - 92 - 100 -
- 115 - 124 - 142 - 143 - 145 - 183 - 205 - 259 - 268 - 269 - 299
- محمد بن عثمان بن يحيى العلوي 239
- محمد بن غفر نوري الجاوي 248

محمد بن علوي المالكي 211 - 240 - 271 - 277
 محمد بن علي الإدريسي 126 - 129 - 140 - 145
 محمد بن علي السنوسي 165
 محمد بن علي الكناني 153
 محمد بن علي بن يعقوب الحجازي 50 - 51 - 52
 محمد بن عوض بافضل 239
 محمد بن هلال 220
 محمد بن واسع 86
 محمد بن يعقوب أبوحربة 125
 محمد تقي الدين الهلالي 182
 محمد تقي الدين الهلالي 183
 محمد جبريل 320
 محمد حامد 193
 محمد حبيب الله الشنقيطي 202 - 206
 محمد حسن شمس 51
 محمد حسن عواد 177
 محمد حسن غريب الألفي 119
 محمد حسن مارغيهي 307
 محمد حسين المالكي 191
 محمد حسين خياط 193
 محمد حسين نصيف 177
 محمد حميد بابصيل 193

- محمد حيوتي 192
- محمد رشيد بن عبد الرحيم جناحي 50
- محمد رضا شاجريان 306
- محمد رضا لطفي 306
- محمد زين العاين محمد صالح كمال 193
- محمد زيني بويان 212
- محمد سعيد السمان المدني 237
- محمد سعيد بابصيل 191 - 200 - 209 - 218
- محمد سعيد سنبل 191
- محمد سعيد طيب 277
- محمد سعيد قدسي 153 - 245
- محمد سعيد يمانى 191 - 199 - 218
- محمد سليمان حسب الله 193 - 209
- محمد سيف نور 52
- محمد شريف 51
- محمد شقرون 238
- محمد صالح الرئيس 151
- محمد صالح الكردي 246
- محمد صالح بن سليمان مرداد 212
- محمد صالح زواوي 218
- محمد صباغ 192
- محمد طالع 122

- محمد طاهر نور ولي 220 - 226
محمد عابد المالكي 199 - 202
محمد عبد الحفيظ المصري 316
محمد عبد الخالق الشبراوي 314
محمد عبد الرحمن السقاف 230 - 233
محمد عبد الرزاق المصري 182
محمد عبد الغفار الشريف 63
محمد عبد الله أبا الخيل 74
محمد عبد الله الحداد 40
محمد عبد الله الزاوي 169
محمد عبد الله عاشير 51
محمد عبد المقصود 320
محمد عبده يمانى 234 - 237 - 257 - 264
محمد عثمان الكنوي 203
محمد عثمان الميرغني 155
محمد عجاج 233
محمد عدنان أمفنان 227
محمد عدنان بن حكمة الله 203
محمد عرب 231
محمد علوي المالكي 57 - 82 - 184 - 205 - 208 - 213 - 217 - 219 - 215 -
231 - 242 - 243 - 252 - 261 - 263 - 265
محمد علي العكري 55

محمد علي المالكي 229
محمد علي بن حسين المالكي 199 - 206 - 209
محمد علي زينل رضا 213
محمد علي كمال 193
محمد علي مغربي 163 - 178
محمد علي يمانى 222
محمد عمر الأففاني 7 - 8 - 9 - 10 - 16 - 17 - 18 - 19 - 20 - 21 - 22 - 23
24 - 25 - 26 - 27 - 29 - 30 - 43
محمد عمر رفيع 115
محمد عوامة الحلبي 235
محمد عوض 227
محمد غفوري 212
محمد فريد أبوزبيبه 220 - 222
محمد محمد المختار الشنقيطي 235
محمد مرتضى الزبيدي 203
محمد مكى الهندي 227
محمد مكى كتيبى 192
محمد نور 51
محمد نور الجبرتي 192
محمد نور سيف 204 - 211 - 217 - 241
محمد نور قاري 220
محمد نورالدين مريو بن جر 222

- محمد يحيى محمد طالع 119
 محمد يوسف آل يوسف 41
 محمد يوسف خياط 177
 محمد علي خيمي 238
 محمد مرزوقي 197
 محمود المصري 321
 محمود زهدي 200
 محمود كظلي 236
 مختار مخدوم 227
 مروان ركن 231
 مصطفى الغماري 169 - 169
 مطلق المطيري 15
 معاوية ابن أبي سفيان 293
 معاوية بن أبي سفيان 278
 معتق الحربي 79
 معن الدباغ 220
 منظور هندي 237
 منقش عدنان أمفنان 227
 موفق السنوسي 232
 ميسر جمل الليل 220

- ن -

ناجي العربي 54 - 56 - 59 - 60

ناصر الفصن 87

ناصر الكبيبي 124 - 142 - 143

نبيل الغمري 213 - 220

نبيل خونده 220

نجم الدين كوبرا 296

نشأت أحمد 320

نور إسماعيل منكابو الخالدي 197

- ه -

الهادي اليمني 160

هارون الطويل 140

هارون بن الشيخ العطاس 13

هاشم باروم 231

هاشم حسين مراد رضا 231

هاشم شقرون 238

هاشم عبد الله شطا 227

هاشم فلاته 220

هاني عبد الشكور 232

الهروي 85

هورخرونيه 168 - 186

- و -

واصف أحمد فاضل كابللي 233

واصف كابللي 277

وداعة الله حسن الأهدل 222

- ي -

ياسين الشامي 218

يحيى أمان 211

يحيى بن الشريف سرور 212

يحيى حميد الدين 145

يحيى خوجه 229

يطي بن سهيل آل مكتوم 26

يوسف الرفاعي 62 - 64 - 65 - 66

يوسف السيد هاشم الرفاعي 63

يوسف الشراح 63

يوسف القرضاوي 313 - 232

يوسف المكش 125

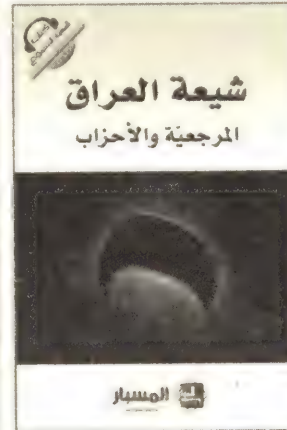
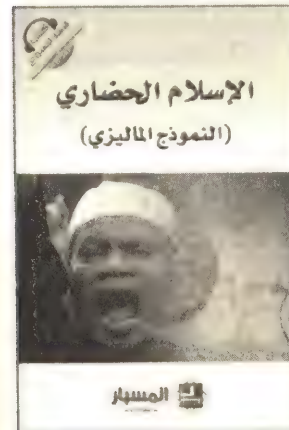
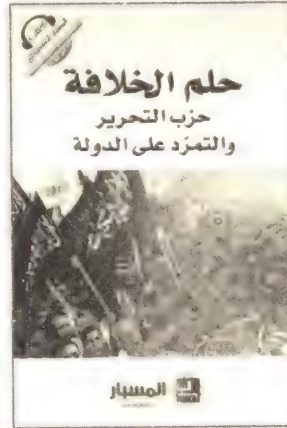
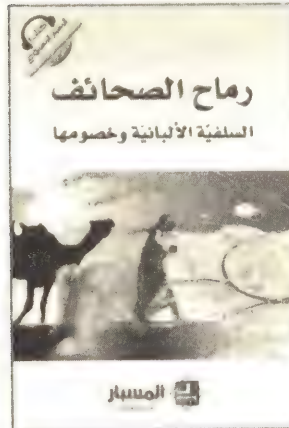
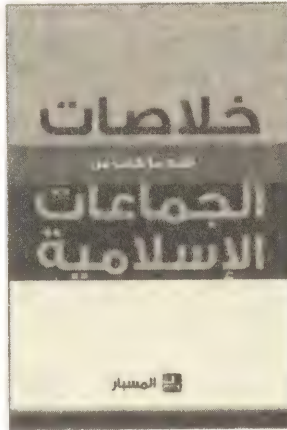
يوسف باشلي 238

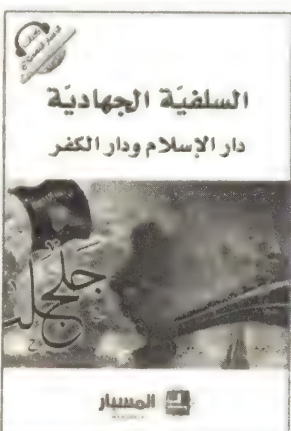
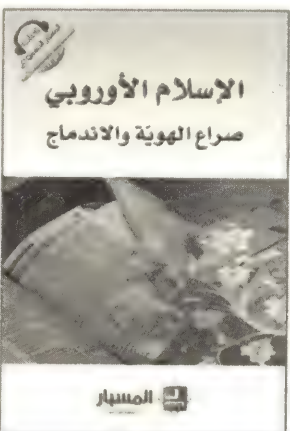
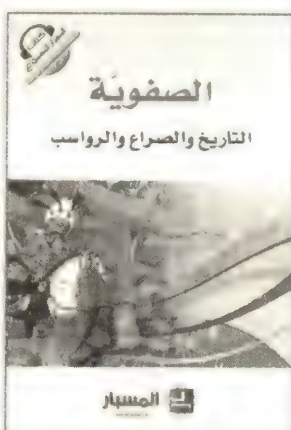
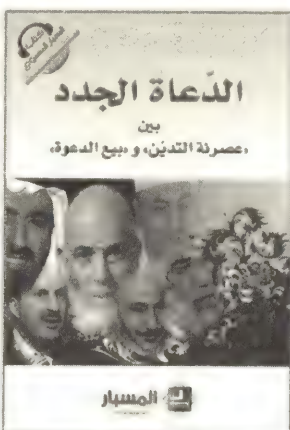
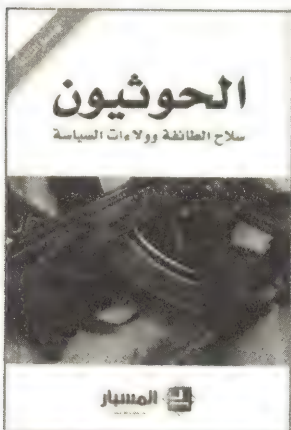
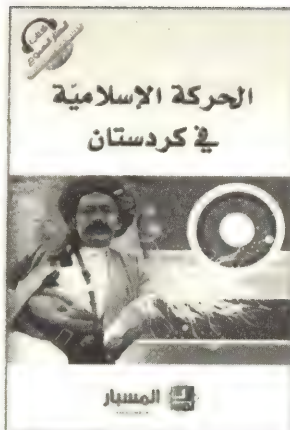
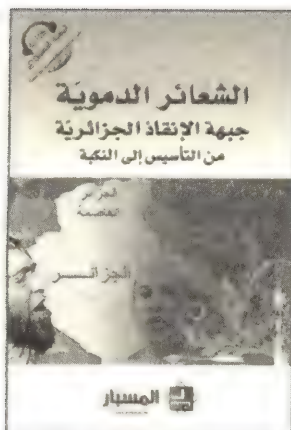
يوسف بشناق 233

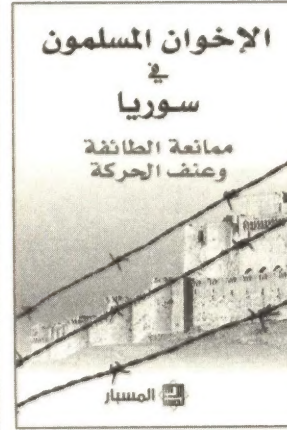
يوسف بن عبدالعزيز 51

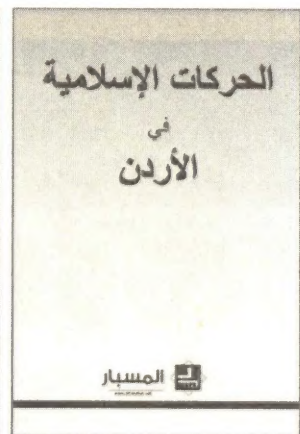
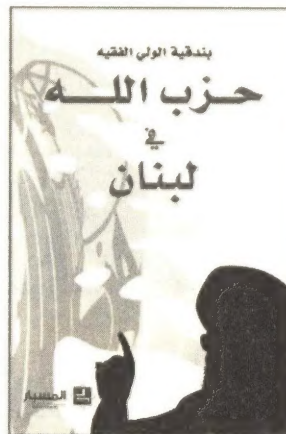
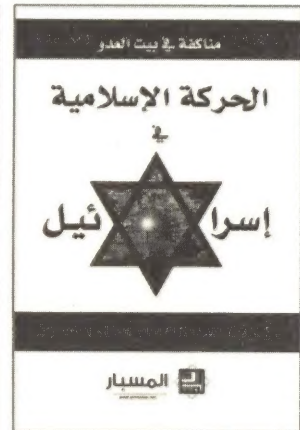
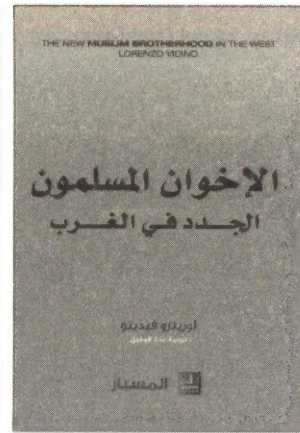
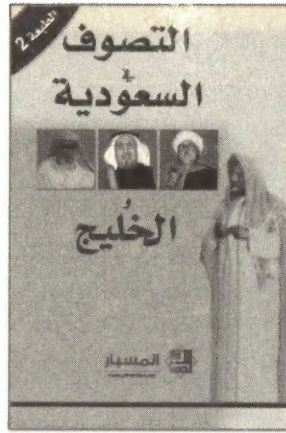
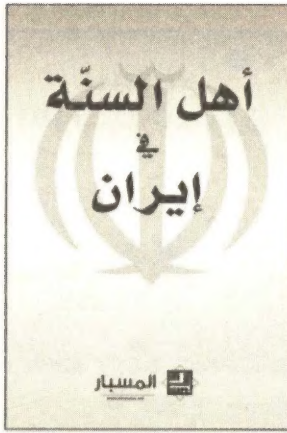
يوسف بن عيسى 62

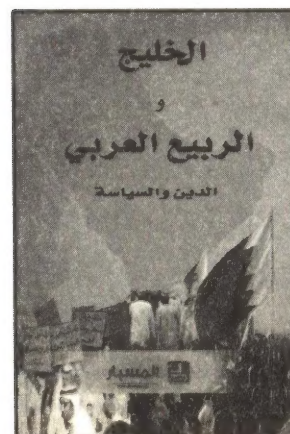
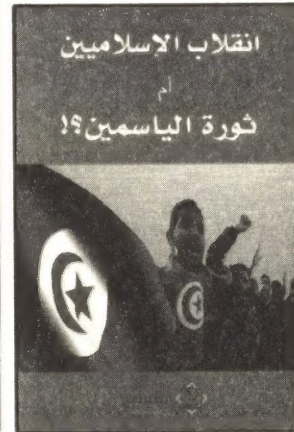
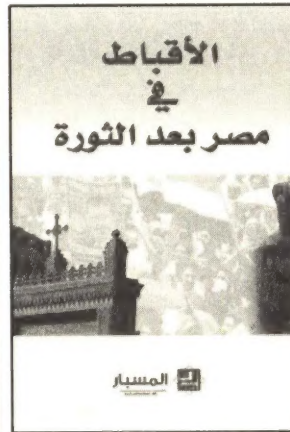
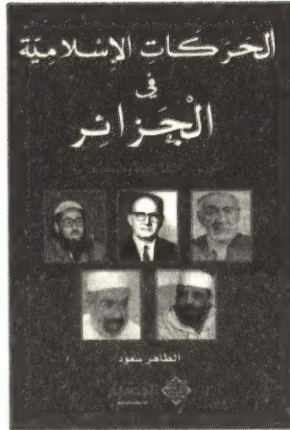
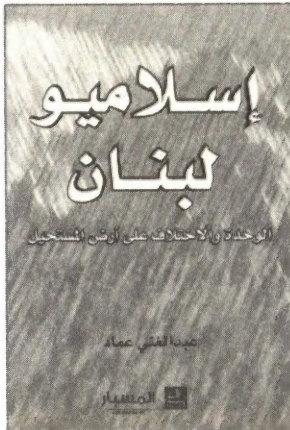
يوسف نشار 220













مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

www.almesbar.net

المراسلات البريدية:

ص.ب. 333577

دبي، الإمارات العربية المتحدة

للاشتراك:

هاتف: +971 4 380 4774

فاكس: +971 4 380 5977

info@almesbar.net

جميع الحقوق محفوظة للناسر

لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من الناسر